المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع :الأدب والبلاغة والنقد

أسلوب (التشخيص) في شعر نازك الملائكة

(بحث الطالبة: لنيل درجة /الماجستير في تخصص: الأدب)

إعداد الطالبة :

حصة سحمي محمد السبيعي

(٤٣١٨٨٣١٦)

المرشد الأكاديمي :

أ . د . إبراهيم عبدالله البعول

(١٤٣٣هـ / ١٤٣٤هـ)

إهداء:

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى من اشـــتاق قلبـــي لمـــرآه ..... إلـــى أبـــي رحمه الله عدد ما نطق وعدد ما مشى على الأرض .... وصلى وركع ،

وإلى والدتي أبقاها الله في صحة وعافية .... وأطـــال عمرهـــا علـــى مرضـــاة ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام ،

وإلى زوجي وأولادي ..... فبكم تزهو الحياة .... وتتحقق الأمنيات ،

وإلى أخوتي وأخواتي .... فبوجودكم يكمـــل أنســـي .... فـــأدامكم الله لـــي قلبـــاً وقرباً.

إليكم أحبائي وبهجة قلبي .... فأنتم الحياة بكل معانيها .....

أم ريـــمـــــــة ..

شكر وتقدير:

أشكر جامعة أم القرى متمثلة في قسم الدراسات العليا العربية التي منحتني فرصة الحصول على هذه الدرجة العلمية ، وعلى رأسهم رئيس قسم الدراسات العليا العربية وأكاديمييها الأفاضل .

فأبعث بالشكر والتقدير إلى من كان عوناً لي على اجتياز هذه المرحلة وهم معلمي الأكارم الذين كانوا شعلة نقتبس منها لنتعلم ونتقدم .

وأخص بالفضل مشرفي السابق الدكتور: إبراهيم الكوفحي ، ومشرفي الحالي الأستاذ الدكتور : إبراهيم البعول ، فأجزل الله لكم العطاء ، ورزقكم منه مغفرة ورضوانا .

كما أشكر المشاركين في مناقشة الرسالة الذين يسعون لإرشادي لإخراج هذه الرسالة على أكمل وجه فلكم جزيل الشكر والعرفان .

المقــدمة:

الحمد لله رب العالمين ، أول آيــة فــي كتابــه الكــريم ، ربّ الســموات الســبع والأرضين ، أحمده حمد الشــاكرين ، واســتغفره اســتغفار التــائبين ، لا إلــه إلا هو العزيــز المتــين ، وصــلى الله علــى أمــين المرســلين ، مبعــوث الهــدى والرحمــة للعــالمين ، وســلم علــى مــن اتبــع هــدي المصــطفى، وصــحبه الطاهرين، أما بعد :

التشخيص سمة أسلوبية تنتشر فــي الشــعر العربــي قديمــة وحديثــه بمختلــف مذاهبه ، وهي الظاهرة التي بفضلها تُنقــل كــل العــوالم إلــى العــالم الإنســاني فتستعير منه كل ما يخصه لتغــدو فــي قالــب إنســاني حــي ، فيعــدّ أســلوب التشــخيص مــن الأســاليب التصــويرية المهمــة ، وذلــك لفاعليتــه التعبيريــة والتأثيرية ، حيث تعتمد الصــورة مــن خــلال هــذا الأســلوب علــى إضــفاء الصفات الإنسانية على ظواهر الواقع الخارجي ، ببــثّ الحيــاة فيهــا ، فيجعلهــا تحسّ كما يحسّ الإنسان فيمــنح الأشــياء المعنويــة أو الجامــدة صــفات حيويــة إنسانية وقد اهتم الشعراء بهذا الأسلوب مما يشــي بإمكاناتــه التعبيريــة وقدرتــه على إعطاء الكلام الشعري قوة وحيويــة ، وجــدة تخــرج عــن نطــاق مــاهو مألوف وشائع ، وهو ما يميز لغة الشــعر التــي تجــنح إلــى الخصوصــية مــن ناحية ، والإيحائية من ناحية أخرى .

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لترصد هذه الظاهرة التعبيريــة فــي شــعرنا الحــديث فكانت نازك الملائكة (عاشقة الليل) أنمــوذج للشــاعر الحــديث الرومانســي ، والقصائد المنوّعة ما بين شعر تقليدي وشعر حرّ، ويلقــي البحــث بضــوئه علــى أبعاد هذه الظاهرة المفهومية فتناول البحــث تمهيــداً تعريفيــا بهــذه الظــاهرة ،

وأقوالاً متعددة من العصر القديم والعصر الحديث كانت قد أشارت للتشخيص ، ومدى تأثيره في تشكيل الصورة الشعرية ، فهو من أبرز معالمها وأقوى جسور التواصل التي تصل الشاعر بالمتلقي للولوج إلى عالم الشاعر الخاص ، ثم قُسم البحث إلى فصلين ، الفصل الأول هو دراسة نمط التشخيص وجمالياته في النص الشعري عند نازك الملائكة ، وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين ؛ المبحث الأول تشخيص المعنويات والمبحث الثاني تشخيص المحسوسات من حيوان ونبات وجماد وزمان ومكان، فاختيرت فيه مقاطع متفرقة تجتمع لتكوّن لوحات شعرية ، إذ كانت الشاعرة تستدعي موضوعات كثيراً ما كانت ترددها في قصائد مختلفة ، فارتأت الباحثة أن تجمع تلك المفردات المتناثرة في شعر الشاعرة تحت موضوع واحد أو ما سُمِّي باللوحة ، فاللوحة تتكون من ألوان متعددة كذلك كانت لوحات الشاعرة تتكون من مفردات متعددة ، أما الفصل الثاني فهو بناء الصورة التشخيصية من خلال دراسة ثلاثة قصائد مختارة من شعر الشاعرة اعتمدت فيها على التشخيص سواءاً بصورته البسيطة أو الرمزية ؛ لاستبانة قيمة التشخيص في نقل تجربة الشاعرة إلى المتلقي واستخلاص ما لهذه الظاهرة من مميزات وأثر في شعر الشاعرة وبيان لرؤيتها الشعرية .

وتهدف هذه الدراسة إلى تجلية مفهوم التشخيص في الخطاب الشعري الحديث ، وتطور مفهومه ، وبيان ما لهذا الأسلوب من مزايا ، ودوره في تشكيل الصورة الفنية ، إذ يتناغم مع عناصرها ويتماهى في إطارها ، والوقوف على استخدام الشاعرة له ، وإيراد نماذج شعرية غلب عليها هذا الفن ؛ من تشخيص لعناصر الطبيعة المختلفة ، والمعنويات والمجردات الذهنية ، ويكمن سبب اختيار الباحثة لهذا الموضوع في أهمية التشخيص

بوصفه ملمحاً أسلوبياً بارزاً في الشعر العربي الحديث ، ومن أكثر تشكيلات الصورة الشعرية قدرة على التعبير الداخلي ، عالم المشاعر والأحاسيس ، وذلك حين يسقط الشاعر ذاته على مظاهر الطبيعة من حوله، ويخلع الحياة الإنسانية والشعورية على مالا يعقل ، وينقل الصورة من مجرد الإخبار إلى تخيل مشاهدها وتفصيلاتها حية في لحظة من لحظات التفاعل العميق ، بالإضافة إلى ضرورة إعطاء هذه الوسيلة التعبيرية والإيحائية الفاعلة حقها من الدراسة ، سواء على المستوى النظري (المفهومي) أو التطبيق من خلال تجليها في القصيدة العربية الحديثة بوجه خاص ، وهي المساحة التي رأت الدراسة أن تظل في حدودها ، ولعدم وجود دراسة متكاملة على هذا النحو المخطط له تقارب هذه التقنية الفنية المهمة ، في محاولة لإضاءة أبعادها المفهومية ، والكشف عن أنماطها وجماليتها في الشعر الحديث بشكل عام وفي شعر شاعرة الحزن بشكل خاص التي تمثل استفاضة لهذه الظاهرة عند شعراء المدرسة الوجدانية .

ومن الأسباب التي دفعت الباحثة إلى هذه الدراسة أنها لم تقف على دراسة أو رسالة تناولت موضوع التشخيص بصورة كلية ، ماعدا رسالة مطبوعة تحت عنوان " التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع " وواضح أنها تعنى بالشعر القديم ، خلافاً لهذه الدراسة التي بين أيدينا تتناول موضوع (التشخيص) في شعر نازك الملائكة ، حيث تعدّ هذه الوسيلة من أبرز وسائل الشاعر الحديث في التعبير عن تجربته الذاتية وإيصالها إلى المتلقي ، رغم أن الباحثة قد وجدت شذرات متفرقة هنا وهناك تعرض للتشخيص إما على المستوى النظري أو التطبيقي خاصة فيما دار محوره حول الصورة الشعرية والرمزية والتقنيات الأسلوبية ولكنها تظل محدودة لم

تعنَ بدراسة هذا الأسلوب دراسة متكاملة لكنها أعانت الباحثة في دراستها الحالية وسيرد أهمها في المصادر والمراجع ، وقد اعتمدت الباحثة في دراسة التشخيص هنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة التشخيصية كما تجلت في المدونتين : النقدية والإبداعية ، وتحليلها من النواحي الفنية خاصة ، وكذلك محاولة تفسيرها ، ثم تسجيل أبرز النتائج التي تتصل بذلك .

فكانت الخاتمة إيجازاً لما توصلت إليه الباحثة من نتائج حول بروز تلك السمة الأسلوبية عند الشاعرة وأثرها في إيضاح مكنونات الشاعرة النفسية وخصائص هذه التقنية ومدى عمقها أو سطحيتها وتطورها من البساطة إلى الرمزية في شعر الشاعرة .

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة .

تمـــهـــــيد

حول أسلوب (التشخيص) .

مفهوم التشخيص :

للشعر طريقة في نظم الكلام وانتقاء الألفاظ وعرض الخيال وتأليف الأفكار، والتعبير عن ذلك في صور لفظيّة منسّقة لأداء معانٍ واضحة مؤثّرة([1])،كالصور الاستعارية التي تخلق من التّشخيص عالماً خاصاً ، ففي الشعر كل شيء قد يحيا وتدبُّ فيه الحياة ،فإذا دبّت فيه الحياة اندمج معه الشاعر فأصبح يشعر بنبضات هذا الشيء وخلجاته حتّى كأنّه شخص من شخوص الحياة له أحاسيسه ومشاعره الموصولة بمشاعر الشاعر وأحاسيسه([2]) ، فيؤلِّف بين الموجودات في هذا الكون ويزيل ما بينها من فروق([3]).

"فالشعراء كثيراً ما يعمدون إلى بثِّ الحياة الفعّالة أو الحياة الإنسانيّة في أشياء ليست ذات حياة "([4]) ، "فيجعلون الأشياء أُناسا بإضفاء انفعالات الكائنات الحيّة البشريّة وسماتها على الأشياء" ([5]). وعرّف سيّد قطب التشخيص من خلال القرآن الكريم فهو يرى أن "التصوير عن المعاني أو الحالة النفسيّة أو الحوادث الطبيعيّة أو الظواهر الطبيعيّة ، والطبيعة البشريّة يعبّر عنها بصورة محسوسة ثم يمنحها حياة شاخصة حية مجسّمة مرئية"([6]).

فالتشخيص وهب الحياة للأشياء، والظواهر الطبيعيّة ، والإنفعالات الوجدانيّة، هذه الحياة ترتقي فتصبح حياة إنسانيّة ، ولها خلجات آدميّة وذات عواطف إنسانيّة. فالشاعر يحوّل الأشياء من حوله عن طبائعها ، وأوصافها

---

[1] - يوسف أبو العدوس ،التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، دار الميسرة ،الأردن ،ط١ ،٢٠٠٧م ، ص ١٨٩ .
[2] - سيد قطب ،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،القاهرة ، دار الشروق ،ط٦، ١٩٩٠ م ،ص١٥١.
[3] - وجدان الصايغ ،الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، المؤسسة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص٣٧ .
[4] - ميد لتون مودي ، س.هـ . بورتون ،ت.س . إليوت ،س. داي لويس ،هربرت ريد، وينفريد نوفنتني ،مرجري بولتون، اللغة الفنية ترجمة حسن عبد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٤م ، ص١١٥ .
[5] - إبراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية ، تونس ، صفاقس ، التعاضدية العمالية ، ط١، ١٩٨٦م ، ص ٣٧ .
[6] - سيد قطب ،التصوير الفني للقرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١٠، ١٩٨٨ م ، ص ٧١ .

المألوفة ،و يصبّ فيها حالته الشعوريّة ويمزجها بعواطفه ومشاعره وأحاسيسه ؛ لتصبح خلقاً جديداً وعالماً مختلفاً رغم أن مادته الأساسية من المألوف حتى تؤثّر على المتلقّي ، فيتفاعل ويتواصل وينفعل بتجربة الشاعر، فعندما تخرج هذه الأشياء عن صمتها وتنطق ، لتبثَ ما بداخلها ، فإن هذا الكيان اللُّغوي المميّز المرتبط بعاطفة الشاعر و أحاسيسه يظهر لنا كائناً إنسانيّاً حيّاً يعيش في انسجام ووئام ، وبعض النقّاد يرى أنّ الإنسان الأول كان يستخدم الخيال في تعبيراته ، ويخاطب ما حوله من الموجودات وكأنها إنساناً حقيقياً ، فكل مظهر من مظاهر الطبيعة أو مشهداً من مشاهد الوجود كأنه ذو روح ، فكانوا يؤنّسون الحياة حتّى تشاركهم حياتهم بكل ما فيها .

فقد أراد الإنسان أن يعلّل الأشياء التي يلاحظها فتصوّرها على مثله أو ألقى عليها نفسه ،أي أن الشاعر يسقط ذاته على مظاهر الطبيعة من حوله، ويخلع الحياة الإنسانيّة والشعوريّة على ما لا يعقل ، فتمْثُل أمامنا أشخاصاً، تتكلّم وتسمع وترى ،وينتابها الحزن والفرح والألم ،فحينما نرى الطبيعة فإنّما نتصوّرها حيّة ، ونتخيّلها في صورة إنسانيّة ، ويقول هردر " لم يكن عجباً والطبيعة تدوي أن تكون في نظر الإنسان الحسّاس حيّة تعمل وتتكلم ، فالإنسان المتوحّش ينظر إلى شجرة عظيمة لها تاجٌ كبير([٧])، ثم يتعجّب قائلا: التاج يزمجر؟...وهذا تاريخ الإنسان الحسّاس، والمتوحّشون من أهل أمريكا الشمالية لايزالون يعتقدون أنّ الحياة مُنبثّة في كلِّ شيء ،وأنَّ كلِّ ما في الوجود له روح .."([٨]).

[٧] ـ لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة والأستطيقا ، الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٩م ، ص٣٧ .
[٨] ـ المصدر نفسه ، ص٣٨.

وهذا الاتجاه ما يُسمّى بـ "التّشخيص" نسبة للشخص والشخصيّة ، ويجعل أكثر من باحث التجسيد مرادفاً للتّشخيص من منطلق أنّ الجسد يختصُّ بالإنسان، لكنَّ مُصطلح التّشخيص أكثر استخداماً لارتباطه بالشخصيّة الإنسانيّة[٩]،وفريق الشعراء الذين يُكثرون من هذا النوع يُسمِّيه النفسيُّون "الاتجاه التّشخيصيّ "([١٠]).ومنهم من أطلق عليه تسمية " الصورة التّشخيصيّة"([١١])، إذ تقترن لفظتان من عالمين مختلفين ، وترتبط مع بعضها لتلد لنا معاني مبتكرة ،و جون رسكين " ١٨١٩-١٩٠٠م" – سمّاه بالإنجليزيّة " أُغلوطة التّشخيص" و أشار إليه حينما استشهد بأبيات لشاعر من شعراء القرن التاسع عشر وجاء فيها " الزَّبَد البحر القاسي الزاحف " إذ يعلّق بقوله:

" ثم ذهب إلى أن البحر ليس قاسياً ،كما أنَّه لا يزحف ولكن الحالة الذهنيّة هي التي تنسب صفات الكائن الحيّ إلى زَبَد البحر ... فكلُّ المشاعر العنيفة لها نفس التأثير، فهي تؤدِّي إلى زيف في كلِّ انطباعاتنا عن الأشياء الخارجيّة"([١٢]) .

ويبدو أنَّ سيبويه أوّل من أشار للتّشخيص لكنه لم يسمّه بل أشار لتحوُّل المجرَّد إنساناً بدلالة "الفمّ " وذلك من قول الشاعر:([١٣])

وداهيةٍ من دواهي المنو ن ترهبُها الناسُ لا فالَها

---

[٩] - وجدان الصايغ ، الصورالاستعارية في الشعر العربي الحديث، ص ٣٧ .
[١٠] - محمد أبوموسى ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط٦ ، ٢٠٠٦م ، ص٢٨ .
[١١] - وجدان الصايغ ، الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث ، ص ٣٧.
[١٢] - إبراهيم فتحي ،معجم المصطلحات الأدبية ، تونس ، صفاقس ، التعاضدية العمالية ، ط١، ١٩٨٦م ، ص ٣٧ .
[١٣] - سيبويه ،عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣، ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

ويعلّق الدكتور عبد القادر حسين على هذه الإشارة بقوله :" يذكر سيبويه الاستعارة بالكناية ...نقلاً عن أحد الذين يثق بهم من العلماء، وربّما كان الخليل ... غير أنه لا يعطي لما يدرك أسماء اصطلاحيّة...، وبذلك يكون سيبويه قد سبق غيره من العلماء ...للاستعارة ... "([١٤]) .

وأشار الفرَّاء "ت ٢٠٧هـ" للتّشخيص ،لكنه لم يُشِر لمصطلحه في قوله " (جداراً يريد أن ينقضّ) يُقال : كيف يريد الجدار أنْ ينقضّ ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا الجدار يريد أن يسقط ومثله قوله تعالى (لما سَكَت عن موسى الغضب) والغضب لا يسكت ،وإنما يسكت صاحبه ، وإنما معناه سكَن ، وقوله تعالى :(فإذا عَزَم الأمر) إنما يعزم الأمرَ أهله ."([١٥])

وقد تنبّه الفرّاء هنا لتشخيص الجماد ،وإلى تشخيص المجرّدات ،وأنّها أُضيفت لها صفات إنسانيّة، واتّضح لنا التّشخيص أكثر عند الجاحظ" ت٢٥٥هـ" حين حلّل قول الشاعر :

وطفقتْ سحابةٌ تغشاها تبكي على عِراضها عيناها

"إذ ينسب الشّاعر العينين للسّحاب " ([١٦]).

ويلمّح ابن جنّي "ت ٣٩٢هـ" للتّشخيص بقوله " ألا ترى قول بعضهم في الترغيب في الجميل: ولو رأيتُمْ المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً، وإنّما يرغب فيه بأنّه ينبّه عليه ، ويُعظِم من قدره بأنْ يصوّره في النفوس على

[١٤] - عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، القاهرة ، دار غريب ، ط١، ١٩٩٨م ، ص١٢١,١٢٢.
[١٥] - الفرّاء، يحي بن زياد ، معاني القران، بيروت ، عالم الكتب ط٣، ١٩٨٣م ، ج٢، ص ١٥٥,١٥٦.
[١٦] - الجاحظ ،عمرو بن بحر ،البيا ن والتبيين ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٧ ، ١٩٩٨م ، ج١، ص ١٥٢ ،١٥٣ .

أشـــرف أحوالـــه ، وأنـــوه صـــفاته ، وذلـــك بـــأن يتخيّلـــه مُتجسِّـــماً لاعَرَضـــاً مُتوهّماً"([17])

ويقف ابن فارس " ت ٣٩٥هـــ" وقفـــة ســـريعة علـــى قـــول العـــرب :" تغيّـــر الشيء ما ليس له ، فيقولون : مرّ بين سمع الأرض وبصرها ويقول قائلهم:

كذلك فعلُـــــــــهُ والناس طـــــراً بكف الدّهرِ تقتلهم ضـــــــــروباً

فجعل للدّهرِ كفاً ".([18])

فيشير إلى أنّ العرب كانت من عادتها تشخيص الجماد والمجرّدات .

ونجد عبـــد القـــاهر الجرجـــاني " ت٤٧١ هـــــ" عنـــد حديثـــه عـــن الاســـتعارة ودورها ، يقول:" إنّك لترى بها الجماد حيّـــاً ناطقـــاً، والأجســـام الخُـــرس مبينـــة، والمعاني الخفيّة بادية جليّة ...إن شئتَ أرتكَ المعـــاني اللّطيفـــة التـــي هـــي مـــن خبايا العقل كأنها قد جُسّمت حتّى رأتها العيون " .([19])

ويعبّر هنا عن فاعليّة الاســـتعارة عنـــدما تتمحـــور حـــول تشـــخيص المجـــرّدات والجمادات فتغدو كائنات حيّة عاقلة .

وقد لفت وجود التّشخيص أنظار النقّاد فمـــنهم مَـــن حَكَـــم لـــه ، وبعضـــهم مـــن حكَم عليه بحجّة بعده عن الوضوح ، وعـــدم مجاراتـــه للعـــادة ، وابتعـــاده عـــن المقاييس اللُّغويّة المتعارف عليها ، وعلاقاتهـــا المفترضـــة بينهـــا كمـــا عكســـتها نصوص احتجاج أهل اللُّغة .([20])

---

[17] - عثمان بن جني ،الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، بيروت، عالم الكتب ، ط٢ ،٢٠١٠ م ، ج٢ ، ص ٤٤٣، ٤٤٤.
[18] - أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، القاهرة ، مطبعة المؤيد، ط١، ١٩١٠م ، ص٢١٦.
[19] - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار المدينة ، جدة، ط١، ١٩٩١م ، ص ٤٣.
[20] - محمد غاليم ، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، ط١، ١٩٨٧م ، ص ٢٧ .

وممن وقف موقفا سلبيا تجاه التشخيص علي الجرجاني فقد خَطّأ بعض الشعراء الأوائل مثل زهير عندما وصف الضفادع وخوفها من الغمّ والغَرَق بقوله :

يخرجْنَ من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفنَ الغمّ والغَرَقا

وعلّق الجرجاني بقوله :" مع أنّ الضفادع لا تخاف شيئاً من ذلك " ([٢١])

وعلّق الآمدي على أبي تمام في أنه جَعَل "للدّهر أخدعا ويداً تُقطع من الزّند، وكأنه يُصرع ، ويحل ، ويشرق بالكرام ويبتسم ...وجعل للمدح يداً ..وجَعَل المجد يحقد .. وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصّواب"([٢٢]).

فهو يرى أنها تؤدِّي إلى اختلاط الكلام وفساد اللُّغة ويشدِّد على ضرورة الاقتصار على الواضح القريب المعروف ومراعاة ماجرت عليه العادة ([٢٣]).

و قال توماس هوبز " ق١٦ –١٧م" الذي كان ضدِّ الاستعارة "أنَّ الاستعارة انحراف في استخدام الكلمات فهي تخدع وتُحيِّر وتُربك "([٢٤]) .

وكذلك هاجم جون لوك " ١٦٣٢–١٧٠٤م" اللُّغة المجازيّة بشكل عام واعتبرها خداعاً من الطّراز الأول بل تضليلاً للأحكام وشحذاً للعواطف وذلك لقوّة تأثيرها على الأذهان([٢٥]) .وهيجل "١٨٣١– ١٧٧٠م" فقد كان ينظر للاستعارة "أنّها مجرّد مقارنة مجسورة ، ولا يمكن لأحد أن يدّعي أن

---

[٢١] - علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمدأبو الفضل وعلي البجاوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ،ط١، ٢٠٠٦م ، ص١٩ .

[٢٢] - الحسن بن بشرالآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الهند ، مكتبة الجوائب ، ط١، ١٢٨٧ هـ ، ص ١٠٧.

[٢٣] - المصدر نفسه ، ص ١٠٧.

[٢٤] - يوسف أبو العدوس ،التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، ص ١٩٠.

[٢٥] - المصدر نفسه ،ص ١٩٠ .

لهـــا قيمـــة تصـــويريّة أو تمثيليّـــة مســـتقلة "[٢٦] ،وكـــذلك رأى تيـــر بـــاين " ١٩٧٠م" "أنّ الاستعارة شكل من أشكال الإنحراف"[٢٧].

فهؤلاء يرون أن الصور الاستعاريّة بشـــكل عـــام خـــروج عـــن المـــألوف ولـــو كان بأشكال مختلفة ، وهذا الخروج هـــو فـــي حقيقتـــه إنزيـــاح يخـــدم الـــنص بصورة أو بأخرى ، وهذا ما بيّنه ابن جنّـــي " تحـــت بـــاب شـــجاعة العربيّـــة " إذ قال :

" إنّما يقع المجاز ويعدل إليـــه عـــن الحقيقـــة لمعـــانٍ ثلاثـــة وهـــي الاتّســـاع ، التّوكيد، التشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة " [٢٨] .

وترتبط مصطلحات التوسّع والاتّســـاع ارتباطـــا وثيقـــاً بالتشـــخيص الـــذي هـــو صورة من صور الخروج عن المألوف ،فهو ضـــرب مـــن الانزيـــاح الأســـلوبيّ الذي وجدنا جذوراً له في الشعر، كمخاطبـــة الطلـــل والوقـــوف علـــى الأطـــلال وخطاب الناقة وكل ما يحيط بالشاعر القديم .[٢٩]

وبناء على ذلك فإن العدول أو الإنزياح ليس جديداً فـــي اللغـــة ولا طارئـــاً فـــي فنونها ،كما صرّح بذلك الجرجاني فقال :

" وكل ما كان فيه على الجملة مجازاً أو اتساعاً وعـــدولاً بـــاللفظ عـــن الظّـــاهر، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقـــع علـــى الصـــواب وعلـــى مـــا ينبغي أوجب الفضل والمزية "[٣٠]

---

[٢٦] - المصدر نفسه ، ص ١٩٠

[٢٧] - المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

[٢٨] - لابن جني ،الخصائص ، ص ٥٩٨ .

[٢٩] - يوسف العدوس ،التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص ١٩٤ .

[٣٠] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تحقيق وتعليق : محمود شاكر ، جدة، دار المدني ، ط٣ ،١٩٩٢م ، ص٣٤ .

ولقد ذهب هربرت ريد إلى ربط التشخيص بالصيغ البدائيّة من المجاز المتصل بالاستعارة فقال : " فيجب أن تعترف أن التشخيص لم يكن يوماً ما مجرّد صدى العقائد يعتنقها الأوائل لكنه دلالة على عمق العاطفة وسعة الخيال ، فقد كان البدائيّون يهبون الحياة لكل شيء فهم ينسبون لكل المحسوسات حياة شبيهة بالحياة التي يكشفها لهم وعيهم بذاتهم "([٣١]).

وممّن انتصر للاستعارة بشكل عام ولاحظ أهميتها في الأساليب المجازية ، نيتشه " ١٨٤٤- ١٩٠٠م" الذي قال :" إنّ الفهم الاستعاريّ ضروريّ في الفكر ، والكلام الإنسانيّ ، والحقائق الثابتة من ثقافتنا هي لا شيء، إلا أنها مفاهيم استعاريّة أصبحت في نقطة معينة عرفية، لأن استعاريّتها قد نسيت"([٣٢]) وكان جونسون وتوما الإكويني "١٢٢٤- ١٢٧٤م" "ممن يرى أن الاستعارة ضروريّة ولها فائدة كبيرة وأهمية خاصة "([٣٣]) .

فهي كما قال نلسون جودمان " ١٩٦٨م" : "تتجانس مع كلمات أخرى في عالم معين ، فتنفصل عن عالمها ؛ لتسكن عالماً آخراً "([٣٤]). وقد أعجب كل من كونتليان "٣٥-١٠٠م" وشيشرون" ٤٣-١٠٦ ق .م " بالاستعارة إعجاباً جعلهم يكثرون من استخدامها([٣٥])، وكان بيدي " ٦٧٣- ٧٣٥م" " الذي يرى أن الاستعارة التي عوملت في العرف تحت عنوان البلاغة ، قد أصبحت مجرّد أداة أسلوبيّة ، بعيدة عن الجدل الفلسفي "([٣٦])

---

[٣١] - شعيب خلف ،التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري دراسة أسلوبية إحصائية ، كفر الشيخ، دار العلم والإيمان ،ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ٣٣ .

[٣٢] - يوسف أ بو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص ١٩٠ .

[٣٣] - المصدر نفسه ،ص ١٩٠ .

[٣٤] - المصدر نفسه ، ١٨٩ .

[٣٥] - المصدر نفسه ،ص ١٨٩ .

[٣٦] -المصدر نفسه ،ص ١٨٩.

وهي ما اعتبره أرسطو منذ القدم "٣٨٤-٣٢٢ق .م" "بأنها وسيلة قويّة في التعبير عن المكنونات وذات قيمة عالية إذا اُستخدمت بشكل مناسب "([٣٧]).

كما يرجع ذلك هنستر "١٩٦٦م" لإثارتها الخيال ،واستدعائها لمعانٍ أخرى([٣٨]).

ولا شكّ أنها أعمق وأبلغ وأشدُّ تأثيراً في النّفوس، والشاعر يبحث عن معانٍ جديدة ليُحقِّقها بطرق غير مألوفة ،فهو ينزاح ليحقّق ما يصبو إليه ،وشداً لانتباه السامع أو القارئ لتلك اللغة الشعريّة التي لا تخضع للمعاني المعجميّة بقدر ما تخضع للمعاني الإيحائيّة التي هي في نفس الشاعر ، فليس الهدف منها الزخرفة الخارجيّة ،بل ما تثيره في النّفس من شعور باللذّة ،كذلك كان التّشخيص فهو- بالإضافة إلى الشكل الجماليّ - صور وإيحاءات نابضة بالعواطف والإيحاءات أودعها الأديب إياه، فلذلك جاء هذا الإخراج للغة من دائرة المعاني المعجميّة الضيِّقة والمعياريّة المحدودة إلى دائرة النشاط الإنسانيّ الحيّ ([٣٩])، وينبغي أن يكون هذا الإخراج في مكانه ويثير إحساساً جديداً ، حتى لا يكون مبتذلاً يبعث الملل في النّفُوس .

فنرى أنّ الكثير من الفلاسفة تناولوا الاستعارة وخاصة الاستعارة الشعريّة، وكذلك الفلاسفة المسلمين اهتموا بالاستعارة كالفارابي الذي اعتبر "الاستعارة علاقة لغويّة ، تقوم على الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة " ([٤٠])

[٣٧] - المصدر نفسه ،ص ١٨٩ .
[٣٨] -المصدر نفسه ،ص ١٨٩ .
[٣٩]- المصدر نفسه ،ص ٣٥ .
[٤٠]- المصدر نفسه ،ص ١٩١.

وقال ابن سينا : " ...أن من أنجح ضروب التّغييرات ، أن يكون المستعار منه ، معادلاً للمستعار له ، فيحاكيه محاكاة تامة، ولا يكون فيه شيء يظهر مخالفته للمقصود ، ومحاكاته من الجهة المقصودة "([41])

وبحدثينا عن الاستعارة لا نغفل أنها الركيزة الأساسية للتشخيص الذي ينطوي تحت ما يسمى بمصطلح " التغيير " الذي كان يستخدمه أرسطو "ويقصد به استخدام الألفاظ في غير معناها الحقيقيّ والخروج بالتراكيب اللُّغويّة عن مجراها الطبيعيّ ، ويتضمن التشبيه والاستعارة والمجاز بشكلٍ عامٍ "([42])

ويوافقه في ذلك ابن سينا وابن رشد بأنّ هذا " التغيير" يتضمّن المجاز بشكل عام وإخراج الكلام بما يخالف العادة ([43]) .

وهكذا يتبين لنا أن التشخيص ظاهرة فنية وسمة أسلوبية توافرت في الأدب العربي قديمة وحديثه ، كما شاعت في الآداب الأخرى قديما وحديثا ، فالتشخيص ظاهرة أسلوبية شملت الآداب العالمية القديمة والحديثة .

تأثير التشخيص في بناء الصورة الشعرية :

بدأ الشاعر العربيّ يعبِّر عن حواسه ، لكنه لا ينسخ ما هو حوله كما هو ،بل يعبِّر بطريقته الخاصّة وفق أسلوبه ، وكما يراها في قالب فنّيّ من إبداعه ، وتقنية تصل من خلالها مشاعره([44]) .

---

[41]- المصدر نفسه ،ص ١٩١ .
[42]- المصدر نفسه ،ص١٩١ .
[43]- المصدر نفسه ،ص١٩١.
[44] - عبد الرحيم الهبيل ، فلسفة الجمال في البلاغة العربية ، الدار العربية ، مدينة نصر ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص١٩٣ .

ويظهر إبداع الشاعر على الجمع أو الـرّبط بـين أشـياء مختلفـة علـى أسـاس الشعور لإظهار معنىً جديـد، بـوحي شـعوره وانفعالـه ليعبّـر عـن ذاتـه ، فالتقريب بين الأشـياء المتباعـدة والمختلفـة لـيس لهـواً ، بـل للتعبيـر عـن مكنونات نفسه ودواخـل روحـه ، فتتشـكّل المعـاني والصـور حسـب شـعور الأديب وإحساسه ، فيكون الجمال في جمـع هـذه المتباعـدات أو المختلفـات ، وإيجاد روابط فيما بينها وتأليفها في صور متناغمـة منسـجمة حتـى وإن خـرج عن حدود المنطق والعقل وكانت من صنع الخيال .

فاللُّغة الشعريّة تتجاوز مسـتوى الإفهـام الـذي تُحقِّقـه الألفـاظ الحقيقيّـة إلـى مستوى آخر هو اللّذة أو التعجب ، فاستعارة اللفـظ عنـد ابـن سـينا أن تكـون غريبة وليست مألوفة حتى يستقبلها المتلقي بتعجب وإدهـاش كمـا قـال:" واعلـم أنّ الرّونق المُستفاد بالاسـتعارة والتبـديل سـببه الاسـتغراب والتعجـب ، ومـا يتبع ذلك من الهيبة والاستعظام والرّوعة"([٤٥]).

وقد يكون الجميل هو الغريب ،لكنه مقيـدٌ بإثـارة الدهشـة والإعجـاب ،فلـيس المناط هو الغرابة فقط ، بل اللغّـة المناسـبة للشـعر ، كـالتعبيرات الاسـتعاريّة لكونها غير مألوفة ،فالشاعر كثيراً مـا يلجـأ علـى تعبيـرات اسـتعاريّة قـد لا تكون تتجاوز حدود العقل والمنطـق ، لكـن لغـة الشـعر لا تؤطّرُهـا علاقـات موضوعيّة أو منطقيّة ، فعندما يحـاول الشـاعر التعبيـر عـن مشـاعره قـد لا تسعفه اللُّغة مما يضطرُّه إلى البحث عـن أسـاليب تعبيريّـة جديـدة ؛لتسـتوعب تلك الأحاسيس المؤثّرة العميقة التي ينشط بهـا الخيـال، فكانـت الاسـتعارة بابـاً واسعاً لتشخيص الأشياء والمعاني وكل ما يتواجد في عالم الشاعر .

[٤٥] - يوسف أبو العدوس ،التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص ٢٠٦ .

فالشعراء يبحثون عن عالم حرّ، يعطي الكلمات إمكانات هائلة وعوالم جديدة خلاّقة ، فالشّاعر قد يجمع عناصر غير مترابطة في أذهان الناس ، لكنّه مشغوف بتداخل عالم الإنسان بالأشياء من حوله ([٤٦]).

فالشّعر العربيّ يعجُّ بالصور التّشخيصيّة التّي تتنوع ما بين صور لونيّة أو شميّة أو مرئيّة أو سمعيّة ، وفي الشعر العربيّ القديم كانت محاولة الشاعر استنطاق الطلل ومحاورته ؛ لعلّه يجد جواباً أمام صمت هذه الأطلال ، فتقنية التشخيص أوجد ت للشاعر إجابات وتخمينات بل حركة وحياة ، فتتقلب المُشخّصَات كائنات حيّة بل إنساناً له حياة خاصة وهيئات وأحوال، حسب مُخيّلة الشاعر ، فيهب لها عواطف آدميّة ، وخلجات إنسانيّة ([٤٧]) .

فالتشخيص ليس عمليّة تبديل ، بل تقنيّة تخضع لتحويل رمزيّ معيّن ، فإذا تمّت على الوجه استحالت صورة ([٤٨])، فالبعض يختزل هذه الصورة في استعارة لفظ، بيد أن هذه الصورة أكثر تعقيداً ، فهذه الصورة تشكيل لعناصر متعدّدة في إطار محدّد ، تخضع لرؤيةٍ خاصةٍ ولغايةٍ تعبيريةٍ ذات فضاءات متنوّعة ([٤٩]).

إذاً هذه الصورة تقوم على التشكيل الذي يفتح منافذ الخيال لرؤية هذه العمليّة الإبداعيّة ، ولا يهدف الشاعر إلى تكتيل هذه الصورة ، بل إلى علاقة ثنائيّة تتقاطع عناصرها فيما بينها وترتبط مع غيرها وتنتج مجموعة من الإيحاءات ، فكُلَّما حرّكتَ هذه الصور تجدها ذات زوايا إيحائيّة بحسب

---

[٤٦] - مصطفى ناصف ،اللغة والتفسير والتواصل ، عالم المعرفة ، الكويت ،١٩٩٠م ، ص١٤٠.
[٤٧] - حبيب مونسي ،فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضاعتية جمالية، اتحاد الكتاب العرب ، ط١،دمشق ، ٢٠٠١م ، ص ٥٦.
[٤٨] - المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
[٤٩] - المصدر نفسه ، الصفحة عينها .

وجهة النّظر إليها ، فكُلَّما تحرّك محور هذه الزاوية تحرَّك لون من الإيحاء([٥٠]) .

فهذه العلاقة لا تنتهي ، فإذا أضفنا إليها اللُّغة أو الأسلوب ، خرج هذا الإيحاء من الكمون إلى عالم مُتحرِّك ، فمن الصعوبة بمكان أن يُحاط به، فمعنى هذا أن الصورة وإيحاءاتها تتّحد بناحية خارجيّة هو المتلقّي وثقافته وذوقه ، فكلّما تعدّد المتلقون تعددّت عطاءات هذه الصُّورة ([٥١]) .

ولقد ذهب إروين إدمان إلى قوله :" أنَّ القصيدة هي كلمة وقد صارت جسداً في قالب كلاميّ ، موسيقيّ تصويريّ ، فأكسبت هذه الصور الصامتة أو الجامدة حركة وحيويّة ، فإذا بها صور شاخصة ، عالم حقيقيّ عند المتلقّي الذي أذهلته هذه التَّجربة"([٥٢]).

فالتّشخيص له القدرة على إبانة المعنى، ويفعل في النّفس ما لا يفعله غيره ، فهو يُبرز المعنى ويؤكّده ويُبرز له في عرض مُتميّز بالاختزال والتّكثيف وأحياناً لحدِّ المبالغة ، فتغدو التّجربة أكثر دقة ورسوخاً، وقدرةً على إثارة خيال المتلقّي، وميداناً خصباً للابتكار والإبداع ([٥٣]) ،ونقل الحالة الشعوريّة التي يحياها الأديب الذي يخلق صوراً إبداعيّة غير مألوفة ([٥٤])، فهو يستخدم هذه الصور استخداماً رمزياً ؛ لإثارة العواطف والأفكار التي تقبع خلفها ، فهذا اكولردج يقول:" إن الصور مهما تكن جميلة ليست في ذاتها تميّز

٥٠- المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

٥١ - المصدر نفسه ، الصفحة عينها .

٥٢ - محمد مصطفى أبو شوارب ، أحمد محمود المصري ، قطوف بلاغية ، الإسكندرية ، دار الوفاء ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٢٣ .

٥٣- المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ،

٥٤- ميد لتون مودي ، س.هـ . بورتون ،ت.س . إليوت ،س. داي لويس ،هربرت ريد، وينفريد نوفنتني ،مرجري بولتون، اللغة الفنية ترجمة حسن عبد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٤م ، ٨٤ .

الشاعر ، إنّما تصبح برهان عبقريّة أصلية بقدر ما تكون مكيّفة بالانفعال المسيطر ، أو بأفكار متّصلة، أو صور أُثيرت عن طريق هذا الانفعال"([٥٥]).

هذه الدلالات تحمل أبعاداً لاتجاهات نفسيّة وسلوكيّة عند مستخدميها ، وتُذكي عامل التشويق والمتابعة ؛ لسبر أغوار هذه الدلالات التي طفا على سطحها توصيات نفسية بثّها الشاعر في ثنايا شعره ، خاصة مع انتشار النزعة الرومانسيّة عند الشعراء، فنجد الكثير من الاستدعاءات الجماليّة التشخيصية التي وظّفها هؤلاء الشعراء([٥٦]) .

فالتّشخيص فيه هِبة حياة ، وفيه نصيب كبير من الخيال ،وفيه كناية عن المشبه به المحذوف بما استبقيناه من دلالة عليه ، فيجتمع فيه مجاز وكناية في وقتٍ واحد.

وقد اجتمعا رغم اختلاف طبيعة وطريقة كل منهما ، فذلك يزيد العمل الأدبي الذي نُسج منهما جمالاً ووضوحاً، فتكوّن نسيجاً متماسكاً مترابطاً يشير إلى براعة الأديب ، فيبقى على المتلقّي أن يستقبل هذا الإبداع وهو قادر على مجاراته، بل التفاعل معه ، والتحليق في أجوائه ، والتقاط ثمرات هذا الإبداع([٥٧]).

فالتّشخيص في الشعر يكمُن في قوة العاطفة وشدّة الإحساس، ويعبِّر عن القدرة الثقافيّة([٥٨]) ، فهو ليس جانب استعاريّ فقط ، بل قدرة استثنائية على خلْق كثافة وإيجاد ترابطات وتنسيق روابط ، فالمبدع هو من لديه القدرة

٥٥- المصدر نفسه ، ٤٨ .

[٥٦] - عوني صبحي الفاعوري، دلالات الأزهارفي ديوان" ماأقل حبيبي" ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٢، العدد ٣،٤ -٢٠٠٦ م، ص١٧١.

[٥٧] - عبده عبد العزيز قليقلة ، البلاغة الاصطلاحية ،القاهرة ، دار الفكر، ط٤ ، ٢٠٠١م ، ص٦٤.

[٥٨] - عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية ، الدار البيضاء ، دار توبقال ،ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ١١٠.

على الربط بين ما يكون متقارب فيما بينها بروابط ،أو قد ينسق روابط جديدة بين المتباعدات أو المتنافرات التي قد يستنكرها الناس ؛ لعدم إدراكهم لطبيعة هذه الروابط ([٥٩])،أو لبعدها عن المقاييس العقليّة ،أو لاختلافها عن واقع العالم والأشياء وما استقر من تصوّرات للكيانات وخصائصها والعلاقات المتصَورة فيما بينها ، فيرون ذلك تخطياً للواقع وليس له أصلاً في العقل ([٦٠]).

ويتميّز التّشخيص بالإيجاز ، إذ المعاني التي يودّ الأديب عرضها كما يراها ويشعر بها يؤدِّيها بإيجاز قد لا يتحقق إذا تمّت على وجهها الحقيقيّ فهو ليس فقط لتقريب المعنى وتشخيصه، بل إنه يعبِّر عما تعجز الكلمات المحدودة عن الوصول إليه، وفي نفس الوقت لا يخلو من المبالغة التي تزيد المعنى جمالاً وتأثيراً ([٦١]) .

ويقوم التشخيص أيضا ببثّ الحيويّة فيما أصله الجمود ويحرك ما كان عادته السكون ، فيُظهِر كل ما في الكون إنساناً حياً له إرادة وإختيارات ومواقف واضحة([٦٢]) ،كما أنّ له دور في تنمية اللُّغة " الاتّساع اللُّغوي أثرى اللُّغة ووسّع آفاقها ، وجعلها قادرة على توصيل المعاني الدقيقة ، والوفاء بقصد المتكلمين في ضروب الكلام ، قا درة على تنشيط نفس المتلقّي وإثارة حسّه ، وإعمال مخيّلته ..." ([٦٣]) .

والتشخيص ضرب من التعبير البيانيّ الذي يدلُّ على تمكن الأديب من أدواته الفنية وقدرته على الابتكار والإبداع في الصور والمعاني مما يجعل

---

[٥٩] - عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية ، ص ١١١.
[٦٠] - ا محمد غاليم ، لتوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، ص٢٧.
[٦١] - زين كامل الخويسكي ،احمد محمود المصري ،فنون بلاغية، الإسكندرية ، دار الوفاء ، ط١ ،٢٠٠٦م ، ص ٦٤ .
[٦٢] - المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
[٦٣] - المصدر نفسه ، ص٦٥ .

لغتنا العربية قادرة على إستيعاب الجديد " فهو مجال واسع من الإبداع والتعبير ، ويضيف على اللُّغة طابع الجمال وهو ما يثبت للُّغتنا العربيّة مالها من قدرة على القفز فوق حدود الحقيقة ،وقدرة على استيعاب الصور الخياليّة المعبِّرة عن المعنى المتصور ،ولو اقتصرتْ اللُّغة على الإسناد الحقيقيّ لجفت وغدتْ قاصرة عن تلبية حاجات التطوّر والإبداع " ([٦٤]).

ولعل استخدام الشاعر لهذه الإمكانية تأتي " من أجل ميلهم إلى الاتّساع في الكلام ، وإلى تكثير معاني الألفاظ ؛ لِيكثُر الالتذاذ بها ؛لأنّ كلّ معنى للنفس به لذّة ، ولها إلى فهمها ارتياح وصبوة ، وكلما دقّ المعنى رقّ مشربه وعندها... لذّ للقلب ارتشافه، عظُم به اعتباطه ؛ ولهذا المكان المجاز عندهم مورداً عذب الارتشاف "([٦٥]) فأسلوب التّشخيص كأسلوب مجازيّ يفسح المجال أمام المبدع للولوج إلى أساليب جديدة ، فجمعه لكلمتين من حقلين دلالين مختلفين بما يستدعيه من تداعيات ؛تبعث الإثارة فهذا النقل الجماليّ ذا قيمة انفعاليّة وتأثيريّة عالية وإيحائية تُبهِر المتلقّي "فالمعاني لا تبقى مشدودة إلى قوالب لغوية ثابتة بل تتمرّد عليها وتتهشَّم ؛لتتوزع من جديد وسط أنساق تعبيريّة جديدة "([٦٦]).

والتشخيص بشكل عام خروج عن الأوضاع اللغوية المألوفة لمعانٍ جديدة ، واللُّغة الشعريّة ليست في حشد الألفاظ ، بل في تفاعلها مع عقل ووجدان الأديب ، وتحرُّكها بالمعنى المراد لوضعها المنقول إليه ، فهذا العدول يعتمد على الانفعال باللُّغة ؛ للتعبير عن الحالات الوجدانيّة التي تعطي هذه اللُّغة أبعاداً غير التي ألفها الناس ، فتتخطّى المألوف وتقيم في العالم الإنساني

---

[٦٤] - علي سلوم ، بلاغة العرب ، بيروت ، دار المواسم ، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١٩٩م .
[٦٥] - عبد المتعال الصعيدي ،البلاغة العربية العالية علم البيان ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٦ .
[٦٦] - محمد مندور ، اللغة والحضارة ، الإسكندرية ، منشأة القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٦٦ .

الحيّ، فيكوّن هذا الاستعمال الحيّ للُّغة صوراً ، تتيح فضاءات ممتدة أمام المبدع ، وتضفي على اللغة إمكانات جديدة تكتسبها مع ما تكتسبه من قدرات دلالية جديدة ، فكل ما في نظر المبدع هو حيّ يتكلم يعبّر عن إحساسه ، وبما يجيش في نفسه وما ينفجر في أعماقه من شعور يُمكِّن كل من خضع لنفس الظروف التي عاناها الأديب أن يشعر بتلك المشاعر و الأحاسيس ، فهو يعكس ما في نفسه من مشاعر ، كإيحاءات الحزن والكآبة عند الرومانسيين ، فالتشخيص سمة بارزة في شعر الرومانسيين لما يميّز شعرهم من رهافة ورقة وهروب للطبيعة و" قد أكثر الرومانتيكيون منه ، وكان طابعه في أدبهم أصدق وأكثر تنوعاً وأوسع مدى ، ولذا عد ذلك خاصة من خصائصهم ، وذلك لرهافة إحساسهم ورقة مشاعرهم "([٦٧]) فتتلاحم أفكار الشاعر وأحاسيسه وتتناغم مع الصور الشعريّة التي تمنحنا فيضاً من تجاربه الشعورية وعوالمه الخاصة الانفعالية على نحو مختلف عن الإنسان العادي ؛ ليتجاوز الحدود المنطقية بين الأشياء المختلفة ،فهذه الصُّور التّشخيصيّة ترتبط بنفسيّة الشاعر، إذ تخلق جسراً من التواصل بين المتلقّي وما يرمز إليه الشاعر من معانٍ ، فهذه المدلولات النفسيّة تحمل الكثير من الرموز التي تكوّن البناء الداخلي لتلك الصور التي هي نتاج حركة لموجات نفسيّة أو حسيّة أو ذهنيّة ، لتلقي بالكثير من الإيحاءات التي تخاطب وجدان المتلقّي ([٦٨]) ، فيكتسب معنىً جديداً تتفاعل فيه أطرافه ؛لتشكيل جديد مغاير للتعبير التقليديّ ([٦٩])،يقودنا لمعرفة نفسية الأديب ومدى ارتباطه بالعالم الخارجيّ.

---

[٦٧] - محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، ص١٦٠، ١٦١.

[٦٨] - خالد علي الغزالي ، أنماط الصورة الفنية والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن ، مجلة دمشق ، مجلد ٢٧، العدد ٢،١، ٢٠١١م ، ص ٢٦٣ .

[٦٩] - محمد العبد ، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي ، القاهرة ، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م ، ص١٥٤.

فبذلك تتجسّد الأحاسيس وتُشَخَّص الخواطر والأفكار، وتتكشّف الرؤى الخاصة عن العلاقات الخفيّة والحقيقيّة بين الإنسان وغيره من العوالم. " ويظل التشخيص وسيلة من وسائل تشكيل الصورة في كل شعرنا العربي الحديث بكل اتجاهاته وتياراته المختلفة " ([٧٠]) .

[٧٠] - علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، القاهرة ، مكتبى الآداب ، ط٥ ، ٢٠٠٨م ، ص ٧٧ .

نبذة عن الشاعرة :

ولدت في الثالث والعشرين من شهر آب أغسطس في العاقولية من بغداد القديمة بالعراق سنة " ١٩٢٣م" ([1]) و سمّاها جدُّها نازك تيمناً بالثائرة السورية ضدّ الاحتلال الفرنسي نازك العابد . توفيت الشاعرة يوم الأربعاء في العشرين من حزيران سنة" ٢٠٠٧"م ، ودفنت بضواحي القاهرة بعد معاناة مع المرض والعزلة ولها من العمر" ٨٣" عاماً ([2]).

عُرفت أسرتها باسم الملائكة لما تتمتع به من هدوء ودِعة ، عاشت بمنطقة شاعرية بين البساتين والأشجار والنخيل ، وعلى مقربة من نهر دجلة ([3]) .

وكانت أمُّها سلمى عبد الرزاق شاعرة تنشر إسهاماتها الشعرية في الصحف المحلية العراقية ، وأبوها صادق الملائكة([4]) له مؤلفات في دراسة النحو، وله موسوعة في عشرين مجلدا تحت عنوان" دائرة معارف الناس " ،و أرجوزة تضم أكثر من " ٣٠٠٠" بيتٍ يصف فيها رحلته إلى إيران ([5]).

درست نازك الابتدائية فالمتوسطة والثانوية ، والتحقت بدار المعلمين فرع اللغة العربية ،وتخرجت منها بدرجة الليسانس في الآداب عام " ١٩٤٤م"، وتعلمت عزف العود فكانت تتمتع بأذن موسيقيّة، كما تعلّمت فنّ الإلقاء، ودرست تاريخ المسرح والأدب المسرحي ([6]).

---

[1] - محمد عبد المنعم خاطر، دراسة في شعر نازك الملائكة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١، ١٩٩٠م ، ص ١١.

[2] - شكيب كظيم ، عاشقة الليل تحولت إلى شظايا ورماد نازك الملائكة ، جريدة الصباح ، شبكة الإعلام العراقي ، بغداد، ٢٤ /٢٠١١/١٠م .

[3] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ج ١ ،المجلس الأعلى للثقافة ، مصر،ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٨.

[4] - علي العلي ، عبد الكريم العبيدي ، نازك الملائكة أم الشعر العربي الحديث، صالون ثقافي ، المنتدى الثقافي العراقي ، دمشق ، د.ت .

[5] - محمد عبد المنعم خاطر ، دراسة في شعر نازك الملائكة ، ص ١٥.

[6] - المصدر نفسه ، ص١٢,١٣.

كما درست اللغة اللاتينيّة والفرنسيّة ، ودرست نصوصاً لخطباء رومان وشعراء لاتينيين وحفظت لهم مجموعة من القصائد ، وقرأت في النقد والفلسفة واختيرت لدراسة مادة النقد الأدبي في جامعة برنستن بالولايات المتحدة الأمريكية ([٧])، ثم درست الأدب المقارن في جامعة وسكونسن بالولايات المتحدة الأمريكية ([٨]).

وقرأت في التراث العربي ؛ فقرأت " البيان والتبيين " للجاحظ ، وقرأت "شذور الذهب" في النحو و"خزانة الأدب" للبغدادي وقرأت للمحدثين ، ولشعراء العصر الحديث كـــعلي محمود طه، وعمر أبو ريشة ، وطه حسين وغيرهم ([٩]).

مؤلفاتها:

بدأت بكتابة الشعر بالعاميّة في سن السابعة ، وفي سن العاشرة كتبت قصيدة بالفصحى([١٠]) ،ولها عدد من الدواوين وهي ([١١]):-

١- ديوان عاشقة الليل :طُبع الطبعة الأولى سنة "١٩٤٧م"، وهو أول ديوان مطبوع يخرج للشاعرة .

٢- ديوان شظايا ورماد: كانت الطبعة الأولى سنة "١٩٤٩"م، وكانت في مقدمته تدعو للشعر الحر الذي لا يخضع لا لوزن ولا قافية ، وفيه ست قصائد خرجت فيها عن المألوف وبعض القصائد في هذه الديوان عالجت حالات تتعلق بالذات الباطنة واللاشعور مثل قصيدة " الأفعوان " التي عبّرت فيها عن الإحساس الخفيّ الذي يعتري الإنسان بأنّ قوة مجهولة جبارة تطارده مطاردة نفسية ملحة من ذكريات

---

[٧]- المصدر نفسه ، ص١٣.
٨- المصدر نفسه ، ص١٤.
٩- المصدر نفسه ، ص ١٥.
١٠- المصدر نفسه ، ص ١٤.
١١- مجموعة في كتابين بعنوان "نازك الملائكة الأعمال الشعرية الكاملة " .

حزينة أو ندم وغيره وقصيدة " الخيط المشدود في شجرة السرو " التي رسمت فيها صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شابا فوجئ بنبأ موت حبيبته .

٣- ديوان قرارة الموجة : الطبعة الأولى كانت سنة " ١٩٥٧ م" وقد جعلت الشاعرة في طبعته الثالثة مقدمة عبارة عن حوار تحليلي تصف في تطورها النفسي والذهني ووجهة نظرها الفلسفية .

٤- ديوان شجرة القمر: طبع طبعته الأولى سنة "١٩٦٨"م، وقد أطلقت عليه اسم أحد قصائدها في الديوان وهي حكاية ترجع لمقطوعة إنجليزية ؛ قصة فنان أحب الطبيعة فاصطاد القمر وجعله في كوخه ودفنه وبعد فتر نبتت منه شجرة تدلى منها الأقمار .

٥- مُطوّلة مأساة الحياة : الطبعة الأولى كانت سنة "١٩٧٠م" وهي عبارة عن مجموعة من القصائد، ولها ثلاثة صور و موضوعها يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار، والشكوى من المآسي التي سببتها الحرب العالمية الثانية ،ورحلة البحث عن السعادة وهي صورة واضحة للاتجاه الرومانسي ،والصورة الأولى نُظمت سنة "١٩٤٥م و١٩٤٦م " والصورة الثانية سنة " ١٩٥٠م" وأسمتها "أغنية للإنسان ١" والثالثة نظمت سنة " ١٩٦٥م " وأسمتها " أغنية للإنسان ٢" .

٦- ديوان للصلاة والثورة : طبعته الأولى كانت سنة " ١٩٧٨م"، وتفسر الشاعرة هذا الاسم بأن الصلاة هي رمز للجانب الروحي والثورة تعني بها رفض الإنسان لكل زيف أو فساد أو عبودية وفيه تدعو الإنسان العربي أن يرتفع بالجانب الروحي وجانب القتال، وفيه عدد من القصائد السياسية ، وكل قصائد هذه المجموعة من الشعر الحرّ ماعدا قصيدة واحدة.

٧- ديوان يغيِّر ألوانه البحر : وقد ضم هذا الديوان القصائد التي نظمتها سنة " ١٩٧٤م"وطبع طبعته الأولى سنة "١٩٧٧م"، ويظهر في هذا الديوان اتجاه الشاعرة الصوفي .

ولها عدد من القصائد الإنجليزية التي قامت بترجمتها للعربية، كقصيدة " البحر" للشاعر ج.غ. بايرون ، وقصيدة " مرثية في مقبرة ريفية " للشاعر توماس غري ، وقصيدة " النهر المغني " للشاعر كريسمس همفريس ، وقصيدة " أسفار " للشاعر روبرت بروك ،كما ترجمت عن الفرنسية لبروسبير بلا نشمين .

كما كان لنازك الملائكة دور في النقد الأدبي إذ لها أرؤاها في الشعر الحرّ، ولاسيما أنها أسهمت إسهاماً كبيراً وإيجابياً في تطور القصيدة العربيّة موضوعاً وبناءاً ، واتّجهت نحو الحداثة وتحرير القصيدة العربيّة من قيود الوزن والقافية ([١٢]).

وللشاعرة مؤلفات نقدية وهي ([١٣]):

١- "قضايا الشعر المعاصر" طبع سنة "١٩٦٢م" المُهدى لجمال عبد الناصر، وتحدثت عن بداية الشعر الحرّ وظروفه وجذوره وطبع منه عدة طبعات ويتضمن الكتاب قسمين كبيرين ويندرج تحت كل قسم وفصول أغلبها نُشرت في مجلتي " الأدب " ومجلة " الأديب" الذي أكدت فيه أن حركات التطوير في الشعر بدافع الرغبة بالجديد وليس تخلصا من قسوة عمود الشعر وكرامته.

[١٢] - علي العلي ، عبد الكريم العبيدي ، نازك الملائكة أم الشعر العربي الحديث، صالون ثقافي ، المنتدى الثقافي العراقي ،د.ت.
[١٣] - شكيب كظيم ، عاشقة الليل تحولت إلى شظايا ورماد نازك الملائكة ، جريدة الصباح ، ٢٠١١/١٠/٢٤ م .

٢- سيكولوجية الشعر طبع سنة "١٩٩٢م" وكانت الشاعرة تعتبره الجزء الثاني لكتابها السابق " قضايا الشعر المعاصر" ، إذ تناولت فيه القضايا التي لم تتناولها في كتابها السابق .

٣- "الصومعة والشُرفة الحمراء " دراسة للشاعر المصري علي محمود طه الذي أبدت إعجابها به لأنه كتب من أوزان عربية قلّ استخدامها ولم يستجب لدعوى مزج البحور إلا في قصيدة واحدة .

كما كانت شاعرتنا مبدعة بمجالي النقد والشعر فقد كانت لها محاولات قصصية ناجحة فقدمت مجموعة " الشمس التي وراء القمّة "طبعت بالقاهرة سنة "١٩٩٧م"، وهي عبارة عن سبع قصص ، عالجت بها بعض القضايا الاجتماعية .

ولقد طال اهتمام شاعرتنا علم الاجتماع إذ ألفت كتابا بعنوان "التجزيئية في المجتمع العربي" طبع سنة "١٩٧٤م" تناولت فيه الشاعرة فكرة التجزيئية – التجزئة فيما لا ينبغي أن يتجزأ – كظاهرة في المجتمع والفكر العربي .

الفصل الأول : نمط التشخيص وجمالياته في شعر نازك الملائكة .

المبحث الأول : تشخيص المعنـــــــويّات .

المبحث الثاني : تشخيص المحسوسات.

للشاعر فهم خاص ونظرة ينفرد بها لكل ما يعتنقه من قيم وأفكار وقناعات ، كذلك كانت نازك الملائكة فهي ترى الحياة برؤية ذاتية خاصة ، ويظهر ذلك جلياً في أبياتها الشعرية ، فلها فلسفة متفّردة بثّتها في أشعارها ، وكثيرا ما كانت تطرح مفاهيمها الخاصة ورؤاها حول الحياة والكون والقيم والمشاعر الإنسانية ، إذ ما تفتأ في قصائدها نظْم صور تكررت كثيرا حول نظرتها للحياة بشكل عام ، فتعبّر عما تعيشها نفسها من اختلاجات واضطرابات ، ولم تتخذ التعبير المباشر باللغة المألوفة بل لجأت إلى اللغة الشعريّة التي تتخطّى حدود المألوف وتتجاوز العلاقات المنطقيّة " فلا يمكن أن تنهض اللغة التقريريّة المألوفة بمهمة التعبير عما يعتمل في نفس الشاعر المأزومة ، وروحه المتفتّتة ، ووجدانه المحزون ، ولذلك كان طبيعياً أن يبحث الشاعر عن لغته الخاصة ، التي تحمل أبعاد رؤيته.."([١٤]) ، فكانت أوعية مثقلة بما يعتلج في نفس الشاعرة من صراعات فكريّة وتوترات نفسيّة تارة تثور وأخرى تهدأ منعكسة على المتلقي ؛ فيعيش تلك الأجواء ويشعر بمعاناة الشاعرة .

تزخر دواوين نازك الملائكة بالصور التشخيصية ، فهي نموذج للشعر الرومانسي كما تقول عن نفسها(ولقد كانت " مأساة الحياة " صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سن العشرين وما تلته من سنوات..)([١٥]) ، فالشعراء الرومانسيون كثيراً ما يسقطون مشاعرهم الذاتيّة على ما حولهم من مظاهر الحياة والطبيعة الحسيّة منها والمعنويّة ، فالشاعر كثيراً ما يعيش الغربة النفسيّة ؛ فيلجأ للطبيعة لتشاركه حزنه ومعاناته ، ولتشعر بما يشعر به من قلق واضطراب ، وليصوّر لنا ما في نفسه بطريقة مؤثرة لا تخلو من الجمال والإبداع (وقد دخلت نازك الملائكة إلى أعماق ذاتها وأخرجت كنوزها الشجية لتريها للعالم أجمع)([١٦])

[١٤] - إبراهيم الكوفحي ، محنة المبدع دراسات في صياغة اللغة الشعرية ، عمان، مطبعة الرزونا، ط١، ٢٠٠٧م ، ص٩٨.
[١٥] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ج١، مصر ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١، ٢٠٠٢م ، ص ٥٣.
[١٦] - إيمان يوسف بقاعي ، نازك الملائكة والتغيّرات الزمنية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٩٩٥م ، ص٥٥.

فأسندت صفات إنسانيةّ" حسيّة أو معنويّة " لغير العاقل ، فالشاعرة صيّرت غير العاقل " إنساناً " يعقل لتبوح له بشكواها ، ولعلّ ذلك يعود لنفسية الشاعرة بشكل عام وما تمتاز به من حساسية مفرطة ، وحسّ مرهف ، ونفس قلقة تضم بين جنباتها روح ثائرة لا ترضى بواقعها ، بل تطمح دائما للمثالية العالية ، ولا نغفل أن الشاعرة قد عانت نهايات الحرب العالمية الثانية ، وفترة الاحتلال الغربي على العالم العربي وبداية المأساة الفلسطينية.

وتستخدم نازك الملائكة التشخيص في قصائدها من خلال صور جزئية تكوّن لوحات تشخيصيّة كبرى تتنوّع ما بين تشخيص للمفاهيم المعنوية ، وتشخيص للأحياء غير العاقلة من حيوان ونبات ، وتشخيص للزمان والمكان ، وتشخيص للجمادات ، وتنتظم في هذا البحث بحسب أكثرها ورودا في دواوين الشاعرة ، بداية بتشخيص المعنويات ، ثم تشخيص المحسوسات أو" غير عاقل " .

- تشـــــخيـــــص المـــــعنــويات :

يقصد به تصوير المجرّدات "المعنويات "من مشاعر وأحاسيس وقيم ومفاهيم إنسانيّة، وطبائع وأخلاق ، وكل ما ليس له وجود حسي .

ستقف الدراسة عند أبرز المعاني التي توقفت عندها الشاعرة كثيراً ، وكل ما يتصل بهذه المعاني من مفردات ، فللشاعرة معاني كبرى أنسنتها بطرق مختلفة ، فتكوّنت لوحات ذات عناصر مترادفة ، فمن أهم المعاني التي شخّصتْها كان مفهوم " الحياة ، الموت ، الحزن ، السعادة " وتتابعت في دواوينها خاصة ديوان" مأساة الحياة" إذ تقول نازك الملائكة:" وكان موضوعها فلسفياً يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار ، وقد تخلل ذلك جزء منها شكوت فيه من المآسي التي سببتها الحرب العالمية الثانية التي كانت تستعر في الغرب ودعوت إلى السلام وتغنيت به ونددت بتجار الحروب وقاتلي البشر ، ثم انتقلت إلى الحديث عن السعادة متسائلة إن كان لها وجود حق ف الدنيا ..." ([١٧]).

اللوحة الأولى :- الحـــــيـــاة :

انعكست حياة الشاعرة الخاصة على معنى الحياة الواسع ، فقد اختصرت الحياة من خلال فلسفتها ، فليست الحياة بالنسبة لها إلا رمزاً للشقاء والتعاسة ، ووسم عالمها بالحزن وامتدّ هذا المعنى ليلفَّ الحياة من حولها ويبلغ الكون بأسره ، فالحياة انعكاس للعالم الإنساني كما تراه حولها ، فكانت مرآتها للحياة حزينة ، منكسرة .

ومن الملاحظ أنّ هذه اللوحة تتألف من عناصر مترادفة مترابطة ، فهذه المعاني من " عالم، فحياة، فكون، فوجود " تجتمع لتكوّن لوحة كبرى شغلت حيزاً من شعر

[١٧] ـــ نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ٥٢.

الشاعرة فالحياة (نقيض الموت) ([18]) ، ومفردة " الحياة " تكررت أكثر من العناصر الأخرى وهذا مسوّغ لتسمية اللوحة باسمها ، تقول:

حــدثّي الــقــلبَ أنتِ أيتهــا المأ ساة يا من قــد سُــمّــيت بالحياة
ماالذي تصنعين بي في الغد المجــ ــهول ماذا ترى مصيــر رفاتي؟
أي قــبــر أعددت لي ؟ أهْوكهفٌ ملء أنحائه الظلامُ الداجي؟ ([19])

تحاول الشاعرة استنطاق " الحياة " بل وتخاطبها بإلحاح ، فتمْثل الحياة أمامها " إنساناً " ؛ فتأمرها "حدثي" ، وتارة تخاطبها " أنت " ، وتارة " تناديها " أيتها " ، وتارة تسألها ، فالمستقبل مجهول لها ، والموت مصيرها فأيُّ حياة تلك ! فلذلك وصفتها بــ" المأساة " ، وهنا يظهر لنا ما تعيشه الشاعرة من قلق نفسي وثورة فكرية فهي تبحث عن إجابات لتساؤلات كثيرة تدور بخلدها ، فالحياة في نظرها سر من أسرار الكون لم يطّلع عليه الإنسان فتقول :

فليــكن يا حياة لــــن أسأل الليــ ــل عن السر فاحكمي كيف شئت([20])

فتركت للحياة الخيار ،مما يدل على استسلام الشاعرة للحياة فجعلتها تمسك بزمام الأمور، ولعلها من لحظات اليأس التي عاشتها فتقول :

ســيّرتني الحــياةُ أين ترى مــــَرْ سى سفيني؟ وعند أي رمــالِ([21])

والموت أيضا تعتبره الشاعرة سرّ لم تقترب من فهمه ، فهي لم تفهم الحياة التي تعيشها فأنى لها أن تفهم الموت الذي يجهله الإنسان فتقول:

هل فهمتُ الحــيــاة كي أفــهم المو ت وأدنــو من سره المكنون([22])

---

[18] - لابن منظور، لسان العرب، ج٢ ، تحقيق: عبد الله الكبير ، محمد أحمد ، هاشم الشاذلي ، دار المعارف ،ط١، القاهرة ،د.ت ، ص ١٠٧٥.

[19] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ٦٠ .

[20] - المصدر نفسه ، ص ٦١.

[21] - المصدر نفسه ، ص٦٢.

[22] - المصدر نفسه ، ص ٦١.

بينما العلاقة بين الشاعرة والحياة متوترة كانت تطمح أن يعم السلام والسعادة لكن لم تجد إلا الألم والشر في هذه الحياة فهي زارعة للشوك والظلام " الشر "، تاركة الزهر والضياء " الخير " :

هي هذى الحــياةُ زارعةُ الأشـــــــ ــواكِ لاالزهرِ والدُجى لاالضياءِ ([٢٣])

بل تتمادى أكثر في التعذيب الذي تخصُّ به الأحياء جميعاً " إنسان وحيوان ونبات" دون الأموات ، وهذه فلسفة الشاعرة في فهم الحياة ، فهي لاترى فيها إلا الشقاء و الألم والجراح التي سببتها لها الحياة ، بينما تظن الموت خلاصاً من عذاب الحياة وشقائها فتقول :

هي هذى الحياةُ لا تمنـــــحُ الأحيــ ــيــاءَ إلا العذَابَ والأهوالا ([٢٤])

لقد منحت الحياة صفة إنسانية تختصّ بمنح الآخرين العذاب والأهوالا ولعلّ هذا التوجه إشعاراً بالنفس الإنسانية الشقية المتشائمة التي تجعل الحياة في مكانة تؤهلها منح البشر فيها عذاباً وأهوالاً ، ويظهر جليا في هذه الأبيات أن الشاعرة كانت تقبع تحت تأثير التشاؤم ولا تجد للسعادة أثراً في حياتها فتقول :

وأكفّ الحـــــياة تجـــــــرحني والــ لغزُ يبقى لُغْزاً عميقاً خــفيّا ([٢٥])

فأسندت للحياة صفة إنسانية " أكفّ " فكما أنّ للحياة القدرة في منح الآخرين من البشر الأهوال والعذاب ، بات أكف لها تجرح الشاعرة وتؤلمها ، ولعلّ تأكيداً في هذاْ للسلطة التي تراها في الحياة ،إذ الأكف تثبت صفة القوة والسلطة ، ولتؤكّد على

---

[٢٣] - المصدر نفسه ، ص٦٧.
[٢٤] - المصدر نفسه ، ص١١٦.
[٢٥] - المصدر نفسه ، ص١٦٥.

معنى الألم والحزن الذي يطوّق نفس الشاعرة ، فالحياة أمعنت في استمرار حزن وشقاء الشاعرة وإحكام سطوته عليها ،فالحياة أذاقتها من الحزن ألوانا فتقول:

ولتجرّعني الحياة كـــؤوس الـــ ـــحزن واليأس مايشاء شقاها([٢٦])

رغم أن الحزن كان له أثر إيجابي في إذكاء شعر الشاعر وألحانه ، لكن الحياة لم تكف عن إثارة أحزانه ، فتطلب الشاعرة الرفق بالشعراء أفلا ترتضي الحياة بغناء أشعارهم !فيكفيهم ما يعانونه من حرمان ؛ فتتضح منطقية الشاعرة في تعليلها للأسباب فتقول:

أفليس الشـــحوبُ والألمُ العـــا صـــرُ نبعاً لـــلشعر والألحـــانِ

أو لاتقـــنعُ الحـــياةُ مـــن الشـــا عر باللحنِ في حِمَى الحرمانِ؟([٢٧])

وتقول:

ستقولُ الحيـــاةُ إنّا مـــــــررنا وملأنا الحيـــاة شـــعراً وفنـــّـاً

إن شـــيئاً منّا عميقاً ســـــــيبقى في سكونِ الوجودِ لحناً يُغنَّى([٢٨])

فالشاعرة ستحظى باعتراف شفهي من الحياة ، فنسبت لها صفة "القول" ، فهي باقية ببقاء شعرها ، فالحياة قدمت الشقاء والحزن والبؤس ، لكن الشاعرة قدمت شعرا يُغنّى، فلعل الشاعرة كانت تستمرئ ما كانت تشعر به من كآبة وألم ؛ فقد أذكى شعلة شعرها وأسعر نار ألحانها فمع المعاناة النفسية تلتقط بذور الشعر وهذه من سمات الشعراء الرومانسيين كنازك الملائكة فموجات الحزن والحسرة والقلق والانفعالات النفسية تعلن عن نفسها بوضوح فتقول :

---

[٢٦] - المصدر نفسه ، ص ٦١.
[٢٧] - المصدر نفسه ، ص١٠٧.
[٢٨] - المصدر نفسه ، ص١٨٨.

وتغنّيتُ بـــا لحـــيـــاةِ ولـــــكـــــنْ لـــم تَبَرَّ الحـــياةُ ليْ بالوعودِ([٢٩])

وتعبّر عن حسرتها إذ جعلت الحياة إنسانا " أبرم وعودا " مع الشاعرة لكنها لم تفِ بتلك الوعود ، فقد صاغت لأجلها شعرا لكن الحياة لم تحقق لها ما تمنت ،وكذلك عادة الحياة فتقول:

ذاك دأب الحياة تـــسلبُ ما تعـــــــ ـــطيهِ بخلاً لا كان ما تعطيهِ([٣٠])

فالحياة إنسان قد تعطي ، لكنها تبخل وتأخذ بالقوة " تسلب " كل ما تعطيه ، فهي ذات طبع يحمل التناقض ، فتعطي ثم تأخذه سلباً وقهراً وبخلاً ، فكل متع الحياة زائفة سرعان ما تلبث أن تزول سريعا ، فتقول:

ياشـــبابَ الحـــيـــاةِ ما أنتَ بالخـــا لد إلا خلودَ زهرِ الربـــيـــعِ ([٣١])

وقد أسندت للحياة صفة الشباب، فالشباب لا يدوم ويذهب جماله سريعا كذلك الحياة تذهب مباهجها سريعة ، فالسعادة في الحياة ليست أبدية كتلك الزهور في بداية الربيع تتفتح لكنها سرعان ما تذبل ، وذلك تعبيراً عن حزنها الذي إن غاب فترة وحلّت السعادة مكانه ما يلبث أن يعود إلى مُستقرّه في نفس الشاعرة ، فالسعادة التي كانت تظنُّها في الحب والشوق والذكرى هي خداع ووهم من الحياة فتقول:

خـــدعـــتْنا بالحبّ والشوق والذكـــ ـــرى وما خلفها سوى الأوهامِ([٣٢])

لكن الحياة ستعترف بأن الشاعرة قد بحثت عن السعادة طويلاً لكن لم تجدها، حتى شكّت بوجودها ثم أيقنت أنها أسطورة لاوجود لها إلا في الخيال فتقول:

---

[٢٩] - المصدر نفسه ، ص٢٩٩.
[٣٠] - المصدر نفسه ، ص ٦٦ .
[٣١] - المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
[٣٢] - المصدر نفسه ، ص١١٦ .

ستــقــول الحيــاة إنّــا بحـــثنا في الدياجــيرِ أشهــراً وسنـــينا
عــن رحـــيقٍ مغلّفٍ بالأساطيــ ـــرِ جَهِلْنا وعــاءَهُ المكنونا([٣٣])

وفي النهاية توصلت الشاعرة لمعرفة حقيقة الحياة فتقول:

هي هذي الحــياةُ ســاقــيــة السمّ كؤوساً يطــفو عليــها الرحــيقُ
أومأتْ للعطاش فاغــترفــوا منــ ــهــا ومن ذاقها فليس يُفيقُ([٣٤])

فحتى عندما تعطي يعقب متعها الكثير من الحزن والأسى ومع ذلك لا ينفكّ الإنسان طالباً لمتاعها ، لتصل لقناعة أن الحزن هو رفيق الإنسان ، فهو " يبكي" ولكن من أراد السعادة فهو " يحلم " وكل من ظنّوا أن السعادة موجودة في هذه الحياة فهم " الحالمون " فتقول:

حيثُ صوتُ الحياةِ يــهتفُ بالأحــ ــياءِ : ماذا تحتَ الدُجَى تبتغونا؟
انظروا كلُّ مــا على الأرض يبكي فأفيقوا يا معشـــر الحالمينا ([٣٥])

فالحياة لها صفة إنسانية إذ لها صوت ينادي على الأحياء وتسألهم ماذا يطلبون ؟ أحقاً يبتغون السعادة ؟ فكل الأحياء يعيشون في حزن وأسى ،إذاً حزن الشاعرة امتد إلى كل من به حياة وتومئ بأن الحزن رفيق كل حي ،وبالمقابل فالموتى هم السعداء، وهذه رؤية الشاعرة التي ترى أن الموت هو النجاة من قسوة الحياة ، فهي لا تمنح إلا العذاب والحزن والشقاء ، لتؤكد ما أسندته سابقا للحياة من صفات الإنسان "البخل ، السَلْب، الخداع ،القسوة ، التجريح " .

---

[٣٣] - المصدر نفسه ، ص١٨٨ .
[٣٤] - المصدر نفسه ، ص٦٦ .
[٣٥] - المصدر نفسه ، ص٨٤ .

فهذه الحياة لا تستحق أن نبكي عليها أو نرثيها، فالإنسان لا يعني لها شيئا ، فهي لن تقدّم له السعادة ولن تتوقف حزنا عليه فتقول:

لن تـــنوحَ الحياةُ إن مُـــتّـــمُ أنـــــ ـــتم فغنّوا ولا تَنوحوا علـــــيـــها

فهي تلكَ الخَلُـــوبُ تبـــسِمُ للأحـــــ ـــياءِ والسمُّ كامنٌ في يدَيْـــها([٣٦])

فالحياة امرأة خلوب " الخلابة أن تخْلُب المرأة قلب الرجل بألطف القول وأخلبه ، امرأة خلاّبة للفؤاد وخلوب ، والخلباء من النساء : الخدوع ، فهي خالبة وخلوب وخلاّبة أي خدّاعة ([٣٧])، فالخلابة الخداع بالقول اللطيف ([٣٨])" فالحياة جميلة كامرأة حسنة المنظر دائمة التبسم لكنها تضمر الشر بداخلها ، فشكلها الخارجي لا يعكس ما بداخلها ، مثلها الحياة بكل ما فيها من جمال ومتع ومباهج فهي سطحية ، لكن من يتعمّق في دواخلها لا يجد إلا الشقاء والعذاب ، تتربص بالبشر فمع الجمال يكمن الموت والهلاك ، "فانعموا بحياتكم لأنها لن تأبه لموتكم" فتحث الإنسان على أن ينعم بالحياة ولا يلقي بالاّ لمجرياتها وأحداثها المؤلمة ، فأسندت للحياة صفات إنسانية من" نوح وبكاء وتبسم ويدين " لتصوّر مدى زيف وخداع هذه الملذات التي لا تعقبها إلا الحسرات ، وهنا مفارقة بين ما تدعو إليه الشاعرة وبين ما انتهجته هي في حياتها فقد كانت تعيش حياة العزلة والوحدة وربما هذه من القيم التي كانت تتمنى انتهاجها لكن لم تسمح لها نفسها الحزينة بذلك.

وتقول:

رحـــــمةً ياحياةُ حســـبُكِ مـــا ســـا ل على الأرض من دماء الضحايا([٣٩])

---

[٣٦] - المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .
[٣٧] - ابن منظور، لسان العرب ج٢، ص ١٢٢٠.
[٣٨] - المصدر نفسه ، ص١٢٢١ .
[٣٩] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص٧١ .

ثم تناديها مستجديةً منها الرحمة والرأفة بالإنسان، فقد أريقت الدماء وقتل الإنسان أخاه الإنسان تكالباً على الحياة ، و استبد الظلم ؛ فكثر الضحايا في كل مكان ، فهذا من أعظم الأسباب التي تجعل الحياة تتخلى عن موقفها ضدّ الإنسان ، فهلا اكتفيت يا حياة !

- العـــالـــــم :

ولقد تجسّد العالم في شعر نازك الملائكة في أكثر من صورة من الصور التشخيصية، علماً بأن العالم ورد في لسان العرب " فإن جعل اسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة "([٤٠]) ومن هذه العوالم كان العالم " الإنساني " الذي يختص بالإنسان وعلاقته بغيره ، تقول :

إنها لعـــنةُ الـــسـماء على العـــــا لَمِ مـــسدولةَ الـــرؤى مكفـــــهرّه
كلما ذاق قطـــــرة من نـــعـــــيـــمٍ أعقبتها مـــن الأسى ألف قطره([٤١])

نسبت للعالم صفة إنسانية " الذوق" وجعلت له أحوالاً إنسانية " السعادة ، الأسى " ، وهذا العالم الإنساني أصبح إنساناً يقبع تحت وطأة الظلم ويتجرّع الأسى والحزن ويذوق ويلاته مراراً ولا يكاد ينعم إلا قليلا؛ فقد حلت عليه لعنة ، فمصيره الشقاء والتعاسة ، وهذا انعكاس لنفسية الشاعرة الحزينة فأصبحت ترى العالم بأسره حزيناً، وأخذت تعلّل سببا من أسباب حزن ذلك العالم فتقول :

استرح أنت ، نمْ ، دع العالَم المحـــ ـــزون يحيا في ظُلْـــمة الأرجاسِ
دعْهُ فـــي غـــيـــِّه فـــما كان هابيـــ ـــلُ القتيلَ الوحيد بـــين الناسِ([٤٢])

---

[٤٠] - ابن منظور، لسان العرب ،ج٤، ص ٣٠٨٥ .
[٤١] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص٧٠.
[٤٢] - المصدر نفسه ، والصفحة عينها .

يظهر فقدان الشاعرة للأمل فترى أنه لا سبيل لانتشال العالم مما يعانيه فصار " محزونا " يسوده الظلم والغيّ والقتل، وعبّرت باسم المفعول" محزون " لتبين أن هناك سببا لهذا الحزن وهو انتشار القتل والظلم فهذا حزن متجدّد، ومرد ذلك الحزن مقتل قابيل لأخيه هابيل فهو أول دم سُفك في تاريخ البشرية ، فكانت الحروب امتدادا لهذا الظلم ، فتقول:

أيها العالمُ المخرَّب قد أســـــــفرتِ الحربُ عن غـــــلاب المنايا (٤٣)

فلذلك كُتب عليه الحزن والخراب فجعلته إنسانا باستعمالها نداء العاقل " أيها"، ثم تسرد لنا سبباً آخر لحزن هذا العالم ، فأبناؤه وهم الناس الذين يعيشون فيه يشكون الجوع والمرض ، أفلا يحق له الحـــــــــزن! تقول:

عـــالم مظلم يـــضجُّ به المـــرْضَى ويـــشكـــو من الطَـــوىَ أبناهُ (٤٤)

فقد بدأ العالم ينهار ، يائسا من الحياة فلا نصيب له من ملذاتها أو الراحة فيها، باكيا، خائفا ،لم يبق له إلا الآهات يرددها فتقول:

طُفْ بأنقـــــاضِ عالـــمٍ ليس يدري هل سيحظى بمبهجات الحـــــياةِ ؟

هو إن نامَ لحظةً هـــبَّ مـــذعـــــو راً ليبكي ويـــرسلَ الآهـــاتِ (٤٥)

فتتحسّر الشاعرة لحال هذا" العالم" الذي كره هذه الحياة البائسة بسبب ما فعلته به السنون فقد أذاقته البؤس والشقاء ، وانعكس حزن هذا العالم على كل من عاش فيه فهو حزين بائس فتقول :

عالمٌ كلٌّ من على وجـــــهه يَشْـــ ـــقَى ويقضي الأيامَ حزناً ويأســـا

جرّعتْـــهُ السنينُ حنظـــــلَها المرَّ فعافَ الحياةَ عـــينـــاً ونفـــسا(٤٦)

---

٤٣ - المصدر نفسه ، ص٧٧.

٤٤ - المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

٤٥ - المصدر نفسه ، والصفحة عينها .

٤٦ - المصدر نفسه ، ص٨٣ .

وتقول:

رقد العالَمُ المعـــــــذَّبُ تحت الــ ليلِ فارقد واترُكْ بقايا النشيد ([٤٧])

ومازالت ترثي لحال العالم فهو يقبع باستسلام تحت وطأة العذاب والظلم وهذا ما توحيه " رقد"و" المعذَّب " التي جعلته ينتمي لعالم الإنسان ، أو أنّ العالم المعذّب وجد له راحة بالوحدة والعزلة كذلك نفس الشاعرة ترتاح بالوحدة والعزلة ، فربّما تكون مهرباً مما تقاسيه وتعانيه .

إذاً العالم كما تراه الشاعرة حزيناً، معذَّباً، يائساً، باكياً ، فأثار هذا العالم شجنها وأحزانها لكن ما تلبث أن تجعله هو الجاني والمذنب في حقها وحق كل إنسان ، بل وتطالبه أن يُكفِّر عن تلك الذنوب فتناديه قائلة:

أيها العالمُ الــذي اقــتــرفَ الذنــ ــبَ أما آنَ أن تكفِّر عــنه؟ ([٤٨])

و تنعته بالسافل للنيل منه ، فتقول:

عــالـــــمٌ سافــلٌ يضجُّ من الإثــ ــم ويحا بين الهُوَى والظلامِ ([٤٩])

فتراه حقيراً يمتلئ إثما ويعيش في ظلام ، يكاد يتردّى في أي وقت فجعلت له صفات إنسانية لتعبّر عن مشاعرها تجاهه ، فتصفه بالطمع فقد يموت أو يحيا لأجل الغنى، فكيف لا يكون آثما في نظرها ؟ فتقول :

في ضــبابِ الخــيالِ أمشي وحولي عــالم للغِنى يمــوت ويحــيا([٥٠])

وتقول:

---

[٤٧] - المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .
[٤٨] - المصدر نفسه ، ص٧٥ .
[٤٩] - المصدر نفسه ، ص١١٦.
[٥٠] - المصدر نفسه ، ص ١٢٠.

لم أجدْ في القـــصور إلا قــلــوباً حائراتٍ وعالماً محـــــــزونا([٥١])

لكن الغنى لم يجلب السعادة فحتى عالم الأغنياء والقصور المترفة ، كان عالما ينتشر بين جنباته الحزن والألم فعالمهم حزين أيضاً ، وقلوب أصحابه تائهة لا تشعر إلا بالحيرة والقلق ، وفارقتها السعادة .

فهو عالم يسوده الشر والإثم ويحب اللهو ويرى " الشعر" حماقة وجهالة فتقول :

لستُ ألقى حولي ســوى عالمٍ يَشْــ ــقَى وَيَلْقَى عزاءَهُ في الشُــرُورِ
ويبيع الحيــاةَ بالمُتَعِ الحــــــمــــ ــقاءِ والإثــْمِ والأَذَى والغــرورِ
ويرَى اللهــو في الحـــــياة أمانيــ ــهِ ويدعوالخيالَ والشِعْرَ حُمْقا([٥٢])

فرغم شقاء هذا العالم لم يمنعه ذلك من التلذذ بالشرور والأذى والغرور وكان الفعل المضارع " يشقى ، يبيع ، يرى " دالاً دلالة الاستمرارية والمعايشة في الحياة لهذا العالم ودليل ديمومة هذه الأفعال على مدار الساعة فهو شرير لذلك استحق ماهو فيه، مغرور، محب للهو لا طائل منه ، ساخر من الشعر والشعراء وخيالهم ويراه جهلاً، فإذا كان هذا ما يظنّه فهو الأحمق الجاهل فتقول :

كلٌ شيء في العالمِ الأحمــق الجــا هلِ يخبـــــــو ويستحيلُ هباءَ([٥٣])

فهذا العالم المتناقض ؛ تارة جانٍ وأخرى مجنيّ عليه قد شارف على الهلاك بعد أن غدا مجنوناً بسبب ما عاناه وعاشه ، ولعلّ كذلك حال الشاعرة في صراعها مع هذه الحياة فصارت نفسها قلقة تتأرجح بين رؤى متناقضة فتقول:

فلماذا إذن مــَشى العالَمُ المجــنونُ للمـــــوتِ والأذَى والدَّمَــارِ([٥٤])

---

[٥١] - المصدر نفسه ، ص٨٥ .
[٥٢] - المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .
[٥٣] - المصدر نفسه ، ص ١٥٦.
[٥٤] - المصدر نفسه ، ص ٢٣٤.

فتجعل العالم إنساناً ، لكنه مجنون إثر انسياقه للموت " مشى" فتوحي أنه كامل الإرادة مقدم على الموت والدمار ، فتتسآءل متعجبة من فعله .

- **الـــكـــــون:**

ينطوي تحته الحياة بما فيها من أحداث ومجريات تقع على الكائنات الحية وورد في لسان العرب " الكون : الحدَث ، كان كوْناً وكينونة ([٥٥])، والتكوّن التحرّك ، والكائنة: الأمر الحادث ([٥٦])"، وتراه الشاعرة إنسانا معذّباً مقيّداً بقيود الشر والإثم لا حيلة له، فكيف له المسكين أن ينجو من هذا الأسر! كما تبيّن هذه الأبيات :

يالهذا الكون المعذب في قـيـــــدٍ مـــن الـــشرِّ والأذَى والأثَـــــــام
كيف ينجو من الآسى ومتـــى يَشْـــ ـــــفى من الموجعـــاتِ والآلام ؟
كيف ينجـــو والطـــبعُ والقـــدَرُ القا سي يَسُوقانِهِ إلـــى الأحزانِ؟([٥٧])

فهي تحزن لحزنه وتتسآءل هل ستندمل جراحه؟ وهكذا نفس الشاعرة وروحها الحزينة هل ستُشفى مما تكابده ؟ فالكون بأسره يشاطرها ذلك الحزن والأسى ، ثم تنفي نجاته فكأن الكون إنسان قيّده طبعه الآثم وقدره الذي قُدّر له ؛ فكل هذه أسباب دفعته للحزن بل " ساقته " رغما عنه وترمز الشاعرة إلى أن قدَر الإنسان هو الحزن والأسى ولا مناص للإنسان من هذا الشقاء فتقول :

ليس حـــولي إلا دياجـــيـــرُ كـــونٍ ليس يفَـــنْـَى بـــــكاؤه وأَساهُ ([٥٨])

وتبلغ قمة حسرتها فتقول :

جفَّ نبـــعُ الدموعِ والدمِ يا كـــــو نُ فهلاّ رثيتَ للأ شـــقياءِ ؟ ([٥٩])

---

[٥٥] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص ٣٩٥٩.
[٥٦] - المصدر نفسه ، ص ٣٥٦٠.
[٥٧] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص٧٥ .
[٥٨] - المصدر نفسه ، ص ٨٣.
[٥٩] - المصدر نفسه ، ص٧٥.

فالدمع والدم نضبا لكثرة ما بكى الإنسان وما أريق من دماء ، فتنادي الكون الحزين وتخاطبه خطاب العاقل راجية أن يعطف على الإنسان الذي ذاق الشقاء والأسى ، فلعله يشعر به ويرثي لحاله ، كما ترثي هي لحال هذا الكون وتقول :

ومـــتى ينتهي الشـــقاءُ مـــــــتى يَرْ تاح كـــونٌ ذاق العذاب قروناً([٦٠])

الأسى أحاط بهذا الكون ، فلم يمنعه من التبسّم رغم أحزانه عكس الشاعرة ، فلقد أقام الحزن في قلبها وبدا ظاهراً حتى في عينيها ، فكأنّها تمنّت أن تحذو حذو هذا الكون وتبتسم فألا وأملا بنهاية الشقاء والحزن ، فتظهر المفارقة بين حال الكون المبتسم وحال الشاعرة الحزين ، فحتى في حال السعادة مازالت تشعر بالحزن ، فأي حسرة تلك ! تقول:

الكـــونُ مـــبتســـمُ فـــأيّةُ لوعـــــةٍ

يا مقلتيَّ تلوحُ في جَفْنيكما ؟ ([٦١])

- الـــــوجـــــــود :

" وجد مطلوبة والشيء يجده ، وجودا ([٦٢])، ووجد الشيء عن عدم فهو موجود ، أوجده الله تعالى ([٦٣])" فالوجود كل ما كان له وجود حسي أو معنوي فهو الحياة بأوسع معانيها ، وما زالت الشاعرة ترى الوجود مرآة لحزنها :

لم أزل أصـــرفُ اللـــياليَ أبـــــكي وأغني حزنَ الوجـــــودِ الشقيِّ([٦٤])

فنسبت للوجود صفة "الحزن "وصفة "الشقاء"، وكعادة الشاعر يشارك الوجودَ حزنه، فشعره ليس إلا رثاء وبكاء على هذا الوجود، فصار حزنه أغنية تدندن بها الشاعرة في كل حين فتقول:

---

[٦٠] - المصدر نفسه ، ص٨٣ .

[٦١] - المصدر نفسه ، ص ٣٣٧.

[٦٢] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص٤٧٦٩.

[٦٣] - المصدر نفسه ، ص ٤٧٧٠ .

[٦٤] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص٦٣.

ويصـــــوغ الألحانَ يرثي لبـــــلوا همْ ويبكي على الوجودِ الحزينِ([٦٥])

وتعلّل حزن الوجود لما فيه من جراح ملأت قلبه ألماً وكمداً فلم يجد له ملاذاً غير الدموع ، فأسندت للوجود عدداً من الصفات " الحزن ، القلب المجروح ، النسيان " فجعلت للنسيان ضفافا تغطيها الأمواج فتناديها متمنية أن تعمّ الوجود لينسى آلامه ، فتقول:

ياضـــفافَ النسيـــانِ ياليتَ هذا الـــ موجَ يَطْغَى على الوجودِ الحـــزينِ

يغـــسلُ الإثـــمَ والدمـــــوعَ ويأســـو كلَّ جـــرحٍ في قلبه المطعونِ ([٦٦])

لكن هذا الحزن لابد أن ينتهي فالإنسان لن يبقى طويلا ، فالموت هو الخلاص من هذا الشقاء فتخاطب آمالها وأمانيها بأن الحياة قصيرة وقد لايتسع الوقت لتحقيقها :

ثم مـــاذا ؟ من قـــــالَ إنّي سأبـــقى في الوجودِ الحزين يا آمـــالي([٦٧])

اللوحة الثانية: المـــوت :

الموت مصير كل حي ، وبموت الأحياء تفنى الحياة ويصير العدم ، وللشاعرة منظور خاص تجاه الموت فتقول:

يارُفاتَ الأمـــوات في الأرض ماذا رَسَم الموتُ فوق هذي العيـــونِ ؟

أيّ رعبٍ وحـــــــسْـــرَةٍ وشَكاةٍ أيُّ معنًى من الرجـــاء الحـــزينِ؟

كل عينينِ فيهما صـــــــور تبـــــ ـــكي وترثي للعالم المغرورِ ([٦٨])

تسند الشاعرة للموت صفة إنسانية وهي" الرسم " فالموت قد رسم صوراً معينة تثير الرعب والخوف والحزن والبكاء على العالم ، فشخصّت " الصور" باكية بحسرة على مايعانيه العالم الحزين.

---

[٦٥] - المصدر نفسه ، ص١٠٣.
[٦٦] - المصدر نفسه ، ص١٣٥.
[٦٧] - المصدر نفسه ، ص ١٥٠.
[٦٨] - المصدر نفسه ، ص٧٤.

فالحياة كلها أحزان والموت يتربص بالإنسان ويناديه فلماذا لا يلبي الإنسان هذا النداء ،فالموت هو مصير محتوم فليس من سبب يدعوه للبقاء في شقاء الحياة فتقول:

ولماذا نـــبـــــقى هنا؟ أســمعُ المو تَ ينـــادي بنا فلم َلا نُجيبُ ؟([٦٩])

حتى العشاق وما عانوه من وجد وألم ، لم ينجوا من قبضة الموت، فلم يشفع لهم ذلك عنده ، فهو مصيرهم فتقول :

ثم جـــــاء الصبـــاحُ يوماً وقيـــسٌ في يد الموت ذاهلٌ مصروعُ ([٧٠])

ولم يكتفِ بالعشاق بل طالت يده الشعراء فتقول:

آهِ يابلبـــلي وقد جـــــــــاءكَ المو تُ أخيـــراً وغبت َعن دنيـــانا([٧١])

فترثي الشاعرة العشاق والشعراء ؛ فتخاطب الموت وتعاتبه متعجبة كيف هان عليه قتل الحب بقتل العشاق ، وقتل الشعر بقتل الشعراء فبدونهما لا تكون حياة ، فجعلت للموت يداً لا تسطو إلا على الشعراء رغم أن شعرهم هو سلوة هذا العالم ، فإذا كان ذاك فعله فهو شرير عنيد فتقول :

أيُّهـــــا الموتُ أيّـــهـــا الماردُ الشرِّ يرُ يا لعـــنةَ الـــزّمانِ العنيـــــــدِ

كيـــفَ ترضى يداكَ أن تقتلَ الإلـــ ـــهامَ؟ ماذا تركتهُ للوجـــودِ ([٧٢])

فتخاطب الموت بما يخاطب به الإنسان وتنعته بصفات إنسانية " الشرير، يداك ، تقتل" ثم اعتبرت الشاعرة أن هذا تجنّ وظلم للشعراء فالموت لا يقصد إلا "الشعر"، وإمعان في ظلمه لا يقصد إلا الشاعر البليغ وهو في مقتبل العمر وزهرة الشباب وأوج الشاعرية، وتشير إلى نفسها فيبدو ما تعانيه من مخاوف إزاء الموت، فأنى لها

---

[٦٩] - المصدر نفسه ، ص ٤٧٧ .

[٧٠] - المصدر نفسه ، ص١١٦.

[٧١] - المصدر نفسه ، ص٣٨٤ .

[٧٢] - المصدر نفسه ، والصفحة عينها .

السرور والموت لا مهرب منه فعبرت عن ذلك بـــ " اليد" التي توحي بمعنى القوة والقدرة والاستطاعة!

يا يدَ الموتِ فيمَ كان نصيبُ الشـــ ـــــــاعر الفذِّ منكِ هــذا التجنّي

فيم لا تُطْفــئين إلاّ مــناهُ ؟ وهو في ميعةِ الشبـــــابِ الأغنِّ؟([٧٣])

ثم تهدأ نفس الشاعرة فيخف توترها ؛ فتؤوب إلى إيمانها وتحكّم العقل فتعرف أن الموت لا حيلة له ولا خيار فلا فرق بين صبي أو غيره ،ولتقريب المعنى شخصّته في هيئة إنسان بقولها" كف، يدان ، اختارت" فهو يصيب الإنسان لكن بدون إرادة منه ، بل هي مقادير يقدرها الله تعالى كيفما شاء ، فتقول:

فإذا مــاتَ في صِــبــــاَهُ فما اختا رَتْهُ كفُّ المنونِ للأكـــــــــفانِ

وإذا عاشَ مايشـــاءُ فما لِلْـــــموتِ في عُمْرِهِ الطـــــــويلِ يدانِ ([٧٤])

لكن سرعان ما تطفو على السطح انفعالاتها النفسية ، وتتحسر على شبابها فالشباب هم من يفضلهم الموت لكنها ستواجهه ولن يثير ذلك حزنها ،وفي سابقة غير معهودة إذ تنفي عن نفسها الحزن فليس في الحياة ما يستحق أن تحزن عليه، ولعل هذا النفي يومئ إلى تعاستها ، فتتضح نظرتها للموت ، فعند الموت تنتهي أحزان الشاعرة:

سوف ألقاكَ غــيــرَ محـــــزونةٍ يا موتُ في ميعة الشباب الغَرِيدِ([٧٥])

فتخاطبه مخاطبة العاقل لتؤكِّد أن شعرها هو سلوتها في هذه الحياة فإن غاب فالموت هو ما تفضله ، وحينئذٍ ترحب مسرورة بلقاء الموت الغائب المنتظر :

ليس في الكونِ بعد شعــري مايغــ ــري فؤادي فــمرحباً بالممــاتِ

---

[٧٣] - المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

[٧٤] - المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

[٧٥] - المصدر نفسه ، ص١٥١.

ســوف ألقى الموتَ المحبَّب روحاً شاعريّاً يُحبُّ صَــمْتَ الترابِ([٧٦])

لتعلن أن الموت هو قدر الإنسان فالإنسان لا يقوى على صدّه أو الفرار منه ، فهنا مكمن الضعف الإنساني الذي يشهد به الموت وهذا سبب من أسباب حزنها ، فعلامَ تنسج الأماني وتتشبث بالآمال! :

أيُّ مــعنَى لطُمــــــوحي ورجـــائي
شَهِدَ المـــوتُ بضَــعْــفي البَـــشريِّ
ليس في الأرض لُحُزْني من عــزاءِ([٧٧])

إذاً الموت هو المصير ، فالموت لا يأبه للإنسان ، بل ساخر مستهزئ بسعادته التي عبّرت عنها بـــ " أزهار " ويسخر من متعته " أغاريد " وهو الشعر ، فالموت لا يلقي بالاً للجمال والسعادة فكلها تذوي وتفنى:

أهـــكـــــذا تَفْـــنَـــى أغــاريــدُنا
ويـــــهــزأ المـــوتُ بــأزهــارها([٧٨])

لم يعد لها إلا أن تستجدي رحمته، وعطفه على قلب تعلّق بالحياة وأصبح لديه أمل بالغد بعد الأسى والحزن ،ويدل ذلك على قسوة الموت الذي جاء في وقت بدأ الأمل فيه يتسلّل لنفس الشاعرة التي بدأت تنظر للحياة بعين الأمل فتخاطبه:

رحمــةً بي، يا أيــّها الموتُ، وأرفق بفـــؤادٍ نالتْ هَـــوَاهُ الحـــياةُ
أَعْفِنِي الآنَ من مــفــارقــة الدنـــــ ــيا ودَعني إلى غدٍ يا مَمَاتُ ([٧٩])

[٧٦] - المصدر نفسه ، ص ١٥١.
[٧٧] - المصدر نفسه ، ص٢٨٨.
[٧٨] - المصدر نفسه ، ص ٣١٨ .
[٧٩] - المصدر نفسه، ص٢٩٧ .

لكن الشاعرة أدركت أن حزنها " الآهات " أو تفاؤلها بإقبالها على الحياة لن يجدي نفعا، فالحياة لم تعطها السعادة ،والموت يرصدها ، فاستسلمت له ، بل تناديه وتحثّه على الإقبال :

لن تنـــالَ الآهاتُ من خافــق المــو تِ ولن تُصْغيَ الحــيـــــاةُ إليّا
فودَاعاً من قلبِ عـــاشــقة الليـــلِ وَدَاعــاً وأنتَ يامــوتُ هَيــّا ([٨٠])

إذاً الحياة لم تعطها من نعيمها فودّعتها " عاشقة الليل " وهو لقب شاعرة الحزن والعزلة فتنادي الحياة التي عشقها الناس وتهافتوا عليها لكنها " ليل " بكل مافيه من حزن ووحدة وخوف لتصدر اعترافا أن الموت هو المسيطر على الحياة بأكملها :

ياحياةً هِـــمْنا بــهـــا وهْيَ لــيل يأْمرُ الموتُ في دُجَاهُ ويَنْهَى([٨١])

فالناس في الحياة ما بين حزين وحائر ، صامت وباكٍ ، فحالهم تثير الأسى ولكن ذلك لم يشفع لهم فيعفو الموت عنهم ويخلي سبيلهم ؛ لتؤكد أن الموت مصير محتوم فتقول :

ليس يعفو الممـــاتُ عنهم فهم حز نٌ وصمتٌ وحــيرةٌ وبــكاءُ([٨٢])

فالموت يتحدّى البشر ويسخر من أحزانهم في هذه الحياة ، فشخصّته إنسانا قاسياً لا يعفو عن الضعفاء بل يسخر من ضعفهم ويتحدّاهم ضاحكاً، فالناس ما بين حجري رحى ؛ الحياة وحزنها من جهة، و الموت ومخاوفه من الجهة الأخرى :

وداهـــــــيةٍ من دواهي المـــنو ن ترهــبُها الناسُ لا فـــــــالَها

---

[٨٠] - المصدر نفسه ، ص٢٩٩.
[٨١] - المصدر نفسه ، ص٣٤٥ .
[٨٢] - المصدر نفسه ، ص٨٥ .

تتـــحدّى الأحـــياءَ قـــــهقهـــةُ المو تِ وتبقى الحياةُ ليلاً دجـــيـــّا ([٨٣])

فبدأ يجرم في حق الإنسان ويفعل به الأفاعيل حتى اشتكى منه البشر:

هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ

الموتْ، الموتُ ، الموتْ

تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ ([٨٤])

وتؤكّد بحسرة ولوعة أن الموت هو الفاعل بتكرار مفردة " الموت " فأحزان البشريّة سببها الموت ، ومن جرائمه التي ارتكبها مرض" الكوليرا" في مصر الذي خلّف وراءه الكثير من الضحايا .

[٨٣] - المصدر نفسه ، ص١٦٥ .
[٨٤] - المصدر نفسه ، ص ٤٩٩ .

- الفـــنـــــاء:

"الفناء :نقيض البقاء"([٨٥]) أي الزوال . ترثي الشاعرة الإنسان ، فإنه إذا مات ترافقه الوحدة والظلام في قبره، فالإنسان بعد مماته يفنى، فللفناء أيد ؛ يحكم قبضته على الإنسان فلا يبقي له أثراً :

هو والوَحدةُ المــريرةُ والــظلْـــــ ـــمةُ في قبره المخيـــــفِ الرهيبِ

تحت حكم الديدانِ والشوكِ والرَمْـــ ـــلِ وأيدي الفَنَاءِ والتعــذيبِ ([٨٦])

إذاً الديدان والأشواك والتراب قد حكمت على الميت "والفناء يُجري ذلك الحكم " فتفعل ما تشاء بالميت فيأكله الدود ويأخذ منه الشوك ويحلّله التراب وأخيرا يحيط به الفناء وهذا هو العذاب كما تراه الشاعرة ، وتتسآءل بحسرة هل تستطيع الهرب من هذا الأسر الذي كبلها! وهي تعلم يقينا أن لا مناص ، وهنا يكمن إحساسها بالألم:

أينَ أمضي ياربِّ أم كــيف أنــجو من قيــود الــفَنَاءِ والأيَّامِ ؟ ([٨٧])

إذاً الفناء لم يُبق أثرا للإنسان ، كذلك فعل بالضوء فقد أخفاه الفناء ولم يبقَ منه إلا الشفق وهنا تصف الشاعرة الغروب وتعلله بأنه من فعل الفناء، فقد حجب ضوء الشمس إيذاناً بدخول الليل كما يحيق بكل معاني الخير والأمل والجمال في الحياة:

غَرِقَ الضــوءُ وراء الأفـــــــق

وخــلا العالـــَــمُ من لون الضياءْ

لــيس إلاّ رَمــَق في الشــفَـــــق

حــائلُ قد كاد يمحوهُ الفَنَاءْ ([٨٨])

---

[٨٥] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٤١١ .

[٨٦] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص١٤٠ .

[٨٧] - المصدر نفسه ، ص١٤٨.

[٨٨] - المصدر نفسه ، ص ٣٢٣ .

فالمعاني الجميلة في الحياة ليست إلا أصداء لصوت الرياح ، فهي أوهام لاوجود لها ، وحتى إن وُجدت فلا معنى لها ، ويرجع ذلك إلى أن الفناء يرصدها ويتتبعها، فكيف تتلذّذ بحياة ، الفناء لها بالمرصاد:

قالوا وقالوا

ألفاظُهـــــم لاكــت تَرَدّدُهَا الرياحْ

في عالــمٍ أصــواتُهُ الجوفاءُ يرصُدُها الفناءْ ([٨٩])

-العـــــــدم :

" العَدَم :فقدان الشيء وذهابه " ([٩٠]) إذا فنيت الحياة فعندها سيكون العدم ، فالعدم هو اللاوجود ،فتقول:

وآثارُ أقدامِنا في طريقِ الزمان الأصَمْ

تمرُّ عليها يدُ العاصفة

فتمسحُها دونما عاطفة

وتُسْلُمها للعَدَمْ

ونحنُ ضحايا هنا([٩١])

فالزمن لم يأبه لوجود الإنسان ولا لآثاره في الحياة فصيّرته إنساناً فاقداً لحاسة السمع، و صار للعاصفة يد تحاول بها إزالة تلك الآثار بقسوة وتقدّمها بطواعية للعدم الذي سيجعلها كأن لم تكن ، فالعدم " يستلم " أي يأخذ بيده ما بقي من أثر للإنسان فيذهبه، كأن لم يكن شيئاً .

---

[٨٩] - المصدر نفسه ، ص ٤٦٢ .

[٩٠] - ابن منظور، لسان العرب ، ج٤، ص٢٨٤٢ .

[٩١] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ٤٧٣ .

وكعادة الشاعرة التعبير عن ألمها فجسدها يتألم ومشاعرها مقيّدة ، وهي بين نقيضين العدم ذو صوت خافت " يهمس" والهمس لا يكون إلا من قريب بينما الوجود يصرخ بصوت عال معلن عن نفسه بقوة ، فالشاعرة تشعر بالألم بسبب مخاوفها من الموت ، وما يحدث في الوجود من شرور، فالوجود يصرخ فهو الواقع بكل ما فيه ، والعدم يهمس ،لإحساسها بقربه الشديد منها:

جَسَدي في الألمْ خاطري في القيودْ
بين هَمْس العَدَمْ وصُرَاخ الوجودْ[٩٢]

اللوحة الثالثة :- الحـــزن :

بين الشعر والحزن علاقة وطيدة ، فالشعر للمحزون وسيلة حياة [٩٣]، فالحزن مفردة أخذت حيّزاً كبيراً من شعر نازك الملائكة ، من كآبة ووحدة وأحزان أودت بها إلى الأسى الذي نتج عنه ألم فدمع ، تقول :

عجباً كيف تُسْهِر الشاعرَ المُلْـ ـهَمَ أحزانُ من عن الحزنِ ناموا[٩٤]

فالأحزان شَخُصت عند الشاعرة ؛ فصيرتها إنساناً له القدرة على منع الشاعر من النوم فتتعجّب من حال الشاعر كيف تستطيع أحزان غيره أن تُسهره وهم نائمون ؛ إذاً الحزن تمكّن من الشاعر لرهافة حسه فهو يحزن لحزن غيره ، فما دام الشاعر قد تغنّى بـ" الشعر" فلماذا ترافقه الأحزان التي باتت معه في كل وقت ! وتحثه على عدم الاكتراث بها، فبالشعر يسعد:

ليس يعنيكَ أن ترافقَكَ الأحـ ـزانُ ما دمت مُلْهَما صَدّاحا[٩٥]

ثم تخاطب الأحزان وتسألها لماذا لا تستهدف إلا الشباب وما الذنب الذي فعلوه ؟

---

[٩٢] - المصدر نفسه ، ص ٤٦٣.
[٩٣] - إيمان بقاعي ، نازك الملائكة والتغيرات الزمنية ، ص٤٣ .
[٩٤] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج، ١ص ١٠٥.
[٩٥] - المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

وحتى تستدر عطفها تخبرها بأنهم قد ذاقوا من الحزن ما يكفيهم ، فهلّا قنعت بتلك الأحزان فالشباب يرزح تحت ثوران العاطفة والعقل ، ولعلها أرادت الشعراء بشكل خاص ، إذ ستكون معاناته أكثر ألماً وأغزر تدفقاً :

فيمَ كـــان الشبابُ مـــرماكِ يا أحـــ ـــزانُ ماذا ترى الشبـــابُ جَنَـــاهُ؟

فـــــيمَ لا تعـــصرينَ إلا صِـــــبَانا حَـــسْبُنا يا أحزانُ ما ذقـــناهُ (٩٦)

ثم أخذت الأحزان بالاستبداد فجعلت الناس عبيداً لها ، فصار الإنسان دائم الحزن تسيّره أحزانه كيفما شاءت ، فالروح صارت خاوية لم تمتلئ بالإيمان ، فسيطر عليها الحزن:

فلقد طالما أحـــسُّـــوا بجـــــوعِ الـــ ـــروحِ واستعـــبدتهمُ الأحزانُ(٩٧)

إذاً الأحزان قد ظلمت الشباب ، وكذلك الأطفال لم يسلموا منها ؛ فلم َ بكاء الطفل ساعة ولادته؟ فإنه يبكي حزناً لما سيلاقيه من أحزان في هذه الحياة:

يا لَظـــلمِ الأحـــزان ما سلِـــم الأط ـــفالُ من أسرِها ولا الشبـــَّـــانُ

كم وليـــدٍ يبكـــي ومـــا تعلم الأمّ لمـــــاذا يبكي وما الأَحـــزانُ(٩٨)

بما أن الأحزان أصبحت هي الرفيق ، فتريد الشاعرة أن تصاحبها أحزانها حية أو ميتة فقد أصبحت تهواها، ويظهر جلياً هدوء نفس الشاعرة فيبدو أنها قد تصالحت مع أحزانها ورضيت بصحبتها ، ومع ذلك تشعر بجمال الوجود من حولها فنظرتها أصبحت أكثر تفاؤلاً وموضوعيّة فحزنها لا يعني حزن الوجود ، فحزنها الشخصي لم يعد له انعكاسات حول عالمها في تلك الفترة:

سوف أهواكِ يا دمـــوعي وأحـــزا نـي ما عِشتُ في الوجودِ الجمـــيلِ

فا صْحَبـــــيني إذا عشـــتُ في العا لم أو حانَ عن ثـــرَاهُ رحيلي(٩٩)

---

٩٦ - المصدر نفسه ، ص١٤٧.

٩٧ - المصدر نفسه ، ص٨٥ .

٩٨ - المصدر نفسه ، ص١٤٢ .

٩٩ - المصدر نفسه ، ص١٦٠.

حتى الأغنياء لم ينجوا من قبضة الحزن ، فالحزن سيّطر على قلوب الناس من فقراء وأغنياء ، فإذا الغنيّ لم ينجُ من الحزن فكيف بالفقير ؟!

ليس يُنْجيهمو الغِنى من يد الحُـــزْ نِ وإن طاولوا الذُرَى بالغرورِ[١٠٠]

وتتحسّر الشاعرة على حياتها كيف أنها قضتها في الحزن فجمّدها واختصرها ، فحياتها كانت حزينة فأسندت للحزن صفة إنسانية " طواها ":

خــدَّر الحزنُ حيـــــــاتي وطـــــواها

لم تَعُـــدْ تعــنينيَ الآنَ الحيـــــــاةُ[١٠١]

فقد دفنت الأحزان حياتها، وصارت مشاعرها الحزينة تسيطر عليها، فأيامها مابين حزن وألم وخلجات أرهقت نفسها، فغدت حياتها قصيرة قضت معظمها في الأحزان:

أسفاً لستُ سوى حُلْمٍ على الأرضِ قصـــــيرٍ

تَدْفِنُ الأحزانُ أيّامي ويلـــهو بي شُعوري[١٠٢]

فالأحزان لم تُبقِ على شيء من نفس الشاعرة ؛ فقد استولت عليها جسداً وروحاً ، و أخذت كل ما تملكه ، فحياتها حزن ، وشعرها حزن ، ونفسها حزن ،فأخذت تستدر عطفها وترتجي رحمتها :

رحمةً بي، مالذي قد أبقتِ الأحزانُ منّي ؟[١٠٣]

ثم تقول:

عَـــــرفتُ بها وجه حزني الدفـــين وقد عاد يَحملُ جرحي القـــــــديم

وفي يـــَده مُديـــــــةٌ لـــــم يـــَزَلْ على حدّها دمُ أمسي الألـــيم [١٠٤]

---

[١٠٠] - المصدر نفسه ، ص ٢٤٤.

[١٠١] - المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ .

[١٠٢] - المصدر نفسه ، ص٣٥٧ .

[١٠٣] - المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

[١٠٤] - المصدر نفسه ، ص٥٠٨ .

أصبحت الشاعرة وثيقة المعرفة بالحزن تعرفه وتميّزه بعلامات معينة وهو خاص بها إذ أسندت إليه " ياء المتكلم" فرغم أنه قد غاب ما لبث أن عاد ، فعرفت أنه حزنها فمن سماته أنه كان حاملاً جرحها ، فصوّرت جرحها بشيء مادي محسوس يحمله الحزن بيد يديه وفي الأخرى سكين بها آثار دم ، فقد تجدّدت أحزانها والدم يخص ماضي الشاعرة الذي ليس بأفضل حال من يومها بل إنه أشد إيلاما منه ، إذاً الحزن قاتل لا يألو جهداً في تعذيب الشاعرة وتأليب جراحها ، فمهما حاولت إخفاء حزنها فهو يعلن عن نفسه بصراحة فالحزن له" وجه ، ويد، "ويقتل ويحمل سكينا فهي صورة متعددة الأطراف ما بين حزن قديم وحزن جديد فهو" لم يزل" عبّرت بالمضارع كناية عن استمرا ر أحزانها.

- الأســـــى :

عُـــــدْ فـــالكآبةُ أغرقَتْ بظلامـــها
روحي ، فلـــيلي أدمُعُ وشُـــجـــــــونُ
عُدْ ، لاتَدَعْ نفسي يعذبهـــا الأسى ([١٠٥])

تتمنى الشاعرة عودة من تحب إذ في حال غيابه غرقت روحها في الكآبة والحزن ، فللكآبة ظلام خيّم على نفسها ، وليلها صار دمعاً وشجناً على فراقه فترجوه العودة حتى لا يترك للأسى فرصة لتعذيب روحها ، فالأسى صار إنساناً يتحيّن الفرصة لتعذيبها، أما الكآبة فقد صارت إنسانا أغرق روحها في الحزن والاكتئاب فغدت دائمة الكآبة والحزن .

وهذا الحزن جعلها لا تبارح مكانها والأسى شاهد على ذلك، فقد سيطر عليها وعلى حياتها وجعلها حائرة ، فحياتها قد توقّفت بسبب حزنها على ذهاب من تحب :

[١٠٥] - المصدر نفسه ، ص ٣١٢.

ما زلتُ مــنذُ ذهَبْتَ حَيــْرى في الدُجى

شهِدَ الأسى أنّي لزمــتُ مكانيــا ([١٠٦])

الإنسان مخلوق ضعيف من ماء وطين وهذا دليل على ضعفه لذلك لا يقوى على تحمل الأسى، فالأسى غدا إنساناً يصرخ بصوت قوي يعذب الإنسان ، فالأسى تردد صداه الحياة ، فكل ما في الحياة يبعث على الأسى:

على الأرضِ حــفْــنَــــةُ مــاء وطيـــنْ

تُعـــــــذَّبُها صَــرَخـــاتُ الأسى([١٠٧])

وحين خروج روحه تودّع العيون أحبابها ، وهنا يواسي الأسى هذه الروح مشفقاً عليها عند رحيلها فيكفيها ما عانت من أحزان ، ويشارك الدمع في هذا العزاء فقد صار الدمع صديقا للإنسان منذ وجوده في الحياة ، فأسندت للأسى صفة " الشفقة "وللدمع صفة " الصداقة " وللروح " الرحيل " وللفؤاد " الحنان "وللعيون " الوداع "وكلها صفات تنتمي لعالم الإنسان وتتضح المفارقة عند وصفها للأسى فهو يعذّب وهو أيضا يشفق ولعلّ ذلك يعود للصراع النفسي الذي تعاني منه الشاعرة :

وهي الروحُ حــين ترحَلُ تهــفــــو لفؤادٍ حانٍ وصدرٍ خَفُـــــــــوق

والعــيـــونُ المودِّعاتُ يُعَـــزّيــ ــها أسى مُشْفقٍ ودمعُ صديق([١٠٨])

وتقول:

وحدتي تقــتــلُني والعُــمْــرُ ضــاعــا

والأسى لــم يبـــق لي حُلماً جديدْ ([١٠٩])

شخّصت الوحدة وجعلت منها قاتلة ؛ قتلت نفس الشاعرة فضاع عمرها ولم يبقَ لها إلا الأحلام والآمال ، وكذلك فعل الأسى ، إذاً الوحدة والأسى قاتلان ؛ الأول قتل

---

[١٠٦] - المصدر نفسه ، ص ٣١٤ .

[١٠٧] - المصدر نفسه ، ص٣٨٩ .

[١٠٨] - المصدر نفسه ، ص٤٠٨ .

[١٠٩] - المصدر نفسه ، ص٢٨٧ .

نفسها والآخر قتل أحلامها فهما شريكان في القتل ، وهذا التعبير يدل على شدة وقع الحزن على نفسها ، بل على جزعها وحسرتها وفقدانها للأمل موقنة أن الحزن قاتلها لامحالة .

-الـــدمـــوع والألـــم:

فـــإذا مـــــا بكوا فـــأدمع خُـــــرْس ربمـــــا كان خلفَـــــها ألفُ معنى

ربما كـــان خلفها الألـــــمُ القـــــــا تلُ أو رغبةٌ مع الريحِ تَفنَى (١١٠)

وعندما يعبر الإنسان عن حزنه يبكي لكن تلك الدموع لا تنطق ولا تقول شيئاً فهي " خرساء" لكن مع ذلك فهي تعني الكثير ، فتعني ألم قد يودي بصاحبه ، و مشاعر متدفقة سرعان ما تتلاشى ، فشخّصت الدموع والألم ، فالألم يقتل الإنسان كمداً وحزناً ،والدموع خرساء لا تستطيع البوح عن سبب هذا الألم والحزن ، فالإنسان ليس له إلا البكاء أمام حزنه وألمه لكن يا لا الحسرة فحتى دموعه لا تبوح بسبب حزنه ! أكان ألما أو مشاعر مكبوتة لا يمكن الإفصاح عنها ؟.

وتقول:

يا دُمـــــوعي ، أيُّ معنىً للّقـــــاءِ

إن ذَوَى الحبُّ وأبلاهُ البعـــادْ (١١١)

ثم تنادي دموعها لتبثّ لها شكواها ؛ فالحب قد ذبل ومات في قلبها من الهجر والغياب، فلم يعد للقاء معنى ، وإذا كان اللقاء فإن الآلام صارت حائلاً بينهما .

فالدموع لا تبوح مازالت " خرساء" فهو لا يفهم ما تريد ، فألم الفراق ودموع الهجر ستفرقهما عن بعضهما إن قدِّر لهم اللقاء:

ونـــلتقي تفْصِـــــــــــلنـــا آلامْ وأدمـــــــــــعٌ خُـــــــــــرْسُ

---

١١٠ - المصدر نفسه ، ص١٤٣.

١١١ - المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ .

يعـــزُّ أَنْ تجـمعـــــــنا الأيامْ وبــيننـــــــــا الأمــسُ ([112])

وتقول :

وأرى كيفَ يغــسلُ الدمعُ عينَيـــــ ـــــكَ وتبكي في وحشةِ الإنفرادِ
وأرى كيفَ يرقُـــــــصُ الألمُ الطا هرُ في مقلتيكَ قبلَ الرُّقــادِ([113])

ثم تصف حال الشاعر كما تعلمها هي ولعلها تشير إلى حالها، فهو دائم البكاء في خلواته فالدمع صار إنسانا يغسل العينين ، فالعينان تمتلئ حزناً لما يعانيه القلب من أسى فيكون الدمع علاجا له فيغسل شيئا من أحزانه ، وقبل النوم تتكالب على الإنسان همومه وآلامه إذ تتراءى أمام عينيه فيصبح الألم إنساناً يرقص ، ووصفته بالطُهر وربما أرادت أن آلامها النفسيّة لم تدنّسها رغبات جسديّة .

وتقول:

كلَّ يـــــــومٍ طفلٌ جـــــديدٌ وميْتٌ ودموعٌ تبكي على المآســـاةِ ([114])

وتصف " الدموع "بما يوصف به العاقل إذ صارت تبكي دموعا على " المأساة " أي الحياة فهي تراها مأساة تثير حزنها وأساها .

- الأوهـــام:

لهــفــتي يا حيـــــاة كم تلعب الأو هام بي؟ كم يؤودني التفكير ([115])

أسئلة وشكوك تبحث لها عن إجابات لكنها مازالت تجهل الكثير ، فتبثّ للحياة ما تقاسيه من حسرة ، وألم فكريّ ، وأوهام تقتلها لا تستطيع مقاومتها ، فجعلت للأوهام صفة السيطرة والهيمنة على حياتها ، فغدت ألعوبة بين يديها .

---

[112] - المصدر نفسه ، ص ٤٤٨ .
[113] - المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .
[114] - المصدر نفسه ، ص١٢٥.
[115] - المصدر نفسه ، ص٦١ .

وتقول:

طالما قـــد سألت لـــيلي لـكن عــز في هــذه الحياة الجـــواب

ليس غــير الأوهـــام تســخر مني لـــيس إلا تمزق واضطراب ([١١٦])

وشخّصت الأوهام إنسانا ساخراً،" تسخر "منها لأنها لم تجد جواباً لما يدور في نفسها، فيبدو أنها كانت حائرة تائهة تعيش القلق والاضطراب ، فلجأت لليل تسأله "إنسانا " لكن ما من مجيب ، وبسؤالها الليل يدل على إيقانها بعدم وجود جواب، أو يأسها من وجود إجابات عند الإنسان فلذلك لجأت للطبيعة.

وتقول:

خدعتني الأوهامُ ليس لـــــدى الرا عي رخاءُ الحياةِ ليس لدَيْهِ ([١١٧])

وأضافت للأوهام صفة " الخداع " ،فأوهامها خدعتها إذ صوّرت لها أن السعادة في الريف بعيداً عن المدنيّة ، والراعي هو من يشعر بها.

وتقول:

أين لونُ الأزهار لم أعـــد الآنَ أرى في الأزهـــار غير البوارِ

كلما شممتُ زهرةً صوّر الوْهـ ـــمُ لعينيَّ قاطفَ الأزهارِ ([١١٨])

مازال الحزن يسيطر على نفس الشاعرة فكلما رأت شيئاً جميلاً يتراءى لخيالها أفكار سوداوية يمررُّها إلى عقلها " الوهم" فالوهم صار إنسانا يصور للشاعرة صوراً تثير الحزن والأسى ، فحتى عندما ترى الزهر وألوانه لاترى فيه مايبهج النفس بل تتخيّل من قطف هذه الأزهار فتحزن لحالها لأنها قُطفت فشارفت على الهلاك .

---

[١١٦] - المصدر نفسه ، ص٦١ .

[١١٧] - المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

[١١٨] - المصدر نفسه ، ص٦٥ .

اللوحة الرابعة :- الســـعادة :

فكما يمر الحزن على الإنسان ويصاحبه في كثير من المواقف الحياتية ، فإن مساحة للسعادة في حياة الانسان وحياة الشاعرة قد تكون موجودة او مطلوبة بإلحاح، تقول :

ونـــلتقي تفْصِـــــــــــلنـــا آلامْ وأدمـــــــــــعٌ خُـــــــــــرْسُ

آه يا ضفّـــة السعـــــــادة ما أنـــ ـــت ؟ خيـــالٌ أم واقعٌ مشـــهودُ

أتـــرى قلبي الطـــــعينُ ســـــيلقا كِ أخيراً أم أنت حلمٌ بعـــيدُ؟([١١٩])

تخاطب الشاعرة السعادة بحسرة وألم فتوجّه لها الأسئلة ، ما كنهها؟ وهل هي واقع يحدث حقيقة ؟ أم من نسج الخيال تسمع به لكنه مستحيل الحدوث؟ وشخصت قلبها فهو إنسان" مطعون" مجروح ،بل جروحه غائرة دامية كطعنات سكين ، فتتساءل هل هذا القلب الحزين المجروح سيجد السعادة في يوم ما ،أم ذاك من أحلامه البعيدة التي يصعب تحقيقها؟!

إذاً هل السعادة وقلب الشاعرة سيلتقيان يوماً؟! هذا تساؤل يبعث الأسى والحسرة ، فالسعادة تنظر لها الشاعرة بعين حزينة يائسة تخلو من التفاؤل .

وبعد يأس الشاعرة من مجيء السعادة ، بدأت تبحث عنها لعلها تجدها ، لكن هيهات أن تجدها فما هي إلا خيالات لاوجود لها في الحقيقة ، وشخّصت الليل فهو إنسان تسأله عن السعادة ، فهي ترى أن السعادة أحجية ، وسر من أسرار الحياة يصعب الوصول إليه أو معرفة إجابات عن ماهيّته ، معتبرة أن السعادة حكاية من حكايات الطفولة نمت معها إلى صباها، وقد رسمت لها صورة ذهنية بما عرفته عنها ، فالسعادة شخص غائب تسمع أخباره ولا تعرف الشاعرة صورته حقيقة بل تصوّرت هي شكله ، بمعنى أن السعادة لم يكن لها حضور في حياة الشاعرة:

كم بَحثنـــــا عن الســـــعادةِ لكن ماعَثرْنا بكوخِـــــها المَسْحـــــورِ

[١١٩] - المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

أبداً نســـألُ الـــلياليَ عنهـــــــــا وهي سرُّ الدُنْيـــا ولُغْزُ الدُهـــــورِ
طـــــالما حدّثوا فـــــــؤاديَ عَنْها في ليالي طـــــفولتي و صـــــبَايا
طـــــالما صـــــوّروا لعينيَّ لُقْيـــا ها وألقَوْا أنبـــاءَها في رؤايا([١٢٠])

وتخاطبها بخطاب العاقل في محاولة يائسة لحوار مفقود، لتؤكّد أن السعادة من المستحيلات قائلة :

إيه أسطـــــورة السعـــــادة غنّيـــ ـــني نشـــيداً عن أفْقِكِ المفـــقـــودِ
أين ألقاك ؟ أين مسكنُكِ المَسْحُورُ؟ في المستحيلِ أم في الوجود؟([١٢١])

- الـــســـــــــــلام:

ترى الباحثة أن السلام يقع ضمن الحقل الدلالي للسعادة ، وقد عمدت الشاعرة الى تشخيصه بقولها :

ويطلُّ الســـــلام ذاتَ ضحىً حطّ ـــــــمه الليل و المدى المستحـــيل
ملء عـــينيه نعـــسة الحلم الخجـــ ـــلان والصمت والرجـــاءُ الهزيلُ
السلام الحزين هذا الطـــــريد الـــ ـــــتائه الخطو ماله من مَـــقَـــرّ
ذو العيون الزرقاء ينبع منها الشـــ ـــعرُ والحبُّ في صفاءِ وطهر([١٢٢])

تشخّص الشاعرة " السلام " فهو إنسان منهك، محبط ،تائه ،حزين، مطرود، مشرّد، قد أوهنته الحروب والظلم وهذا ما عبّرت عنه بلفظ " الليل " ، وإذا أطلّ السلام صارت الدنيا" ضحى " فينقشع ظلم الإنسان ، فمهما استبدّ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان لابدّ أن يكون لهذا الظلم نهاية ويحل" السلام " مكانه ، لكن تشاؤم الشاعرة غلب عليها فجعلت ذلك حلما خجِلا وأملاً بعيد الحصول وبدا ذلك في عينيه التي في نفس الوقت تفيض شعراً وحباً من نفس صافية طاهرة ، فالشاعرة أسقطت

---

[١٢٠] - المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
[١٢١] - المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .
[١٢٢] - المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

مشاعرها الذاتية على السلام ، فعيني السلام كعيني الشاعرة تحمل الكثير من الأحلام المستحيلة والآمال البعيدة التي خلّفتْ أحزاناً غائرةً ؛ أوقدت نار شعرها فصفّت نفسها من كل ما قد يشوبها في محبة وطهر.

- الشبـــاب والصبـــــا :

يا همـــــوم الشـــبابِ فـــيمَ تكونيـــ ـــــنَ أحرَّ الهمومِ والأحـــــزانِ؟
أنتِ يا مَنْ يصوغُـــكِ القَـــــدَرُ الظا لمُ ليلاً على الوجـــودِ الفاني (١٢٣)

جعلت للشباب صفات إنسانية فأصبح له هموم وأحزان تناديها الشاعرة لتسألها ؛ لماذا هي أشد وقعا على نفسها من غيرها ؟ فالشاعرة تعاني من الأحزان والهموم لكن هموم وأحزان مقتبل العمر" الشباب " أشد حزناً من غيرها ، فذاك قدَر "شباب" الشاعرة الحزن والهموم الطاغية التي عمّت الوجود بكل ما فيه ، إذاً الشباب من أجمل مراحل حياة الإنسان ويكون الشاب مقبلاً على الحياة أكثر من غيره بخلاف الشاعرة التي انعكست معاناتها على شبابها فصار يعاني الهم والحزن والظلم .

ويغـــيبُ الضياءُ في لـــيل قبـــــرٍ ليس تبكي له ســـوى الأمطـــــارِ
ليس يرثيـــه غير ذاوي صِـــــــباهُ وبقايا القـــيثـــارِ و الأشعارِ (١٢٤)

الأمطار بكت على الشاعر حين وفاته ،ورثاه صباه الذابل وشاركه شعره وما بقي من قيثارته ، فأنسنت الشاعرة الأمطار والصبا والقيثار والأشعار حداداً على الشاعر.

---

١٢٣ - المصدر نفسه ، ص١٤٧ .
١٢٤ - المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

- **الذكريات :**

تعمد الشاعرة الى تشخيص الذكريات إذ تضفي عليها بعض الصفات الانسانية، إذ تقول :

جئتِ ياذكرياتُ شاحـــبةَ الوجـــ ـــهِ حَيَـارى في مــوكب الأيّامِ
جــئتِني والشـــبابُ باكٍ بعـــينيّ وحـــولي جنازةُ الأحــلامِ (١٢٥)

إن الشاعرة تؤنسن " الذكريات، الشباب ، الأحلام "، فالذكريات حائرة لها وجه شاحب والشباب يبكي، والأحلام قد ماتت تزامناً مع ذكرى مولدها ، فالشاعرة تذكّرت أحلامها وآمالها المستقبليّة التي تلاشت مع مرور الأيام وأصبحت ذكرى مولدها باهتة المعالم ،فبدت حيرة وحزن الشاعرة على ذكرياتها وشبابها ، فالذكريات والشباب يشاركان الشاعرة مراسم تأبين أحلامها وآمالها .

وتقول:

كلّ حيٍّ مَشى به الأهــلُ والأصـــ ـــحابُ للقــبرِ يائســينَ حَزَانَى
وتصدّى للذكرياتِ الحـــــــزينا تِ فتىً شاعرٌ يذوبُ حــنانا (١٢٦)

يحزن الناس على الإنسان عند موته ، وكذلك الذكريات " تحزن " فأسندت لها صفة الحزن وقد صاغها الشاعر في مرثياته ، فلا يبقى بعد الموت إلا الذكرى الحزينة ، التي جعلت القلب رفاتاً فالحزن حطّمه ، فأعقبته الذكريات التي سلبته روحه فصار قالبا بدون روح ، فجعلت للذكريات "يد " تعبيرا عن قدرتها وفعلها بالقلوب الحزينة.

فتقول:

ورأيــنــا رفـــاتَ قـــــلــوبْ حنّـــطتْها يدُ الذكـــرياتْ (١٢٧)

---

١٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .
١٢٦ - المصدر نفسه ، ص٣٤٥ .
١٢٧ - المصدر نفسه ، ص٤٣٥.

- الحلم والأماني:

ترى الشاعرة أن (الحلم) و (الأماني) إنسانا تخاطبه، فهي تقول :

أسفاً لم تَدَعْ لنا الحرب شيئا وتلاشى الحُلْمُ الطــرُوبُ الجمـــيلُ ([١٢٨])

وصفت " الحلم" بالطروب وهي صفة إنسانية فكان يطرب فرحا وجمالا لكنه ذهب وتلاشى بسبب الحروب ، فالواقع في تلك الفترة الزمنية جعل الأحلام والمنى من سلام وسعادة لا يمكن تحقيقها ، ثم شخّصت الحلم إذ نسبت له صفة" الخداع ،الكذب" فقد كانت الأحلام تثير السرور في نفسها لكنها لم تتحقق فخلّفت الحزن والحسرة و تقول:

أسفاً قد خُدِعْتُ لــم تَصــْدُقِ الأحــ ــلامُ فيما رسمن من أفراحِ ([١٢٩])

وتؤكّد بأن أحلامها لم تجلب لها إلا الحزن والدمع وتقول :

ليتني من بنـــاتِ تلك الجبالِ الــ ــغُنِّ حيثُ الجمــالُ في كل رُكْنِ

ليتنـــي ليتني وهل تبعث الأحـــــ ــلامُ إلا الدموعَ في كلّ عينِ([١٣٠])

وتقول:

وآن لــلــشِعـــــرِ أن يُغــنــِّي

بــالحُلمِ الــضاحكِ الشَــرُودِ([١٣١])

إذاً هرب الحلم السعيد فلم تتحقق السعادة ، فجعلت للحلم صفات الإنسان" الضاحك، الشرود" ، فارتأت أن تحقق أحلامها شعرا وتتغنى بها لعلها تنفّس عن حزنها لضياع أحلامها ، فالواقع لم يتمكّن من ترجمتها فصارت الأماني مقهورة تشعر بالغبن والظلم كإحساس نازك الملائكة حيال ما كانت تأمل تحقيقه :

---

[١٢٨] - المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

[١٢٩] - المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

[١٣٠] - المصدر نفسه ، ص ١٢٠.

[١٣١] - المصدر نفسه ، ص٣٥٣ .

تقول:

لم أجدْ في الرمال إلا بقـــــايا الـــ ـــشوك! يا للأمنيةِ المغبونه ([١٣٢])

وتقول في الأماني كذلك :

سأَرى في الممات خُـــلْدَ حيـــــــاتي حين تعفو عنّي المُنى والجـــروحُ

وينامُ الجســـــمُ الوضيعُ على الأرْضِ وتختالُ في السمـــاءِ الروحُ ([١٣٣])

أسندت للمنى والجروح صفة العاقل " العفو" فترى الشاعرة أن الموت هو نهاية الآمال والجراح فحينئذ ستفارقها أحزانها بطواعية منها ،فتعني أن الحزن والحلم سيصحبانها طيلة حياتها .

الخلاصة :

ونخلص مما تقدم أن تشخيص المعنويات كان يدور حول المعاني الرئيسية لـــ "الحياة والموت والسعادة والحزن" فتداولتها الشاعرة في كثير من قصائدها فمرة تفلسفها ، ومرة تشكوها ،ومرة تلجأ إليها فتشكو لها حالها، ولعلّ هذا مما كشف الجانب الرومانسي عندها إذ تعتمد الشاعرة على الذاتيّة ؛ فانعكست ذاتها بقوة على صورها التشخيصيّة ، فبدت تلك الصور ذات توترات مختلفة تعكس عالمها الشعوري والفكري فتهدأ تارة وأخرى تصرخ بعنف (لتفرغ شحنة نفسية هائلة تتفاعل في أعماقها)[١٣٤] تبعاً للتقلبات النفسيّة التي تعيشها الشاعرة فتلوّنت تلك اللوحات بألوان قاتمة في مجملها ، وهذا توضيح يلخص المعنويات المشخّصة والصفات المسندة إليها مما سبق:

---

[١٣٢] - المصدر نفسه ، ص٨٢ .

[١٣٣] - المصدر نفسه ، ص١٥٥ .

[١٣٤] - ص٢٤ "دراسة في شعر نازك الملائكة" محمد عبدالمنعم خاطر.

المعاني	صفات إنسانية " حسية "	صفات إنسانية "معنوية"
الحياة	الكلام – الزرع – الكف– – النوح – السقي.	نداء العاقل – الحكم – السيطرة – الفهم – العذاب والألم – الجرح – الحزن– الطمع – الخيانة – الشباب – الخداع – الرحمة – السلب – البخل.
العالم	التذوق – النوم – البكاء– التأوه – الوجه – المشي.	الحزن – الظلم – الأبوّة – الجهل – الخوف– الكُره – اليأس– الذنب – الندم– الحقارة – الطمع–الشقاء – المواساة– اللهو – العذاب – التمني – الغرور–الجنون – البيع .
الكون	البكاء– التذوق – الابتسام.	العذاب – الألم – الحزن– الأسى– الراحة .
الوجود	القلب .	الحزن – الشقاء– الجرح – النسيان .
الموت	الرسم– اليد – القتل – خافق– القهقهة .	النداء بخطاب العاقل – الشر – الظلم – السخرية – الرحمة – العفو– السيادة – الشهادة – النداء – العودة.
الفناء	اليد – الإزالة.	السيطرة – الرصد.

العدم	الاستلام باليد – الهمس .	
الحزن	السهر– اليد – التخدير– الوجه – حمل السكين .	النداء بخطاب العاقل – الاستعباد – الظلم – الصحبة – العودة.
الأسى		التعذيب – التعزية –ا لشفقة – القهر الشهادة .
الدموع والألم	الخرس – القتل – الغسل– الرقص– البكاء.	النداء بما ينادى به العاقل – الهجر– الطهر .
الأوهام		الخداع – السخرية – السيطرة .
السعادة	كوخ للسكن – العينين .	النداء بما ينادى به العاقل – الحزن– الضياع – الصفاء – الطهر– الانتظار.
الشباب والصبا	البكاء .	الهموم – خطاب العاقل – الحزن – الرثاء.
الذكريات	الشحوب – الوجه– اليد – التحنيط .	خطاب العاقل – الحيرة – الحزن .
الأحلام والأماني	الطرب – الكذب – الرسم – البعث – الضحك – الهرب .	الجمال – الغبن – العفو .

فالمعاني المجرّدة كانت ميداناً خصباً للتشخيص ، فقد قامت الشاعرة بإسناد صفات الإنسان الحسيّة " التي تدرك بالحواس" والمعنويّة " العقليّة والنفسيّة " وزاوجت فيما بينها وإن كانت الكفّة تميل للحقل الإنساني المعنوي ، ومنشأ ذلك انعكاس المشاعر النفسيّة للشاعرة خاصة عند ملاحظة صفة الحزن ومفردات الكآبة التي كان لها السواد الأعظم فهي ترى" الكآبة علامة للشاعر ودلالة العبقرية "([١٣٥]).

فالتشخيص لدى الشاعرة يصطبغ بألوان الحزن والحيرة والقلق التي مهّدت للشاعرة محاولة إجراء حوارات بينها وبين تلك المعاني ، فقد حاولت جاهدة يائسة أن تستنطق تلك المعاني خاصة عند تشخيصها للسعادة إذ تقول " حدثيني ، ما أنتِ ؟، أرى قلبي سيلقاك ، أين ألقاك ؟، غنّيني ، أين مسكنكِ المسحور؟ "

فتكثِر من الإستفهامات للمجردات التي لا تتوقع منها إجابات مما يشير لمدى عمق أسى الشاعرة ويأسها من الحياة ومعانيها ، بل وتشاؤمها كما تقول عن نفسها " يدل على تشاؤمي المطلق ، وشعوري بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد " ([١٣٦]).
وتميل أحياناً الشاعرة في أسلوبها التشخيصي إلى العقلية فتحاول التحليل والتعليل ومن ثم الإقناع وذلك في لحظات هدوء ثورانها النفسي كقولها "يا لظلم الأحزان ما سلم الأطفال من أسرها" إذ قامت بتحليل ظلم الحزن "فلم يسلم منه حتى الأطفال" لتبرهن على ظلمه فعلّلت بكاء المولود "كم وليد يبكي " بسبب ما ينتظره من أحزان لتصل إلى نتيجة مفادها أن الحياة كلها حزن لكل من يعيش فيها فلن لن ترحم أحداً ، فتقول نازك الملائكة :" يكشف عن فلسفتي هذه الكلمات للفيلسوف الألماني المتشائم شوبنهار: " لست أدري لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت ، لست أدري لماذا نخدع أنفسنا بهذه الزوبعة التي تدور حول لا شيء؟ حتامَ

[١٣٥]- جابر عصفور ، رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، الدار البيضاء ،المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٧ .
[١٣٦]- نازك الملائكة ،الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ١ ، ص ٦.

نصبر على هذا الألم الذي لا ينتهي ؟ متى نتذرّع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن حب الحياة أكذوبة وأن أعظم نعيم للناس جميعا هو الموت ؟" والواقع أن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهار نفسه ، لأنه – كما يبدو – كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان . أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت . كان الموت يلوح لي مأساة الحياة الكبرى ، وذلك هو الشعور الذي حملته من أقصى صباي إلى سن متأخرة"([١٣٧]).

ويتّسم التشخيص عند الشاعرة بالمبالغة التي تحتوي ما جاش في صدرها من انفعالات تنساب بقوة وعنف فتخرج بصورة مبالغ فيها كقولها :" جف نبع الدموع والدم يا كون "

جفاف الدموع والدماء والعيش في شقاء فليس هناك ما يمكن أن تسلبه الحياة .

وقولها :" عرفت بها وجه حزني الدفين وقد عاد يحمل جرحي القديم " حزنها المتجدد له جروحاً قديمة ويخلق منها جروح مستمرة معها.

وقولها : " العيون المودعات يعزيها أسى مشفق ودمع صديق "عند وفاتها لا تجد من يواسيها إلا رفيقها الدائم الدموع وظالمها الأسى الذي صار مشفقا عليها فكأنه نادم على ما بدر منه تجاهها وتظهر الحسرة في أن الظالم يكون مشفقا فحتى الأسى رحم حالها عند موتها.

كذلك إسناد صفة البكاء للدموع فحتى الدموع حزنت وتألمت فبكت في قولها :

" ودموع تبكي على المأساة "

كما تتجلى سمة التقابل "الضدية " في كثير من الصور التشخيصية التي تتوارى خلفها المشاعر النفسية فيظهر أن الشاعرة تعبّر مباشرة عن انفعالها فالشعر عندها

[١٣٧] - محمدعبدالمنعم خاطر ، دراسة في شعر نازك الملائكة ، ص٢٨، ٢٩.

تنفيس عما يكون بدواخلها بعفوية وبدون تكلف ، وأيضا ما يكون في نفس الشاعرة من تناقضات تعيش بين أقطابها كـــوصف العالم

كقولها : " إنها لعنة السماء على العالم كلما ذاق قطرة من نعيم أعقبتها من الأسى ألف قطرة "

وبالمقابل قولها : " أيها العالم الذي اقترف الذنب ..."

ففي الصورة الأولى هو المجني عليه وفي الثانية هو الجاني .

كذلك وصف الكون في قولها :" إلا دياجير كون ليس يفنى بكاؤه " وقولها :" الكون مبتسم " فالأولى يبكي وفي الثانية مبتسم.

وفي سياق تشخيصها للموت إذ تراه يتعمد الشاعر الشاب في قولها :

"ياید الموت ...فيم لا تطفئين إلا مناه ؟ وهو في ميعة الشباب "

وفي الأخرى تنسب له عدم القدرة على ذلك كما قالت :" فإذا مات في صباه فما اختارته كف المنون "

وفي الصورتين التاليتين ؛ في الأولى تطلب منه التأجيل والابتعاد وتريد الإقبال على الحياة في قولها :"

رحمة بي يا أيها الموت وارفق بفؤاد ...اعفني من مفارقة الدنيا ودعني إلى غد يا ممات"، وفي الثانية تطلب منه الإقبال وتريد توديع الحياة فتقول : " فوادعا من قلب عاشقة الليل وداعا وأنت يا موت هيّا "

كما تكررت كثير من الصور التشخيصية سواء بنفس اللفظ كقولها :"ستقول الحياة أنا مررنا " وقولها :" وستقول الحياة أنا بحثنا "

وكذلك قولها :"ويبكي على الوجود الحزين " و" هذا الموج يطغى على الوجود الحزين " و" من قال أني سأبقى في الوجود الحزين " .

وقولها :" وقيس في يد الموت ذاهل " و" يا يد الموت فيم كان نصيب الشاعر " .

وقولها :" أيها الموت أيها المارد " و " رحمة بي يا أيها الموت وارفق "

أو تكرار المعنى مثل :

المخادعة ؛جمال الشكل وسوء المخبر في قولها :" هي هذي الحياة ساقية السم .."

و " والسم كامن في يديها ".

وللتكرار دلالته "و التكرار يؤتى به لتأكيد القول وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك"([١٣٨]) مثل " يد " تكررت كثيرا عند تشخيص الموت والحزن لتثبت أن لهما القدرة والقوة والسيطرة على حياتها فهي تقبع تحت وطأتهما "إن البنية التكرارية في القصيدة الحديثة أصبحت تشكل نظاما خاصا داخل كيان القصيدة ، يقوم هذا النظام على أسس نابعة من صميم التجربة ومستوى عمقها وثرائها ، وقدرتها على اختيار الشكل المناسب الذي يوفر لبنية التكرار أكبر فرصة ممكنة لتحقيق التأثير، من خلال فعاليته التي تتجاوز حدود الإمكانات النحوية واللغوية الصرف ، لتصبح أداة دلالية موسيقية في آن معاً "([١٣٩]).

ولا تخلو صورها التشخيصية من الدلالات الإيحائية التي لم تتعمدها الشاعرة كما يبدو ، بل كما صوّرته مشاعرها بدون غموض فجرت ببساطة في ثنايا قصائدها مثل :

نسبت صفات العاقل كـــ " زرع الشوك" التي عنت بها وضع العقبات والألم الذي تسببه الحياة لها ، مما يعني انزياح الزراعة من الحقل البشري إلى غير بشري بالإضافة إلى أن الشوك لا يزرع بل ينمو تلقائياً في الأماكن الزراعية ، فالحياة تتعمد إيلام الإنسان كما في قولها :" هي هذي الحياة زارعة الأشواك "

---

[١٣٨] - فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ، الأردن ، دار الفرقان ، ط٤ ،١٩٩٧م ، ص٤٨٨.

[١٣٩] - محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية حساسيةالإنبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ط١ ،٢٠٠١ م ، ص١٩٠، ١٩١.

وقولها :" ويطلّ السلام ذات ضحى " وقولها :" السلام الحزين ...ماله من مقرّ " فقد وصفت السلام فجعلته " يطل "و" ماله من مقر" فهي توحي بنفي حدوثه على الأرض أو في الحياة ،فـــ" يطل " بالرأس فقط أما الجسد فهو مازال متوارياً مختفيا .

وقولها : " جئت يا ذكريات " فمجيء الذكريات تعبّر أن أحزانها قضت على كل شيء فلم يبق لها إلا الذكرى .

وقولها: " خدّر الحزن ، طواها" توحي أن استغراق الشاعرة في الحزن والأسى كان عائقا أمام تقدّمها في الحياة ، فكانت تشعر بأنها ميتة بدون حياة في روحها أو جسدها .

تشخيص المحسوسات:-

- تشخيص الحيوان .
- تشخيص النبات .
- تشخيص الجماد .
- تشخيص الزمان والمكان .

نظرت الشاعرة للطبيعة من حولها بنظرة مختلفة، فجعلت منها إنساناً يتفاعل مع مشاعرها وعواطفها الداخلية، فرأت الحيوان والنبات والجماد من خلال انفعالاتها، فاصطبغت وتلوّنت بمشاعرها وصارت تشعر وتحسُّ بما يعتمل في دواخلها، فغدت قريبة من نفسها، تأنس بها وتبثُّ لها شكواها، ولعل لجوء الشاعرة للطبيعة يأتي تعبيراً عن غربتها النفسية ؛إذ هربت من عالم الإنسانيّة للطبيعة التي شخصّتها أمامها ، فاستعارت لها من عالم الإنسان جسده وروحه و مشاعره وحركاته ودواخله ، لتبثّ فيها الحياة والحركة والحيوية، ولتغدو إنساناً يشاطر الشاعرة أحاسيسها، ومؤنساً لها في وحدتها وعزلتها، فنفس الشاعرة المغتربة قد أنست بالطبيعة فخلعت عليها مظاهر الحياة الإنسانية؛ فكانت جسراً لنقل مشاعرها وأحاسيسها، وما تموج به من انفعالات نفسية للمتلقّي مكوّنة لوحات تحوي عناصر الطبيعة بما يتماشى مع ألوان نفسية الشاعرة.

* ويقصد بتشخيص المحسوسات :هو تشخيص كل ما كان له وجود حسيّ في السماء أو الأرض ، ويدرك بالحواسّ من سمع وبصر وذوق ولمس وشمّ ، ومنها: الحيّ "غير العاقل" من حيوان ونبات، و ما لا حياة فيه من جماد وزمان ومكان.

(أ) اللوحة الأولى : الحيوان :

شخّصت الشاعرة بعض الحيوانات إذ إن عالمها لا يخلو منها ، فقد نشأت في منطقة زراعيّة بها البساتين والمياه ، فكانت هذه الحيوانات قريبة من نفسها، فتوّحدت معها وتلاحمت ، فشخّصتها الشاعرة بألوان مشاعرها، وأسقطت عليها ذاتها وصارت امتداداً لشخصيّتها الإنسانيّة ومعاناتها البشرية .

- الطـــــيور:

تناولت الشاعرة مفردة الطيور بشكل عام ، وأحياناً توزعها بحسب أنواعها مثـــل : الحمام، القمريّ، العصافير. وقد نسبت الشاعرة للطيور صفة لا تكون إلا في عـــالم الإنسان وهي صفة الغناء فضلاً عن أنها كانت تخاطبها كما لو أنها إنسان أمامهـــا، فتقول :

وطيـــورُ تَســـقي الوجودَ كؤوســـاً من أناشـــــــيدها العِذابِ النقـــيةِ
لاصداها يموتُ ، لا نبْعُـــها ينْضَبُ في مَسْمَـــع الرَّوابي الشـــذيّة (١)

خلعت الشاعرة صفات إنسانية على الطيور فهي "تسقي" فجعلت الطيور إنساناً يسقي الوجود كؤوساً من الأناشيد العذبة الدائمة المستمرة التي تصـــبُّ أيضـــاً فـــي أذن الروابي والتلال الخضراء، فالطيور دائمة التغريد بأصوات عذبة ينهل منها الوجود وتصغي لها الروابي، وقد تكون في هذا الاستعمال رمزاً للســـعادة والتفـــاؤل عنـــد الشاعرة ، إذ أضفت على الوجود بهجة ، تسربت إلى نفس الشاعرة حين ســـماعها لتلك الأغاريد.

فالطيور سعيدة تغرّد بتلك الأناشيد فوق أشجار عظيمة فرحة مسرورة لكن الشاعرة فيما يلي تناديها و كأنها تخاطب إنساناً عاقلاً تحثه على الطيران بعيداً عن هذا العالم الذي تصفه بالأليم المثير للأسى والحزن، فالطيور في نظرها ســـتكون ســـعيدة إذا كانت محلّقة في السماء ،عندئذ ستكون "جذلى "مبتهجة بين الغيوم ، لكنها إن حطّـــت في هذا العالم فستتألم وتحزن لما يجري فيه، فالشاعرة ترى السعادة في التحليق في عالم الخيال – المنى والأحلام والشعر– لكنها إن هبطت على أرض الواقع الأليم فلن تجد إلا الأسى والحزن، فوجودها في حدّ ذاته في هذا العالم مثار للحزن والألم.

---

١ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية ج١. ص ٢٦٠.

فقد أشفقت الشاعرة على تلك الطيور فلا تريدها أن تعاني معاناتها من حزن وأسى لكن ذلك مستحيل الحدوث فلا بدّ للشاعرة مهما حلّقت في سماء خيالها مبتعدة عن الواقع أن تهبط يوماً في عالم الحقيقة فتصطدم بأحزانه وتقاسي آلامه وتقول الشاعرة :

وطيورُ تَسقي الوجودَ كؤوساً ... من أناشيدها العِذابِ النقيةِ
أيُّها الصادحُ المغرِّدُ فوق الـ ... ـدّوحِ طِرْ عن هذا الوجودِ الأليمِ
دَعْ أساهُ يا طيرُ لي أنا وحدي ... واحيَ أنتَ الجذلانَ بين الغيومِ
وغناء الطيور لم يعد الآ ... نَ شفاءً لأدمعي و خلاصا
بعضُ شيءٍ فيه يذكّرني الأقـ ... ـيادَ والصائدين والأقفاصا(٢)

إن غناء الطيور كان يثير البهجة والفرح ، أما الآن فصار غناؤها يذكّر الشاعرة بأن هذه الطيور تغني وهي تعاني ؛ مصفّدةً في القيد داخل قفص ، بل صار غناؤها يذكّر بالصياد الذي اصطادها وبالألم الذي تقاسيه .

- القمـــري:ــ

وهذا النوع من الطيور هو الأغلب انتشاراً في شعر الشاعرة وهو طائر يشبه الحمام كما ورد في لسان العرب "القمريّة ضرب من الحمام " (٣)، فتخلع عليه صفات إنسانية إذ تراها حزينة متوجعة متألمة ، حيرى تردد الآهات والأنات ، وتبث الشكوى والآلام ، فتقول :

وأسَمعُ في الليل وقْعَ المطَرْ
وأنّاتِ قُمـــــريّةٍ في الظلامْ

---

٢ – المصدر نفسه ، ص ٩٩.

٣ – ابن منظور ،لسان العرب ،ج٥، ص ٣٧٣٧.

تُغــنّي على البُعْدِ بيــن الشَجَــرْ([4])

تشخص الشاعرة القمرية إنسانا يتألم ويئن لشدة ألمه فغناؤها ليس إلا أنات تدل على توجعها ففي الليل لا يسمع إلا وقع زخات المطر وأنين القمرية الحزينة .

وتصغي الشاعرة لصوت القمرية فتقول :

وطيــورُ تَســقي الوجودَ كؤوســاً من أناشـــــــيدها العِذابِ النقــيةِ
طالما مرّ بي الخــريفُ فــأصغيــ تُ لصوتِ القُــمْريّةِ المحزونِ([5])

فالقمريّة محزونة وصوتها محزون وفي ذلك تسدل الشاعرة صفة إنسانية على هــذا الطير ألا وهي الحزن ، وقد استدعيت هذه الصفة إلى ذهن الشاعر من خلال ذلــك الصوت الذي يتشح بإحساس الشاعرة والمشخص بالحزن ولما كــان فــي فصــل الخريف تكون الأشجار عارية من أوراقها ، والريح شديدة الفتــك بالشــجر؛ فــإن الشاعرة تطلب منها الرفق بالقمريّة الحزينة التي أضنتها الهموم والأحزان، فالخريف وما فيه من ريح أحزنا القمريّة وتعليل ذلك ما قالته الشاعرة:

ومن الظلامِ تصاعَدتْ آهاتُ قُمْريِّ الغصـــــــونْ
ذهبتْ بمـــــكمنه الرِّيـــــاحُ وعزّهُ المأوى الحنُونْ
حيرانُ، مرتعشُ الجناح ، مجرِّحُ تحتَ الدُجـــــونْ
رحماكَ يارَبَّ العواصفِ ، حسبُنا المطرُ الهَــتُونْ([6])

فالريح فتكت بعشّ القمريّة وبمأواها، فصارت القمرية حيرانــة، مجروحــة تتــأوّه حيرانة إذ لا مأوى لها وشعرت بالخوف تحت جناح الليل ، فالليلة ممطرة والــريح شديدة والقمري دون مأوى حيرانة، مرتعشة ،مجروحة وكذلك الإنسان في غربتــه

[4] – نازك الملائكة ،ج١، ص ٣٤٢.
[5] – المصدر نفسه ، ص ١٢٥.
[6] – المصدر نفسه، ص٣٨٠.

أو عند فقده لوطنه ،فإنه يشعر بالحيرة والاضطراب ، فحزنه كتلك القمريـــة التـــي تكالبت عليها الهموم والأحزان.

وتأتي الشاعرة بجملة من الصفات الإنسانية التي تصبغ بها هذه القمرية ، فتقول :

ليسَ إلاّ قمـــــرّيةُ يُرسِلُ الشكـــــ ـــــوَى إلى البدْر قلبُها المغبـــونُ

عُـــشُّها قنّةُ تسلّقَـــهـــا الزَهـــــْ ـــــرُ وأخفتْهُ في الظلالِ الغصونُ

تتشكّى الذينَ مـــرُّوا بدنيـــــــــا هـــــا فلم تدْرِ ما عَسَى ســيكونُ

عكّروا العُزْلةَ القـــديمـــةَ والصمـــ ـــتَ فدوَّى هُتـــافُها المحزونِ(٧)

فقلب القمريّة قد أصيب بالغبن والقهر فهو يرسل الشكوى كما لو أنه إنســـان يفعـــل ذلك، ثم تسبغ الشاعرة عليها الإحساس الإنساني ، إذ تجعل قلبها مغبوناً ، كما أنهـــا تشتكي الذين مروا بدنياها وعكروا صفو حياتها ، إلى أن علا هتافهـــا المحـــزون ، فعشُّها اقتحمته الأزهار وأخفته الغصون فتسلّقته الزهور والأغصان ؛ فكسروا تلك الوحدة والعزلة التي فرضتها على نفسها فوق الأشجار، فقد كان لا يصل إلى هـــذا العشّ غيرها لكن هؤلاء اقتحموا تلك العزلة فحزنت وعلا صوتها حزناً.

كذلك الشاعرة ولعلنا نحس أن الحديث عن هذه القمرية يصبح معـــادلاً موضـــوعياً لحالة الشاعرة إذ كانت تحب الوحدة لكن هناك أناس مرّوا بحياتها فاقتحموا عزلتها، والشاعرة أحاطت نفسها بأسوار العزلة برضا منها وقناعة، وقد اختصرت حزنهـــا في صورة تلك القمرية التي تنعي موطنها، وتهوى العزلة والوحدة مثلها. وبهذا امتد حزن الشاعرة حتى وصل لقلب القمرية ، لكن إذا عمّ السلام وانتشر الضياء وانتهى الظلام تصبح القمريّة مغردة صادحة بالأناشيد وتقول :

ثم يمضي الليلُ العميقُ إلى غيـــــ ـــــرِ رُجوعٍ وتبسمُ الأضـــواءُ

ويعودُ القُـــمْـــريُّ يَصْـــدحُ جـــذلا نَ كـــأنْ ليس في الحـــياة شـــقاءُ

---

٧ – المصدر نفسه،ص ٤٠٣.

غــيرَ دارٍ ماذا يعـــــذِّبُ أهل الـــ ـــقــرية البائســـــين من آلامِ([8])

إن الشاعرة تمنح القمرية صفة إنسانية ،وهي الغناء ، بيد أن هذه الصـــفة تســـتغل استغلالاً طيباً من الشاعرة ، إذ تجعلها مثالاً يحتذى للإنسان ، فكما أن القمرية تغني في داجيات الليالي ، فإن في ذلك درساً للإنسان بضرورة التفاؤل والأمل حتى مـــع وجود الألم وفي أحلك الظروف فلا بد أن يطلُع نهار تتبّدد فيه الأحزان ، فالقمريّ شاعر يصدح رغم شقاء هذا العالم ، ولهذا تخاطب الشاعرة الناس جميعاً بقولها:

وأصيخوا لصوت قمريّةِ الحـــقـــ ـــــلِ تغني في داجيات الليالي([9])

وتقول الشاعرة :

خلف باب الكوخ الـــكئيبة قـــمـــر يٌ يغـــــني ألحانَهُ ومُـــنـــــــاهُ

لاهُم يسمعونَهُ لا ولا القُمْـــــــــري يدري ذهولَهُم عن عنـــــــاهُ ([10])

فجعلت من القمري إنسانا يغني ويطرب لألحانه لا يعرف أن هذا الكوخ كئيب حزين كذلك من يعيش فيه مشغول بحزنه ولديه من الأسى والألم ما يلهيه عن غناء تلـــك القمرية التي تغني وهي لا تعي ما يعانيه الإنسان في حياته فتقول:.

والقـــماريٌّ تســـــــتـــحـــمٌ وتلهو بين زهر الخبّاز فوق الضـــــفافِ

وتغني للنهر أعذبَ ألحانِ الأمـــاني في مسْمع الصفـــــــــصافِ([11])

ومازالت القماري في لهوها وغنائها على ضفاف النهر وبين أشـــجار الصفصـــاف تغني وتنشد أعذب الألحان غير مكترثة بما يحصل في الحياة من أسى أو حزن .

---

[8] – المصدر نفسه ، ص ٩٨.

[9] – المصدر نفسه ، ص ١١٧.

[10] – المصدر نفسه ، ص ٢٦٢.

[11] – المصدر نفسه ، ص ١٢٩.

- الحمـــام: ــ

الحمام عند الشاعرة إنسان تارة يشعر بالفرح فيغني ، وتارة يشعر بالحزن فيبكـــي، فصوتها إما غناء أو بكاء ، تقول:

في سكونٍ لا صوتَ يُسْمعُ فيـــــه غيرُ صوتِ الصَرَّارِ تحت الليالي

غير همْس الحمـــام في الجَبَل المو حشِ أو لحـــــن بلبلٍ مهجورِ([١٢])

تصف الشاعرة حياة الشاعر كما سمّتها "مأساة الشاعر" التي اتسمت بالعزلة والوحدة والصمت الذي لا يقطعه سوى صوت الطير وهمس الحمام والهمس صفة ملتصـــقة بالإنسان في تأصيلها إلا أن الشاعرة ألصقت هذه الصفة بالحمام بهـــدف المشـــاركة الوجدانية والصفة المشتركة بينها وبين هذا الطير ذاك الصوت الخافت فـــي جبـــال موحشة أو تغريد بلبل وحيد مهجور.

فالعزلة والوحدة والصمت هي حياة الشاعر وقد امتدّتْ هذه العزلة والوحدة لتحـــيط "بالحمام" أو "البلبل" فهو وحيد في عشّه ، يغرّد وحيداً قد هجره محبوه مثل الشاعر الذي يشعر بالوحدة في عالمه.

فالحمام يهمس بأصوات منخفضة في جبل موحش وهو وحيد أيضاً وحزين فاجتمع عليه الحزن والوحدة فأصبح صوته ضعيفاً لا يكاد يُسمع لفرط ما يشعر به من أسى فبدأ الصمت يكتنفه فخبا صوته فهو يعيش في عزلة ووحدة وفي أمـــاكن موحشـــة مهجورة، فالشاعرة رأت نفسها في ذلك البلبل أو ذاك الحمام فهما صورتان تعكسان حال الشاعرة نازك أو حال أي شاعر في أي زمان .

ويلحظ أن عناصر الطبيعة قد شاركت الشاعر حزنه ووحدتـــه وعزلتـــه ، فعنـــدما اعتزل الشاعر العالم الإنساني هرب للطبيعة يبثُّ انفعالاته ومشاعره لها، تقول.

---

[١٢] – المصدر نفسه ، ص ١٠٤.

الليلُ ممتدُّ الســـــكونِ إلى المدَى
لا شيءَ يقطعُهُ سوى صمتٍ بليدْ
لحمامةٍ حَيْرى وكلبٍ ينبحُ النجمَ البعيدْ([١٣])

فوحدة الشاعر وعزلته جعلت ليله طويلاً يسوده الصمت والوحشة لا يعكّره غيــر صوت الحمام التي أنسنتها الشاعرة وجعلتها حيري كالإنسان فالحمامة حائرة فليلهــا طويل وحزنها عميق ، كذلك حيرة الشاعر أرهقته فأطالت ليلــه وزادت حزنــه ، وشاطرهم طول الليل كلب ينبح عند رؤيته للنجوم البعيدة ، فمهما نبح لن يأبه لــه ذاك النجم لكنه بدّد شيئاً من ذاك السكون.

فالحمامة حائرة والشاعرة حائرة ، فليلهما طويل لما فيه من آلام وأحــزان وحيــرة وقلق، فلذلك شعرت بطول الليل ووحشته فهو صمت طويل وبيد أن الشــاعرة قــد اعتادت على ربط هديل الحمام بملاحظ الحزن ، فنراها تقول:

وبكاءُ الحمامـــــــةِ الخــافتِ النا ئي وصوتُ الغرابِ بين الكــرومِ
وأزيزٌ من نَحْلةٍ تمــلأ القــــلـــــ ــبَ ملالاً بصوتها المسـؤومِ([١٤])

اعتادت الشاعرة على هديل الحمامة الحزين وكأنها تبكي لكنه بكاء خافت بعيد وقــد اختلط بصوت الغراب وأزيز النحل ، فالشاعرة تستمع لهذه الأصوات التي بعثت في نفسها السأم والملل، ومما يلحظ أن الشاعرة قد أسدلت صفة إنســانية علــى هــديل الحمام إذ إنه بكاء الإنسان . وفي ملحظ آخر يعكس نفسية الشاعرة الفرحة فترى أن هديل الحمام غناء بيد أن هذا الغناء يؤول إلى حزن في النهاية فتقول :

وإذا غنّتِ الحمــامـــــةُ في الوكــ ـــــرِ تبرّمْتُ بالنشــيدِ المثــيــرِ
وتذكرتُ أنَّها ســوف تَثـــــــوْي في غدٍ تحتَ عشِّها المهجورِ([١٥])

---

[١٣] – المصدر نفسه ، ص ٤٤٣.
[١٤] – المصدر نفسه ، ص ١٣٢.
[١٥] – المصدر نفسه ، ص ١٤٨.

إذاً الحمام يهمس حزناً وتصيبه الحيرة لكن ذلك لم يمنعه من أن "يغني" فنسبت لـــه صفة إنسانية ينشد فرحاً لكن هذا النشيد يثير حفيظة الشاعرة ، فكأنـــه نـــذير شـــؤم وعلامة لقرب أجلها فيصبح عشّها خاوياً منها إذاً غناء الحمامة أثار تشاؤم الشاعرة فالغناء ليس من شيمها بل هو وداع للحياة فكأن الحزن هو نصيبها من الحياة كحياة الشاعرة تضجُّ بالأحزان والآلام ، أما السعادة فلا تنذر إلا بشـــؤم عنـــد الشـــاعرة، فالشاعرة رغِبت عن الحمام وغناؤه فهو يثير حزنها وشؤمها .

- العصـــافير:

شخصت الشاعرة الكثير من الطيور تحت مسمى (عصفور أو عصـــافير) دون أن تسمي هذا الطير باسمه ، إذ اكتفت بجنسه العام ، تقول في قصيدة بعنوان خرافات :

في وجهْ عُصفْورٍ تَحَطَّمَ عُشُّهُ فبكى وطارْ
وأقام ينتظرُ الصباحَ لعلَّ معـــــجزةً تُعيدْ
أنقاضَ مأواهُ المخرَّبِ من جديـــــدْ (١٦)

ليس للعصفور إلا البكاء، فالعصفور فَقَدَ عشّه فبكى حزناً على مأواه لكنه أقام قريباً منه وانتظر وقتاً طويلاً لعلّه يستعيده مرة أخرى، فالشاعرة بكت حزناً على ما حـــلّ بموطنها من خراب لكنّها لا تملك سوى البكاء والحزن عليه جانحة بخيالها أن تُرسل معجزة تداوي جروحها وتعيد موطنها لأحسن مما كان، فالشاعرة لديها أمل لكنهـــا تعلم بأنّه مستحيل الحدوث ، إذاً العصفور بكى على عشّه ، والشاعرة بكت شـــعراً على موطنها ويظهر يأس الشاعرة إذ لا ترى عودة لوطنها إلا من خـــلال معجـــزة تستعيد بها وطنها المسلوب ، فالعصفور ليس إلا شاعر مرهف الحس حزين لواقـــع وطنه.

---

١٦ – المصدر نفسه ، ص ٤٥٩.

ومما يلفت النظر في هذا المقطع أن الشاعرة تخيّرت القافيـــة المقيـــدة أي الســـاكنة (طارْ- تعيدْ- جديدْ) على الرغم من أن الحركات الواجب وجودها هي (طـــارَ – تعيدُ – جديدِ) وفق الموقع الإعرابي ولعلّ في هذا الاختيار تكثيف لدرجة الحـــزن التي تجتاح نفس العصفور على خراب عشه فأصبحت أنفاسه محبوسة وقد انعكـــس هذا الإنحباس على الشاعرة فانحبست أنفاسها فلم تجعل القافية مطلقة بالحركات وهذا يؤكد لنا أن ماحلّ بهذا الطائر يعدّ معادلاً لما يحلّ بنفس الإنسان فغـــدا التشـــخيص أكثر تكثيفاً في هذا القول .

- البـــــوم:

وهو رمز الشؤم عند الشعراء فكانوا يتشاءمون من رؤيته ومن نعيقه كذلك لم تكـــن نازك الملائكة ببعيدة عن هؤلاء الشعراء ، فثقافة العرب تنطوي تحت هذا العـــرف ومما يلفت النظر تلك المفارقة في قول الشاعرة :

أرمقُ الحقل والجداولُ قد جفـــــــ ـــــتْ ولون الفضاء أسودُ غـــائم
وأحسُّ الـــيـــــــومَ الكئـــيبَ يُغنِّي من بعيدٍ بين النخـــيلِ الواجمْ ([17])

وتتضح المفارقة إذ لا يمكن أن تكون الحالة التي وصفتها الشـــاعرة وكلهـــا حـــزن بحزن تتناسب مع الغناء ، إلا أن وجود طائر البوم في مواقف الفرح والسعادة أمـــر مستغرب لأنه حقيقة صوته مغاير لمثل تلك الموقف . وبيان ذلك أن جفاف الحقول وسواد الفضاء ووجوم النخيل لا يناسبه الغناء ولكن هذا الغناء هو من البوم الذي لا ينعق إلا بالخراب ، والغناء في حقيقته للإنسان إذ تقول الشاعرة:

حيث يحيـــا الغرابُ ، والبلبلُ المو هوبُ يَهْـــوى في عشِّهِ المضفورِ
ويغنّي البومُ الـــبغيضُ على الدَوُحِ ويَثْوى القمريُّ بين الصخورِ ([18])

---

[17] – المصدر نفسه ، ص ١٢٦.

[18] – المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

وجود الغراب، وفَـقْـد البلابل لأعشاشها، وغناء البوم، وموت القمريّ هذه رموز للشقاء عند الشاعرة وذلك في إطار بحث الشاعرة عن السعادة المفقـودة ومكـان وجودها، فهنا تعيش الغربان ،وأعشاش البلابل تهوي ، والبوم يغنّي على أشجاره ، والقمري يهلك بين الصخور؛ فكيف يكون للسعادة مكان إذا انتفت رموزها في العالم فهي أسطورة وخيال.

وفي قول آخر للشاعرة :

ربما كنتمُ مـساءَ غـدٍ تحـ ـتَ ترابِ القبـورِ والأحجـارِ
يتباكى عليكمُ البـومُ والغـر بانُ بعـدَ الكؤوسِ والأوتار (١٩)

ومن الشقاء أن نهاية الإنسان للقبر وبين الحجارة ولا يجـد مـن يرثيـه إلا البـوم والغربان فهذا رمز للشقاء، فحتى الأغنياء الذين يعيشون بين وَتَر وكأس في زهـو وترف سيؤولون للقبور! فأين السعادة ؟ فما هي إلا حياة تنتهي بـالموت ولعلهـا قصدت بالبوم والغربان المنافقين الذين يتباكون نفاقاً على هؤلاء الأغنياء.

- الأغنـام:ـ

كثيراً ما كانت الشاعرة تذكر الأغنام في قصائدها ولعلّ ذلك يعود لأيام طفولتها فقد ترعرعت في بيئة ريفية ترى الراعي وأغنامه صباح مساء فتقول.

حيثُ تثغو الأغنامُ في عطفـةِ المَرْ ج وتلهو في شاسعاتِ المجالي(٢٠)

كانت الشاعرة تظُّن السعادة في الريف حيث تسمع صوت الأغنام وهي تلهـو فـي مروج خضراء شاسعة فالشاعرة ترى ذلك مما يثير السعادة والبهجة ولعلها تتـذكر طفولتها التي عاشتها في بيئة ريفية وقد كانت سعيدة آنذاك فظنّت أنّ السعادة مكانها في الريف فتقول.

---

١٩ – المصدر نفسه ، ص ١٣٨.

٢٠ – المصدر نفسه ، ص ١١٨.

يومَ كانــت ترعى الشــياهَ ويرعى قــيسُ أغنامَهُ فتشـــدو ويشــدو
وتدّوي باللحن تلك الرمالُ السُمــرُ حيث الظبـــاءُ تلهو وتعــدو([٢١])

إن وجود الأغنام بالمروج مع وجود الحبيب " قيس" فينشد قيس فتردّ عليه أغنامه طربة بأشعاره وبهذا تخلع عليها صفة إنسانية "تشدو" ويتردّد صدى تلك الأناشيد في نواحي الصحراء حتى الظباء "تلهو" فرحاً لما تسمعه من ألحان، فخلعت عليها صفة إنسانية وهي "اللهو" ،إذاً الأغنام مرّة في مروج وتلال خضراء ومرّة في صــحراء مع عاشق يردّد أشعاره وفي الحالتين تراها الشاعرة بعين الفرح والســرور. لكــن الحزن بدأ يتسرب لتلك الأغنام وتبدو هذه الصفة في أن الاغنام تشــكو كالإنســان فقالت:

حيثُ تقضي الأغنامُ أيّامها غـــرْ ثى ولا عُشبَ في جديبِ المراعي
أبــداً تتبـــعُ السرابَ وتشـــكو بُخْلَ دهرٍ مزيّفٍ خَـــدَّاعِ ([٢٢])

حينما جدبت المراعي وعاشت تلك الأغنام جائعة ظامئة شاكية صروف الدهر، فقد كانت تعيش في رَغَد في تلك التلال ، لكن سرعان ما تغير حالها فصــارت تكابــد الجوع والعطش، وتشكي من همّ الأيام وما فعلته بها، فباتت الأغنام تشــكي الــزمن وتصاريفه فغدت حزينة بائسة وتقدم لنا الشاعرة صورة أخرى للأغنام دون ذكرها مباشرة بل تذكر مجموعها ، ألا وهي القطيع ، مستدعية قصة (هابيــل وقابيــل) متناصة معها لتقدم لنا ما شهده هذا القطيع على هذه الحادثة ، تقول :

أولم تسمع الحقولُ صـــــدى أنّـــ ـــــه هابيل حين خرّ قــتيـــلا
أولم يشهــدِ القطـــيعُ على الجــا ني ألم يبصرِ الدمَ المطلــولا ([٢٣])

[٢١] – المصدر نفسه ، ص ١١٥.
[٢٢] – المصدر نفسه ، ص ٨٤.
[٢٣] – المصدر نفسه ، ص ١٧٣.

والشهادة صفة إنسانية خالصة ، بيد أن الشاعرة منحت هذا القطيع هذه الصفة كما تجلت في التراث العربي فحادثة القتل البشريّة الأولى على مّر التاريخ في مقتل هابيل على يدّ أخيه قابيل لم يكن شاهداً عليها إلا قطيع الأغنام ، فأنسنت القطيع إذ نسبت له صفة الشهادة على هذه الجناية التي يُعزى إليها كل دم يسيل بعد ذلك على وجه الأرض .

(ب) اللوحة الثانية : النبـــات:

شخّصت الشاعرة النباتات وكونت منها ألواناً متعددة من زهر وصفصاف وورد ونخل وأشجار وعشب ، فجعلت منها إنساناً يشاركها عالمها الداخليّ، فالنبات صار إنساناً يشعر ويتحرّك فأصبح نابضاً بالحياة ، له ما للإنسان من حسٍّ وشعور وصفات يختصُّ بها عالم الإنسان ،ولأن الشاعرة ترعرعت في الريف ما بين زهرٍ ونخلٍ فكانت قريبة من نفسها، تبوح لها بدواخل نفسها وما يجول بخاطرها .

-الأشجـــار:-

من الصفات الإنسانية الحزن والبكاء والتضرع لكن الشاعرة استعارتها للشجر، فتقول :

ووقـــفنا تحت الصـــباحِ تماثيـــ ـــلَ حيَارَى كأنفسِ الشُـــــعراءِ
وانحنتْ فوقنا الشُجَيراتُ حـــزناً تتباكى بأدمـــعٍ خرســـاءِ (٢٤)

شخَّصتْ الأشجار فهي تحزن و تتباكى على الناس ، فالشجر شارك الإنسان القرويّ حزنه فبكى بدموع لا تتكلم لكنها تعني الكثير من المعاني ، فالطبيعة هنا تقف لتشارك الإنسان حزنه ومصابه.

---

٢٤ – المصدر نفسه ، ص ٢٨١.

ثم ماذا؟ ماذا ترى العينُ في الصيـــ ـــفِ إذا أقبل المســـاءُ الداجي ؟
هل سوى مَنْظـــــرِ النخيل البعيدات وحزنِ الأشجار خلف السياجِ([٢٥])

تزدري الشاعرة الصيف ولياليه ، فهي لا ترى فيها إلا نخيل واقفات وأشجار حزينة خلف الأسوار، فالصيف قد حزنت فيه الأشجار لشحِّ المياه فيه فلم يصمد في وجـــه لهيبه إلا النخل وأشجار ذابلة منكسرة مثل إنسان حزين قد ذبـــل وجهـــه وذهبـــت نضارته حزناً وألما .

تتلوّى الأشجـــار ضـــارعة والـــ ـــمطر البارد الشـــــتائّي يهـــمي
تتلوّى في رعشة ، في جـــــــنون وفؤادُ الإعـــصارِ في غَلَـــــــيانهْ
تتلـــــــــوّى كأنهـــا روح إنسانٍ يريد الخلاصَ من أحـــزانهْ ([٢٦])

ذاك كان حالها في الصيف ، أما في الشتاء فرياح الشتاء تتلاعب بها وهي تتضرع إليها وترجوها في حال بائسة ترتعش أغصانها برداً والريح تزمجر بقـــوة وتشـــتد والأشجار تحاول الإفلات من هيجان هذا الإعصار لكنها لم تتمكن مـــن ذلـــك فلـــم يسعها إلا أن تتمنى أن تموت وتهلك فهو السبيل للنجاة من أحزانها ، فحزنها ممتـــدّ صيف وشتاء ، فروح الشاعرة الحزينة تجلّت واتضحت عندما نسبت الشاعرة تلـــك الصفات للأشجار من حزن متصل وروح ترجو الخلاص مما تقاسيه وتعانيـــه فـــي خضم مجريات الحياة وأحداثها .

- العشـــــب:-

أنظري أنظري هنا العُشُبُ الأخـــ ـــضرُ نشوانَ في سُفوح الجـــبالِ
عندَ نبعٍ من قُنّةِ الجبلِ الأبـــــيضِ يَجْري تحت السَّـــنا والظلال ([٢٧])

---

[٢٥] – المصدر نفسه ، ص١٣٣.
[٢٦] – المصدر نفسه ، ص ١٦٣.
[٢٧] – المصدر نفسه ، ص٩٣ .

تشخص الشاعرة العشب فهو "نشوان" سعيد منتش على سفوح الجبال فهناك تكـــون الأعشاب تحت ظلال المياه ، فالعشب ينضح خضرة ونضارة وسعادة عند منبع ينبع من قمة الجبل المكسوّ بالثلوج ويجري على سفح الجبـــل تحـــيط بـــه الأشـــجار و الأعشاب .

- الزهـــــر:

الزهر على صفة الإطلاق في شعر الشاعرة قد خلعـــت عليـــه صـــفات الإنســـان، فصيرت له خدوداً رقيقة ، وغدا باسم الثغر، يُغْرَم به ويغرم بالجمال حوله ، فتتعدد علاقاته إذ تربطه بالفراش والشاعر علاقة عشق ، وبالشوك علاقة ودّ وصلة ، تقول الشاعرة :

من حريـــر السحاب أثوابُـــــها النا عـــمةُ النَسْـــج من خدود الزهور
من جَنَاح الفراش ملمسُ خدّيـــــــها ومـــن رقَّة الشَّذى المسحورِ (٢٨)

وفي ظلّ وصف الشاعرة للسعادة فهي في نظرها أسطورة خياليّة فكذلك أثوابها من صنع خيالها، فقد حيكت من حرير السحاب ومن خدود الزهـــر إذ جعلـــت للزهـــر خدوداً، فالسعادة كما تخيّلتها الشاعرة ناعمة رقيقة الخدين كأنها خُلقت مـــن جنـــاح الفراش ، ذات أثواب تحاكي في نعومتها وجمال ألوانها الزهور الشذيّة.

وتبدو ملابسها أسطوريّة خياليّة كوجودها الأسطوريّ ، فملابسها سحب من خـــدود الزهر وجناح الفراشات ، ومن شذى الزهر وحرير السحاب ، فالخـــدود ناعمـــة ، وجناح الفراش رقيق، والحرير ناعم، والشذى جميل الرائحة. فالسعادة رقيقة ناعمة جميلة الرائحة فهذه صورتها كما تخيّلتها الشاعرة ، ومن صور خيالها علاقة عشق بين الزهر والفراش فتقول :

---

٢٨ – المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .

وغرامُ الفـــــراشِ بالزهر أسمى من صباباتِ عاشقٍ بَشَـــريِّ[٢٩]

فصيّرت الفراش عاشقا للزهر يلثمه باستمرار ليقتات من رحيقه فغدا متيّم به لكنــه عشق يعلو على عشق البشر فهي ترى ذلك العشق ساميا يترفع عن كل ما يقلّل من شأنه ، وتقول.

وليحبّ الغـــيومَ والفجرَ والنهــ ــرَ ويُمْضي الأيّامَ بين التـــلالِ

يتغنّى فيعشقُ الزْهرُ مــوسيـــقاهُ عند الهُوَى وفـــوق الجبالِ [٣٠]

وبالمقابل علاقة عشق ثانية ، لكن هذه المرة الزهر هو العاشق فتحدثت الشاعرة عن علاقة الشاعر الوطيدة بعناصر الطبيعة ،فهو يسير ما بين غيم ونهر وتلال وزهــر فيكوّن علاقة بهذه الموجودات، فالزهر أصبح عاشقاً يهيم حبــاً بأغاريــد الشــاعر وألحانه بعد أن كان معشوقاً من الناس والفراش صار إنساناً "يعشق" وقد عشق شعر الشاعر وأناشيده التي يتردّد صداها على كل رابية وفي منخفض كل وادٍ، وتسترسل الشاعرة في وصف علاقات الزهر، فله علاقة جديدة بالأشواك ، لكنها علاقة قــرب ومؤازرة فتقول :

كيف تَفْنَى الأشواك حارسةُ الزهر ويَبْقى الوردُ الرقيق الضعيفُ؟[٣١]

فالزهر مخلوق جميل رقيق ولفرط رقّته يحتاج لمن يحرسه فالشوك حول الزهــر ليس إلا حارساً له فأي سوء أو يد تمتدُّ للزهر يتصدّى لها الشوك الذي يدافع بشراسة عنها، لكن إن زالت الأشواك كيف سيكون حال الورد؟! ومــا مصــيره؟! ولعــلّ الشاعرة قصدت أن المعاني الجميلة لا بد وأن تحيط بهــا المنغصّــات والأكــدار، فالشاعر تلتهب قريحته إذا سكنه الحزن والألم فشخّصــت الأشــواك فصــيرتها "تحرس" وكذلك الزهر جعلته إنسان حوله حرّاس يقومون بحمايتــه . ولعــلّ تلــك

---

[٢٩] – المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

[٣٠] – المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

[٣١] – المصدر نفسه ، ص٩٧ .

العلاقات التي تحيط بالزهر جعلت منه سعيداً ومبتسماً أينما كان حتى فوق القبــور فتقول :

فـــــإذا غنَّتِ العصـــــافيرُ وافترّ تْ ثغورُ الأزهـــــــارِ فوقَ ثَرانا
وتمشَّى الأحياءُ فـــــوق بقـــــايا نا وداسُوا عظـــــامَنَا ودمـــــانا
فهو ثأر الطـــــبيـــعةِ البارِدِ المرِّ وسخريّةُ الزمـــــــانِ العاتي(٣٢)

فأسندت للورد صفة إنسانيّة "ثغور" و " تبتسم " فوق القبور ، و العصافير صـــارت إنساناً يغني والزهور فوق القبر متفتحة باسمة والناس يدوسون تلك القبور فهذه من سخرية الحياة بالإنسان فالحياة مستمرة والعصافير مغردة والزهور مبتسمة والقبور منتهكة فهذا مما يثير بؤس الشاعرة وحزنها ، فالحياة لا تتأثر بموت إنسان و تتكــل به حياً وميتاً ؛ فأحزنته حياً وسخرت منه ميتاً. وقد امتدّ تبسّم الزهر وصار ضحكاً فتقول :

وزهورُ الســـفوحِ تضـــحكُ للنحـــ ـــلِ وتُحني رؤوسها للنســـيمِ (٣٣)

جعلت الزهر إنسانا يضحك مُرحِّباً بالنحل ويحني رأسه إجلالا وإكراما لنسائم الربيع حين تهب فرؤية الزهر متفتحا يتمايل مع هبات النسيم يثير البهجة في النفس.

- الـــــورد:

صورت الشاعرة للورد دموعاً حزينة وابتسامات رقيقة يملك ما يملكه الإنسان مـــن أجزاء جسده فله وجه وقلب وشفاه ورمش وخدود ، كريم بكل ما عنده مـــن عطـــر ولون وحب ، وهو ذو حسب وشرف ، ـــتقول:

وخـــــدودي مُـــخـــمـــلٌ لَـــــدْنُ بقّـــعـــتْـــهُ حمـــــــــرةٌ خجـــلي
من شـــــــذاها ينـــبـــعُ اللـــــونُ ويـــرشُّ الوردةَ الجَـــــــذْلَى(٣٤)

---

٣٢ – المصدر نفسه ، ص١٣٨ .

٣٣ – المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

٣٤ – المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

وشخّصت الوردة فصيرتها جذلى فرحة مسرورة قد استقت حمرتها من خدي الشاعرة الخجلة وامتدّ هذا الإحمرار ليطال الورد فصار أحمر جذلان مسرور بلونه، ويقابل سرور الورد صورة أخرى وهي حزنه وأساه فتقول:

كيف ترقَا مدامعُ الورد في الحقـ ـل ويبكي على أساها الحَمَامُ ([٣٥])

فالورد والحمام كلاهما يبكي حزناً وأسى في الحقول عندما يرون حال فقراء القرية وما يعيشونه من فقر وجوع ،فتتعجّب هل بالإمكان أن تجف دموع الورد؟! لكنّ الورد لم تجف دموع عينيه حزناً على شقاء أهل القرية.

شَغَلَتهم أحزانُهم عن معاني الـ ـظلِّ والضوءِ والنّدَى الألّاق

عن مذاق الجمالِ في وردة خجـ ـلَى على شطِّ جدولٍ رَقْراق ([٣٦])

فأحزان أهل القرية أو الريف عموماً من جوع وفقر شغلتهم عما يكون حولهم من شجرٍ وظلٍّ وشمسٍ، وورود حمراء خجلاً في طرف جدول ماء صافٍ رقراق.

ناديتُ الوردة ذات صباح :" يا وردةُ إني عطشى "

فَرنَتْ وانتفضَت وابتسمت

وجهاً ، قلباً ، شَفَةً . رمشا

منحتني العِطْرَ ، اللون ، الحب ، وما بخلَتْ

فرَشتْ لي خديّهْا وحنت ([٣٧])

تحكي الشاعرة موقفا من نسج خيالها مع الوردة إذ منحتها صفات إنسانية لتدلل على رقة الزهر وتعاطفه مع الشاعرة ، فالشاعرة تخاطبها بنداء العاقل "يا " لتخبرها بعطشها لكل معنى جميل افتقدته في حياتها فما كان من الوردة إلا نظرت إليها

---

[٣٥] – المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

[٣٦] – المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

[٣٧] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ٢ ، ص٢٠٢.

بحنان وابتسمت وتفتحت تلك الوردة بكل ما فيها من جمال لــونٍ، وطيــب رائحــة ؛لتَهَب الشاعرةَ العطر والحب والحنان .

تحيـــــّةً شقائَق النُعـــمـــــانْ

يا أختنـــــــــا الحـــمـــــراءْ

ياشـــفَـــةً ساخنة الألـــــــوانْ

مـــترعـــــــةً دمـــــــــــاء

أختاهُ أنتِ أشرفُ الورودْ (٣٨)

تخاطب الشاعرة شقائق النعمان وهو ورد شديد الإحمرار فتبادرها بالتحية وتنعتهــا بالأخت فكأن هناك قرابة نسب بينهما كما تصف لونها الأحمر بلون الشفة الممتلئــة بالدماء لشدة إحمرارها كما تعلي الشاعرة من مكانة هذه الوردة عن غيرها فتراها من أعلاهم منزلة وأشرفهم مكانة .

- النخـــــيل:-

إن الضحك والحكمة والصبر والصبا كلها صفات تخص عالم الإنسان لكن الشاعرة نسبتها للنخل فتقول :

سوف تصفو الأمواجُ في لجّةِ النّهْــ ــرِ ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ

وتعود النخيلُ تضـــــحكُ للشطـــِّ كما كنَّ في الليالي الخــوالَي(٣٩)

لا بد أن يأتي يوم وتجري فيه الأنهار بمياهها وتزول الأعاصير عندئذ يعود النخيل " للضحك " كما كان ، فإذا زاد الرخاء وعمّ السلام واختفت الشرورٍ ستحلُّ السعادة ليست على الإنسان فقط بل حتى على النخيل وســترجع لــه ضــحكاته وســعادته فشخصت النخيل إنساناً ضاحكاً سعادة وبهجة لحلول السلام فهذا من أماني الشاعرة

---

[٣٨] – المصدر نفسه ، ص ٢٣٨.

[٣٩] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١ ، ص ٣٩٤ .

وآمالها، فالنخيل عاصر الحزن والبؤس وها هو يبتسم في ظل السعادة ، وقد قد اكتسب الحكمة لتنوع تجاربه وأحواله تقول:

فلنُقمْ هاهنا عريشَ أمانيـ ـنا من الورد والشَذَى الروحيِّ
ولنَذُق حكمةَ النخيل ونقبسْ بعضَ أسرارِ صبرِهِ الأبديِّ
لنعشْ هاهنا تعلِّمُنَا الأشـ ـجارُ سرَّ الدنيا وموسيقاها([٤٠])

لقد أمست الشاعرة تحلم وقد صاغت أحلامها من شذى روحها بعبق الورد وجماله فنسبت "الحكمة" للنخل فهو في نظرها إنسان حكيم بصير بأحوال الدنيا فهو نموذج يحتذى في صبره فالنخل يصبر على شحّ الماء ويواجه الريح والرمال. وتشخّص الأشجار فهي تعلم سّر الحياة وكيف تتناغم مع مجرياتها فليتأمل الإنسان ذلك ليتعلّم أسرارها .وترى النخل صابراً حكيماً ، تقول :

وفروعُ النخيل مدّتْ على مجـ ـرى السواقي ظلالها السَمْراءَ
سكبتْ عطرها وخدّرتِ المرْ ج وفاضتْ خصوبة ونَمَاءَ([٤١])

فالنخل الصابر الحكيم يعيش ضاحكاً سعيداً ماداً فروعه التي ينتشر ظلالها على السواقي قد فاض خصوبة ونماء فشخَّصت " النخيل " ساكباً عطره وظله في كل مكان في منظر يثير السرور والبهجة .

- الصفصاف:

وهو شجر يعيش في التربة الرطبة وحول السواقي والمياه وقد أنسنت الشاعرة الصفصاف إذ تقول :

ياسفيني ارحلي ، دعي شاطئ القر ية إنّ المرْسى ضنين بعيدُ
وغصونُ الصفصاف عارية السيـ ـقانِ والليلُ في الحقول أبيدُ ([٤٢])

---

[٤٠] – المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

[٤١] – المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

[٤٢] – المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

نسبت للصفصاف صفة "العري" وهي صفة إنسانيّة فالصفصاف تعرت سوقه من الأوراق مشيرة للجدب والقحط الذي حلّ بهذه القرية ، فالصفصاف عانى كمعاناة أهل القرية.

ثم تقول:

وغداً ترسم الظلالُ على قبـــــ ـري خطوطاً من الجمالِ الكئيبِ

وغداً من دمي غـــذاؤكَ ياصفـ ـصاف يا تينُ أيُّ ثأرٍ رهيبِ([٤٣])

وتخاطب الصفصاف والتين بخطاب العاقل فعندما يموت الإنسان تنبت الأشجار على قبره كذلك الصفصاف والتين ستنبت على قبر الشاعرة ، فهذا ثأر الحياة تقتصّه من الشاعرة حتى بعد وفاتها فلم تكتفِ بمعاناتها في حياتها وما قاسته من ألم وحزن.

(ج) اللوحة الثالثة : الجمادات:-

هذه اللوحة تتألف من عناصر صامتة لا حياة فيها لكن الشاعرة بثت بها الحياة والحيوية فقامت بإضفاء صفات إنسانية للأشياء مثل التي تخصها كالعود والساعة أو مما هو حولها في السماء أو الأرض كشاطئ ونهر وبحر وقصر وقبر ورياح ونجم فكما هو معلوم أن الشاعر يعقد صداقات قوية مع مظاهر البيئة ليبوح لها بأسراره وأحزانه ، كما شخصت أعضاء الإنسان وجعلت منها أناسا لها ما للإنسان من أحاسيس ومشاعر وأفعال كالقلب والعين .

- البحـــر:-

خاطبت الشاعرة البحر ملهم الشعراء بما يخاطب به العاقل ، فهو ذاك الامتداد الشاسع، الذي تثور أمواجه وتهدأ ثم تتكسّر على شواطئه تماما كنفس الشاعر التي تتصادم مشاعره مع واقع الحياة فقالت :

[٤٣] - المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

لم أصِبْ في رحــلتي إلاَّ صَـــــبَاباتي وجُهْــدي
فليكنْ ، يابحرُ ، هذا ، بالمُنى ، آخرَ عهـــــــدي
كــيف يابحــرُ توارى الركْبُ خلفَ الجـــزُرِ؟
كيف يَذْوي في فؤادي الصّــبِّ حُلْمُ السَّفرِ ؟ ([٤٤])

فتخاطب الشاعرة البحر وتناديه بنداء العاقل "يا" لتخبره بأن رحلتهــا بحثــاً عــن السعادة والحب قد فشلت ولم تخلّف سوى التعب والجهد الذي لا طائل منه، فرحلتها هذه كانت آخر أمنية تمنّتها الشاعرة فكانت نهاية الحلم الذي تبحث عنه الشــاعرة ، فهذا الحلم قد ذبل في قلب الشاعرة.

أيها البحر أيُّهـــــا الأزرقُ الــدا كنُ إهدِرْ ماشئتَ في الظلـــــماء
ســاخرَ الموج من قُــوَى الآدميـيــ ـــنَ عــمــيــقاً مُــدوِّيَ الأنواءِ
مَخَــرتْ في العُبابِ منك الأساطيــ ـــلُ وتاهتْ في موجكَ اللانهائي
وبَقِيتَ المجهول يرهُبك الإنســـانُ و هو الطاغي على الأشــياءِ ([٤٥])

وتعاود الشاعرة مخاطبة البحر فتأمره بأن يهدر ويرعد ويزبد ما يشاء، فهو من لــه القوة فصوته عالٍ وموجه ساخر من الإنسان ، ومع أن الإنسان يخافه و بالرغم من قوة البحر وسخرية أمواجه ، فالإنسان هو مَنْ له الغلبة .

كيف يابحرُ كيفَ تَنْســى مَــرَاحي عندَ أمــواجكَ الجميــلاتِ أمسِ؟
عندما في طــفــولتي كنتُ ألهـــو في شواطيكَ بين بِشْــري وأنْسي
طالما من أمواجـــك الباردات الــ ـــبيضِ أترعتُ في الأمسِّ كأسي
ليتَ شعري فهل نَسيت أغاريـــدي وحبّي الطاغي وفورةَ نفسي؟ ([٤٦])

---

[٤٤] – المصدر نفسه ، ص ٣٠٠ .
[٤٥] – المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .
[٤٦] – المصدر نفسه ، ص ٤٠٢ .

ثم تسأل الشاعرة البحر وتوجه له أسئلة مثقلة بالأسى والحزن والحسرة ، فهل نسي مجيئها عند أمواجه في طفولتها، فقد كانت طفولتها على شواطئ ذلك البحر، وأنى له أن ينسى تلك الأغاريد التي أنشدتها على شطآنه وتراقص أمواجها هل من الممكن أن ينسى حبها الذي بثَّ طغيانه على قلبها ومشاعرها المتدفقة وصراعات أفكارها فهل يذكر البحر تلك الذكريات أم نسيها مع الزمن؟

- النهـــر:-

أسندت الشاعرة للنهر صفات إنسانية كالقسوة والرفق والشفقة والنسيان والكتمان وكعادة الشاعر يرى ما حوله بمنظار مختلف فترى فيضان النهر جمالاً فتقول :

هكذا الشاعرُ الخيالي يقضي يومَهُ في الأوهامِ والألحانِ
ويَرَى في طُغيانِ مائكَ يانهـ ـرُ جمالَ الطبيعة الفتَّانِ (٤٧)

وتؤنسن الشاعرة النهر فهي ترى فيضان مائه جمالاً يضاف لفتنة الطبيعة وجمالها فكذلك كان الشاعر يجنح كثيراً لخياله ويعيش حياته ما بين تغريد أشعاره وأوهام قلبه وأحلام نفسه.

وبالمقابل تؤوب الشاعرة للواقع فتخاطبه بما يخاطب العاقل وتقول :

يا نهـرُ لا تقسُ على الميّتينْ
حسبُكَ ما سبّبتهُ من شقاءْ
حسبُكَ ما شرّدتَ من بائسينْ
وارفقْ بسُكّانِ الثرَى الأبرياءْ (٤٨)

وفي صورة مقابلة تشخَّص الشاعرة النهر بصفات إنسانية فتنسب له صفة القسوة فقد سبّب للأحياء الشقاء بسبب ما يكابدون من خسائر إثر فيضانه فتشرَّد الناس من

---

٤٧ – المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ .

٤٨ – المصدر نفسه ، ص ٣١٦ .

منازلهم ، وأُغرقت مزارعهم ، فتخاطبه الشاعرة "أفلا يكفيك من هم فــوق الثــرى حتى تطول من هم في قبورهم؟! فهلّا ترفّقت بــالميتين وحفظــت لهــم حقــاً " . فاستعاطفها للنهر كان لبني الإنسان بشكل عام ثم تستعطفه بما يخصها وبأمور تتعلق بمشاعر سابقة وحب قديم فتقول :

يا نَهْرُ لا تحفظْ دموعي أو أسى قلبي المــرُوعِ
اكتمْ – حنانك – ما تساقطَ في مياهكَ من دموعي
ذهبَ المساءُ بكلِّ ما أبصرتَ من حزنْي العمــيقْ
ومحا الدُجَى من عُمرِ يأسي ليلةً لن تســــــتفيقْ
انْس الذي أبصــــــرتهُ بالأمـــــس من أحزانيه
واكتُمْ أسايَ وأدمعي تحتَ النُجـــــومِ الحانيــة
انسَ الخطَى المُتَعـــثَّراتِ وصــوتيَ المتــهدِّجا
والدمعَ ، يخنُقُ كلَّ ألـــــفاظي بكفٍ مـــــن شجا
رحماكَ أنتَ الكاتمُ الـــــحـــــاني على المتأوِّهينْ
وحنان موجِكَ كم طَوى قلباً يعـــــذُّبُهُ الحـــــنينْ
أنتَ الذي شَـــهِـــــــدتَ مياهــكَ أدمعي وتردّدي
أنتَ الذي ســـمـــعت ضــفافُكَ آهتي وتنهّدي ([٤٩])

مما أعتاده الشاعر الرومانسي بثّ شكواه وأحزانه وآلامــه للطبيعــة ومظاهرهــا، فالشاعرة اتخذت من النهر صديقاً مقرّباً لها ولعلّ الشاعرة أحسّت بالغربة في عــالم الإنسان فلجأت للنهر عساه مؤنساً لها في تلك الوحدة والعزلة التي فرضتها الشاعرة على نفسها فهي لا ترى الإنسان إلا ضعيفاً وتلح على النهر بحفظ سرها و حزنهــا

[٤٩] – المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

ومرّ شكواها التي تبثُّها للنهر ففي غربتها النفسية لا ترى إلا النهر ملاذاً لها، وتؤكد الشاعرة المعنى مرة أخرى بقولها :

يا نهْرُ فلتدفنْ شكَاياتي ومُرّ شُجــونها

الآدميّةُ إن بكتْ فلِضَعْفها و جنونها([٥٠])

مازالت الشاعرة تفرغ ما في نفسها من ألم وشكوى وتبثّه للنهر فتطلب منه ألا يبوح بحزنها أو بكائها في لحظات ضعفها عندما تفقد زمام مشاعرها و آلامها فتصــرخ بقوّة ما يضطرم في نفسها من لوعة وحرقة فليلتمس لها العذر فهي في نهاية الأمر آدمية تنتابها ما ينتاب البشر من حزن وضعف .

- الشواطئ:-

شخصت الشاعرة البحر والنهر وكذلك الشواطئ وهي الحدود الفاصلة بــين المــاء واليابس ولعلها حدود بين الواقع والحلم عند الشاعرة ، والسعادة هي حلم تبحث عنه الشاعرة فتسأل عنه الشواطئ وتخاطبها قائلة :

أين أصــدافكَ اللـــوامع يــاشطُّ إذن أيـــن كنزُكَ الموعـــــودُ؟

هاتهِ رحــمةً بنا ، هــات كــنزاً هو ما يرتجيهِ هذا الوجــــــودُ

هاته حســبُ رملك البــارد القــا سي خداعـــاً لنا وحســبُك هُزْءاً

يالحلمِ نزيدُ مـــنه اقـــتـــراباً وهو مازال أيها الشط ينــأى ([٥١])

إذ تنادي الشطّ لتسأله أين كنزه وأصدافه اللامعة؟ ولعلها أرادت السعادة التي بحثت عنها عند الصيادين فقد كانت تظن أنهم وجدوا السعادة لكنها لم تجد هذه السعادة ، أو ظنت أن الشاطئ قد بخل بها فتصف رمل الشاطئ بـــ " قاسياً خادعاً " فهو يهزأ من البشر ومن أحلامهم لا يأبه للإنسان.

---

[٥٠]- المصدر نفسه ، ص ٣٨٨.

[٥١] - المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

فما زالت تعتقد الشاعرة بعدم وجود السعادة ولا مستقر لها إلا في الأحلام ، فهي حلم تتبعه الشاعرة فكلما ظنّت أن بوسعها الإمساك به ابتعد عنها ، فهي سراب لا ينفكّ الإنسان باحثاً عنه ، يتراءى له أمام عينيه لكن من غير الممكن أن يعيشه الإنسان.

فخلعت الشاعرة على الشواطئ صفة الحزن فصيّرتها حزينة متأثرة بخيبة أمل الشاعرة وحزنها ،فحياتها حزن وألم فتقول:

مرّ عمري سدى وما زلتُ أمشي فوقَ هذي الشواطئ المحزونه ([٥٢])

- القبـــور:-

جعلت الشاعرة من القبور أناساً تحزن على الإنسان ، والقبور هي نهاية هذه الحياة فالناس الذين ترثيهم الشاعرة رحلوا عن الوجود فابتعدوا عن آلامه برحيلهم لعالم الأموات فلم يبق منهم سوى تلك القبور الحزينة لحال الإنسان الحزين الذي يحيا في ذلك الوجود، ومن أدعى ما يثير الحزن أول قبر في الأرض ، فقبر هابيل وجناية قابيل كلاهما مدعاة للحزن والألم فتقول :

أين هابيلُ ؟ أين وقعُ خطى أغـ ـنامه في الحقول والوديان؟

ليس منه إلا ضريح كئيبُ شادَهُ في العراء اول جانِ ([٥٣])

تم تذكر الشاعر قصة قابيل وقتله لأخيه هابيل فتساءلت الشاعرة عن هابيل وقد كان يمشي على الأرض وأغنامه لها خطى مشت بها على الأرض فلم يبق من تلك المأساة إلا قبر حزين لحدوث أول قتل بشري في التاريخ وقد شهد هذا القبر قابيل

[٥٢] – المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

[٥٣] – المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

أول قاتل على وجه الأرض، وهناك قبر آخر أثار حزن الشاعرة وتعلّل ذلك الحزن بقولها :

قـــــبرٌ وحـــــــيدُ لم تَنَلْهُ المـــيـــاهْ
مُعْتصِـــــــمٌ بالقِمَّـــــة الساخـــــرةْ
كـــــأنَّه يَرمُقُ أفْقَ الحـــــــــــياةْ
مُـــــسْـــتهـــزئاً باللُجَّةِ الدائرةْ ([٥٤])

تصف الشاعرة قبراً رأته يعاني الوحدة اعتزل بقية القبـــور مبتعـــداً عنهـــا كحـــال الشاعرة وحيدة معتزلة الناس ، هذا القبر المعتزل لم تستطع مياه الفيضان الوصول إليه فصار هذا القبر ينظر للحياة بنظرة سخرية واستهزاء لكل ما يحدث من ضجيج وفوضى فيها، إذاً هذا قبر وحيد اعتصم بقمة الجبل الساخرة لعلوها عن غيرهـــا إذاً فالقبر اعتلى عن كل ما هو دون ذلك ، فنفس الشاعرة حاولت الترقي والترفّع عـــن كل ما هو دونيّ في الحياة ناشدة المثالية في عالم قد ابتعد عنها كثيراً.

فالموت هو النهاية عند الشاعرة ، فالموت مأساة كما هي الحياة مأساة ، والقبـــور هي الباقية تشهد تلك النهاية فتقول :

ليس منهم إلا قـــــــبورٌ حـــــزينا ت أقيمت على ضفاف الحـــــياة
رحلوا عن حِمَى الوجـــــود ولاذوا في سكونٍ بعـــالم الأمـــواتِ([٥٥])

تتحدث الشاعرة عن الأموات ورحيلهم عن الحياة فلم يبق لهم أثر سوى قبر حزين على هامش الحياة يحكي مأساة الإنسان التي تختتم بمأســـاة أعظـــم وهـــي المـــوت فالإنسان حزين حي وقبره حزين وهو ميت .

[٥٤] – المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .
[٥٥] – المصدر نفسه ، ص٦٠ .

- القصـــــــور:-

وكما تناولت الشاعرة القبور مساكن الأموات ، تناولت بالمقابل القصور سكنى الغنى والترف ، فتخاطبها سائلة بقولها :

أين نُعــماك يابقايــا القــصور الــ ـــبيضِ أين الأزهار والأطــيارُ؟
هـــــــجرتْكِ الطيورُ غير غــرابٍ وجــفاك الأريــج والإخــضرار
أين أهلوكِ ؟ حدثيـــــني مـــــــاذا يا ركام الأنقاضِ كان المصــير ؟
أين يحيون ؟ أي كـــــهف من الأر ضِ زواهم أساه والديجـــــــــور
أين أهـــــلوك ياقصورُ أتحتَ الثــ لجِ أم مزقْــتهُمُ القـــــاذفاتُ([٥٦])

إذ تتساءل عن النعيم الذي كانت ترفل فيه فأين أزهارها التي حفّت بـــه وأطيارهـــا المغرّدة في حدائقها؟ أين ذهب هذا النعيم؟ فحالها تحوّلت من نعمة إلى نقمة ،لم يبق فيها إلا الغراب الذي هو رمز للشؤم عند الشعراء ، فتلك القصور ذبلت أشـــجارها وجفت أزهارها حتى أهلها قد هجروها فتحاول الشاعرة استنطاق تلك القصور بـــل أطلال القصور فما بقي منها سوى الانقاض فقد تهدّمت وعفا عليها الـــزمن، لكـــن الشاعرة تسأل عَمَّنْ سكن تلك القصور، أين من سكنوها؟ أهم تحـــت الأرض فـــي قبورهم قضى عليهم الأسى والحزن والشرور أم قد أهلكـــتهم الحـــروب أم دفنـــتهم الثلوج؟ فالشاعرة موقنة بموتهم رغم سؤالها للقصور تعبيراً عن حسرتها وشدة ألمها فحتى الأغنياء الذين عاشوا في قصور فارهة ونعيم مقيم لم يجدوا السعادة فلقد كانت تظنَّ أن السعادة عند الأغنياء تسكن في القصور فلقد مات ســـاكنوها فـــأنّى لهـــم السعادة؟!

[٥٦] – المصدر نفسه ، ص ٧١ .

- **القـــلب:-**

شخصت الشاعرة القلب بصفات يوصف بها الإنسان من حزن وإنكسار وأسى وشكوى وقلق وتضرع وغرام ومنى وفرح وشباب وخيال وغناء ودمع، وهناك قلوب تبحث عن السعادة ولو كانت في أكواخ فقيرة ، فتقول :

كم وراء القصور من مقَلُ تبـ ـكي وتشكو قساوةَ المقـدور

كم قلوبٍ تَودُّ أن تُبدّل القصـ ـرَ بكوخٍ على حِفاف الغديرِ([٥٧])

هناك الكثير من القلوب تتمنى أن تعيش بأكواخ في قرية على ضفاف الغدير بدلاً من القصور الفارهة مقابل أن تجد السعادة ، فهي تظن أن السعادة في تلك القرى وفي الأرياف فالقلوب التي تنشد السعادة بحثت عنها في القصور لكنها لم تجدها فأيقنت أن السعادة ليست في الغنى ولا في الحياة المترفة أو في القصور المنعّمة، فاتّجهت تبحث عنها في ذلك الكوخ الريفيّ على ضفاف الغدير لعلّها تجد السعادة فيها، لكن لم يكن لها من الحظ إلا الأسى والحزن ، فتقول :

كم رأيتُ الصيَّادَ في الشارع المُقْـ فرِ يمشي معـذّباً مَصْدوما

عكستْ مقلتاهُ أحزانَ قلبٍ سئم العيشَ والوجودَ الأَليما ([٥٨])

وفي صدد بحث الشاعرة عن السعادة في الريف وجدت الصيّاد الذي كان قلبه يعاني ويئن حزناً فقد ضجر وملَّ من الحياة بل من الوجود الذي يضج بالآلام والأحزان ، فبدا ذلك كله في عينيه، فحتى الصيّاد كان يشعر بالحزن و قلبه معذّب مصدوم بمآسي الحياة وأحزانها بعد أن كانت تظن بأنه حاز السعادة وعاشها ، لكنها خيالات توهمها ذلك القلب ، فتقول :

---

[٥٧] – المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

[٥٨] – المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

أتراهم أولئك البَـــــشَـــر اللا هونَ بين الجـمـــال والأحـــلامِ ؟
أتراهـــم كـــمـــا تخـــيّل قلبي ؟ أم تراني أمعنتُ في أوهامي ([٥٩])

ثم تساءلت الشاعرة هل حقيقة أنّ الناس الذين ينعمون بالجمال من حولهم وبتحقيـــق أحلامهم ومناهم قد وجدوا السعادة في هذه الحياة ؟!أم هي خيالات تتراءى لقلبهـــا؟! فتردُّ الشاعرة على نفسها بأنّها أوهام تعيشها وهي تبحث عـــن الســـعادة ومكـــان وجودها ، وما زال قلب الشاعرة حائراً ، قلقاً ، لا يطمئن ، فتقول :

ثم يمضي الليلُ العميقُ إلى غيـــــ ـــــرِ رُجوعٍ وتبسمُ الأضـــواءُ
فيـــمَ كـــان الصراعُ يبـــعثه القلـــ ـــــبُ إذنْ فيم ؟ فيم لايطـــمـــئنُّ
فيـــمَ يأبى الحياةَ في وحشة العُزْلةِ والفكر فيم يمضي يـــئنُّ ؟ ([٦٠])

فضَّلت الشاعرة حياة العزلة لكن قلبها لم يشعر بالاطمئنان فصار قلقاً بل يئن ألماً من وحشة العزلة لم يرتض حياة الوحدة ، فالشاعرة ظنَّت أنها ســتجد الســعادة بـــين جدران الوحدة وصمت العزلة لكنّ قلبها لم يشعر بتلك السعادة بل مضى يئن متوجعاً فقامت بشخصنة القلب إذ جعلت منه إنساناً "لا يطمئن" يأبى الحياة "يئن" لتصوِّر مـــا تعانيه وتقاسيه بين جدران العزلة، وبدأت تعلّل ذلك القلق وتلك الحيرة ، فتقول :

ومضى القلبُ صارخاً أيـــن حبَّي؟ أين لهوي؟ وفيمَ أبقَى أســـيـــرا
أبداً لا أنى أضـــحّي بأفـــراحي، وأحيا ذاكَ الحزينَ الكســـيرا ([٦١])

أخذت الشاعرة تعلّل نفور قلبها من العزلة فهو يبحث عن حبه وهـــواه ، ويـــأبى أن يكون أسيراً في سجن الوحدة والعزلة ، أو أن يترك أفراحه ومتعته بالحياة ، لا يريد أن يكون حزيناً كسيرا ذليلا تستعبده العزلة، فالقلب يتساءل عن أفراحه و حبه ، هل يفرِّط بهما؟ ثم يجيب إجابة قاطعة بالنفي، فهو يرفض ذلك الأسر، وذاك الحزن الذي

---

[٥٩] – المصدر نفسه ، ص ٩٥ .
[٦٠] – المصدر نفسه ، ص ١٠٧.
[٦١] – المصدر نفسه ، ص ١٠٨.

فرضته الشاعرة على نفسها، فالشاعرة تتساءل ثم تجيب بنفسها عن تساؤلاتها ، مما يدل على الصراع النفسي الذي كانت ترزح تحته والقلق الذي عاشته، وهناك سبب آخر لتلك الحيرة والقلق وهي ذكريات قديمة ، فتقول :

يالَــقلب المسكينِ تلــدغــه الذكــ ــرى وتُحيي غرامَــــه وأســاهُ
هكذا قد قــضى علــيه كــيوبيــ ــدُ فماذا تُفــيدُهُ شكــــواهُ؟ (٦٢)

ثم تتحسر الشاعرة لحال قلبها الذي نعتته بــ"المسكين" فحبه هو ذكرى تلــحّ عليــه لتحيي أحزانه من جديد، فغرامه قد رحل ولم يبقَ منه سوى ذكرى تؤرّقه وتثير أساه فالحب الذي رمزت له بــ " كيوبيد " قد مات، فتطرح الشاعرة سبباً لحزنها الملازم لها فالحب قد قتل قلبها والذكريات " تلدغه " فيما بقي منه حيا ، فهو ذكرى مؤلمــة موجعة تحيي ما تحاول الشاعرة نسيانه فأي شكوى ستفيد ذلك القلب المسكين؟! فهي ترثي لحال ذلك القلب فبالتالي ترثي نفسها البائسة الحزينة، وثمة سبب آخــر لتلــك الحيرة وهي الغربة النفسية ، فتقول :

والفــــؤاد الرقــيق يصدمه الإحــ ــــساس بالواقع الغريب الجــديد
واقع لــم يحــــسَّــهُ قــط من قبــ ــل وأفقٌ من عالمٍ مــفــــقــودِ
لــيس يدري مــــاذا يُــحسُّ لمــاذا تــتبقّى أعماقُهُ في انتــفاض (٦٣)

فؤاد الشاعر حسّاس يشعر بالألم إذا اصطدم بالواقع من حوله ، ولأن هذا الواقع لم يألفه من قبل ، وغريب عليه بعكس غيره من الناس، فيشعر بأنه غريب، تائه، قلق ، مختلط المشاعر، ترتجف أعماقه إثر هذه الغربة والوحدة ، ومن تعليلات الشــاعرة للحيرة والقلق التي تنتاب قلبها وهو الموت ، فتقول :

---

٦٢ – المصدر نفسه، ص ١١٣.

٦٣ – المصدر نفسه، ص ١٦٦.

يا فؤادي الشَـريدَ ودِّع أمـــانيـــ ـــكَ فلن نلمحَ الصباحَ الجمـــيلا
أنتَ يامن قضَيْتَ عُمْرَكَ مـفـتو ناً تناُجي الرُّبى وتشدو الحـقـولا
واسترحْ أيها الخـفـوق كفى حُزْ ناً كفانا تضـــــرُّعـــا وذُهولا
لايرُعْكَ الرَّدى وحَـسْـبُكَ أنْ تُدْ ركَ يا قلبُ ســـرَّهُ المجـهـولا
فـيمَ تبكي على مُفَـارقـة الدُّنْـ ـيا وقد عِشْتَ في حماها غريباً ؟
إنهـا أيهـــا المعـذّبُ مـأسـا ةُ تُثيرُ الأسى وتبكي القلـوبا([٦٤])

وتخاطب الشاعرة قلبها بنداء العاقل "يا" وتأمره بأن يودَّع الأماني ويحيا في الحيـاة بدون أمل لشعورها باليأس من المستقبل وتطلب منه عدم الحزن لمفارقة الدنيا فهي لم تثر في قلبها إلا الأسى والحزن وألا يخاف من الموت فلا شيء يدعو للبقاء فيها أو الأسى عليها.

وتتحسّر على حال قلبها الذي كان مقبلاً على الحياة مغَّرداً بين الحقـول والروابـي لكنه لم يجد إلا الحزن والألم فهذه الحياة التي أحزنته لا تستحق أن يبكي عليهـا أو يرثيها فالحياة في نظرها مأساة مبكية للقلوب ، وآل القلـب فـي النهايـة للحـزن والعذاب، فتقول :

قلبـَي الذابلُ الحزينُ الذي مـــا تَ وذابتْ أفـراحُهُ ومنـــــاهُ
قلبي الشـاردُ المعـذّبُ بالأحـــ ـــلام ما بين دمـــعـــه وأساهُ
مالَه الآن خافـقـاً بنَـدى الحبِّ يغنّي تحـتَ النجـوم هَـوَاهُ
ويصـــوغُ المُنَى ويرْجعُ للشـــا طئ جذلانَ مُرْسلاً نجـواهُ ([٦٥])

تتحسّر الشاعرة على حال "القلب" فقد صيَّرته الشاعرة إنساناً حزيناً يائساً بدون فرح أو منى بلا وطن، أحلام كثيرة تؤرّقه وتجعله يعيش بين الدموع والأسى لأنه عاجز عن تحقيق تلك الأحلام بعد أن كان يشدو ويغرّد بين الأحلام والأماني نشواناً سعيداً

---

[٦٤] – المصدر نفسه، ص ١٩٨.

[٦٥] – المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ .

وهنا مقارنة لحالتي قلب الشاعرة عندما كان يغمره الحب ويعيش تحت أفيائه وبين ما آل إليه بعد فقده لأحبائه وحزنه على فراقهم وضياع الأحلام التي كان ينشد تحقيقها، وتؤكد تلك النهاية بقولها :

نعم ، مـاَتَ قلبي ، أينَ أحـزانُ حبِّـه ؟
وأين أمـانيهِ ؟وأيـنَ أغـانيـهِ ؟
حـرارتُهُ أضـحتْ رَمـاداً مـهـشَّـماً
وأحـلامُـهُ ذابتْ على صـدر ماضيهِ
هـو الآن ثـلـجيٌّ الـعـواطف ، بـاردُ
يُقـضِّي مع الأشـباحِ غُـرَّ لياليـهِ
ويّرْعـبُـهُ ذكـرُ الممُـاتِ وليـلهِ
فـيـدفِنُ نيـرانَ الأسى في قـوافـيـهِ (٦٦)

إذاً تؤكّد الشاعرة موت "القلب" الذي شخَّصته إنساناً له أحزان، وحب ، وأماني، وأناشيد لكنّ ذلك لم يحيه فتبخَّرت أحلامه وفَقَد الآن مشاعره وعواطفه ، صار جامداً لا يفكّر إلا في شيء واحد هو الموت ، فالموت هو ما يرعبه والحياة لم تعد تعني له شيئاً ؛ فتجمَّدت مشاعره وأصبح خاوياً يسيطر عليه الخوف من قرب أجله، لكنّ هذه المشاعر هي وقود شاعريته فنيران تلك الأحزان قد صهرت أحاسيسه في قوالب شعرية، فغدت حال قلبها بؤساً وحزناً ، فتقول :

ويَنْضبُ في قـلبي جـمالُ شـبابه
وينفُـثُ ليلُ الحـزنِ فـيه سُـمـومَهُ (٦٧)

---

٦٦ – المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

٦٧ – المصدر نفسه ، ص ٣٦٩ .

فبعد أن كان قلباً يانعاً مقبلاً على الحياة صار مع كل الحزن الذي أحاط بهذا القلب منهكاً متعباً جرّحته ليالي الأحزان وأخمدتْ أحاسيسه وجماله وحيويته ، فتقول:

كم زهورٍ جمعتُها لم تذر منـ ـها الليالي شيئاً سوى الأشواكِ
كم تعاليلَ صغتها فَنيتْ إلا خيالاً يؤودُ قلبي الباكي ([٦٨])

يتجلى حزن الشاعرة بمنحها للقلب صفة إنسانية وهي البكاء على ذكريات وأحلام وأمانٍ ذهبت أدراج الرياح فهذه الخيالات تتراءى لها دوما فلا تترك لقلبها إلا الأسى والحزن والبكاء على أطلال تلك المنى، لكنها تحاول تعزية ذاك القلب فتواسيه قائلة:

كلَّ يوم أقولُ : يا قلبي الظمـ ـآن للصَّحْوِ لاتضِقْ بالغَمامِ
ربما أشفقتْ بنا الصُدَفُ العمـ ـياءُ هذا الصباحَ بعد الظلامِ
لن يضْرَّ الأقدارُ في ليلها أن تتلقّاكَ مرّةً بابتسامِ
فتدبَّ الحياةُ ثانيةً فيـ ـكَ وتصحو خوامدُ الأنغامِ
ويُجنَّ الشعورُ في عُمْقِ أعما قكَ حيّاً حراً من الآلامِ ([٦٩])

ثمّ تخاطب الشاعرة القلب "بخطاب العاقل" فقد كان متعطّشاً لاستعادة كل المعاني الجميلة التي فقدها فتخاطبه بأن لا يأبه للأحزان فهي غمام سرعان ما تزول ، و ربما يأتي يوم سعده فتبتسم الحياة له ويكون أوفر حظاً مما مضى، فإذا كان ذلك ستدبّ به الحياة من جديد وتثور مشاعره و يُبعث شعره من مرقده وسينشد مغّرداً ليحظى بسعادته مرة أخرى متخلياً عن آلامه وأحزانه ، فهو مازال ينتظر ذلك الأمل ومصغٍ لذلك الحضور، فتقول :

---

[٦٨] – المصدر نفسه ، ص٦٥ .

[٦٩] – المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

وقلوبٌ تُصيخُ لأقدامنا في وُجومْ

وتنادي النجومْ

في أسىً وسكونْ:

" ومتى يانجومُ سيذكرنا الهاربونْ ؟" ([٧٠])

جعلت من القلوب أناساً تستمع بل تنصت لوقع أقدام ، فتنادي النجومَ لتقول لها متى يرجع "الهاربون" ؟! الذين هربوا بمشاعر وأحاسيس وفرح تلك القلــوب فـــأخذوا السعادة معهم ، فتتساءل بألم ويأس وغضب عن وقت رجوعهم ؟! .

إذاً تلك القلوب تبحث عن سعادة لم تحصل عليها وبالمقابل هناك قلــوب اســتمتعت بالسعادة في هذه الدنيا فوصفتها الشاعرة قائلة :

وهي حـــيناً في الإثم والمتع الدنـُـ ـــيا وفي الشرِّ والأذى والخصـــامِ

ليس تصـــفـــو إلا لقلـــب دنئٍ لائذٍ بالشرور والآثـــــامِ ([٧١])

تشخص القلب إنساناً "دنيئاً" حقير فترى أن كل قلب يتصف بهذه الصفة سيجد المتعة في هذه الحياة، فالحياة بما فيها من شرور وآثام ومتع زائفــة ســتغرق فيهــا تلــك القلوب، فالحياة حقيرة لا تستمتع بها إلا القلوب الدنيئة .

- العـــيون:-

ترى الشاعرة الشرور والقتل والحرب في هذا الكون ، فتخاطب الشاعرة العيــون وخصّتْ عيون الأطفال لبراءتها وطهاراتها وصدقها فتطلب منها ألا تسأل عن الدنيا وشرورها وتقلبات أحوالها أو أسبابها أو لأي شيء كان هذا الشر والظلم والــدمار، فتلك أقدار لا يملك الإنسان أمامها إلا التسليم ، فتقول :

---

[٧٠] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ٢ ، ص ٤٩١ .

[٧١] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ٨١ .

وأفاقــوا من حلــمــهم فإذا الأقــ ـــدارُ حربٌ والكونُ قــتلٌ ونارُ
ياعيــونَ الأطفــال لاتســألي الدنــ ـــيا علام اللظى؟وفيم الدمارُ؟([٧٢])

ثم تؤنسن الشاعرة العيون فجعلت لها مشاعر وأحاسيس، فتحس بأن هنــاك عيونــاً ماتت فيها المعاني فصارت باهتة بدون معنى، أعين جامدة ليس بها معنى للحياة أو وجود للروح فيها فكل المعاني قد ماتت وأحرقت فصارت رماداً تنثره الريح خلــت من معاني الحب والشوق فقد كانت بها مشاعر تختلج ويصطرخ فيها الشوق وصدى الحب وأوجاعه إذ تقارن الشاعرة بين حال العيون قديماً فقد كانت عيوناً تضــطرم فيها مشاعر الحب لكن أحرقت تلك المشاعر وصارت رماداً فهذا ما تشعر به تلــك العيون ، تقول:

وتُحــس العــيــونُ أنَّ عـــيوناً مات فــيها المعنى وعادتْ رَمادا
لم تعُدْ في أهدابها خلْجةٌ تستصرخ الشوقَ والصدىَّ والسُـــــهادا ([٧٣])

- القيثـــــارة:-

كانت الشاعرة تعزف العود ولها أذن موسيقية وكثيراً ما كانــت تقضــي أمســياتها عازفة على قيثارتها، فكانت قريبة من نفسها تناجيها الشاعرة وتعزف عليها أنغــام حزنها، فتشكو الشاعرة لقيثارتها حزنها وحسرتها فالقيثارة لجأت لها الشاعرة تبــوح لها بما تعانيه وتقاسيه من مآسٍ ، فالحزن يعتصر قلبها خاصة بالليل وظلمته تثيــر شجونها وتذكي أحزانها فتلهب جراح قلبها فلأجل ذلك كرهت الليل وكل مــا يمــتّ بصلة لليل من ضوء وظل رغم أن الشاعرة لقبت بـــ (عاشقة الليل) لكــن نفســها المتوترة القلقة باتت متقلبة المشاعر فهنا قد أبغضت الليل وكل ما يــذكّرها بــه ، تقول:

---

[٧٢] – المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

[٧٣] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج ٢، ص ٤٨ .

آه يا قـــيـــثـــارتي ، أيُّ المآسي!

قد كـــرِهْتُ الليلَ أضواءً وظلاّ (٧٤)

تعبّر الشاعرة عن مدى حزنها وأفاعيل الحزن والأسى بها فقد صارت طيفاً خيـالاً لشدة ما ألمّ بها من أحزان فغدا الكون حزيناً، فالكون شاركها حزنها وتـأثر بحالهـا فصار حزيناً متألماً لحالها كذلك العود فكان صوته بكاء وعويل بل نشيج –البكـاء بحرقة– فأنغام العود وموسيقاه تسمعها نحيباً على حالها ؛ فـالعود أيضـاً ينتحـب لحالها، أما الليل فصار يئن توجّعاً لشدة وطأة الحزن والألم ، فالشاعرة كانت تعزف على أوتار العود حزنا ونحيبا وليس نغما وغناءً، فالشاعرة والعود والليل في حزن وأسى ، تقول :

وسَـــرَتْ طيـفاً حزيناً فإذا الـــكونُ حـزينُ

فـمن العـود نشـــيجُ ومن الـــليلِ أنينُ (٧٥)

وأنسنت الشاعرة العود فجعلت منه عاشقاً مثلما عشقته هي، لكن الشاعرة شقيت بهذا الحب فهو حب بعث الحزن والألم في قلبها كذلك كان عودها محباً شقياً فـي حبـه فكلاهما مصيره الحزن والشقاء فقالت :

شَهِـدَ العـودُ كيف علّـــمتُهُ حُبَّ ـــكَ مثلي فهو المحبُّ الشقيُّ (٧٦)

وتؤنسن الشاعرة قيثارتها لكنها تنظر لها بمنظور السعادة والسرور فهي في ليلـة عيد، ليلة إئتلاف عربي فهو الحلم الوحيد الذي كانت تتمناه الشاعرة في تلك الفتـرة وتناديه بأن يصدح طرباً فرحاً مسروراً بذلك النصر ويترك أحزان الماضي وكآبته

---

٧٤ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ٣٠٥ .

٧٥ – المصدر نفسه ، ص ٣٢٨.

٧٦ – المصدر نفسه ، ص ٣٣٤ .

فهي ترى الكون في هذه الأبيات بعين الرضا بعد أن كانت الخطوب والمآسي تملأه فتطلب منه أن يفرح ويصدح بأغاريد النصر ، تقول :

هي ياقيثارتي لحنٌ سعـــــــــيدُ
هي شعْرٌ ، هي وَحْيُ ، هي عــودُ
هذه الليلةُ للعـــــالَمِ عـــــــيدُ
وهي ، يا قيثارتي ، الحُلْمُ الوحــيدُ
أين أوتــارُكَ ياعــودي الحبيبـــا
شُــدَّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كــئــيــبا
لم تَعُــدْ دُنياكَ جَمْراً ولــهـــــيبا
أنتَ يامَنْ عِشْتَ في الكون غــريبــا
نَــغَمُ السِــلْمِ سَــرَى فاحْيَ طَــروبا
واملأ الــدنيا لُحــوناً وطُيــــــوباً
وانسَ أمــساً ملأ الكون خُطوبا (٧٧)

- الســـــاعة:-

تشخّص الشاعرة الساعة فكانت صمّاء لا تسمع ما يدور في هذا الكون الكئيب فهي صماء الأذنين في هذا الضجيج المدوِّي في هذه الحياة وما فيها مــن قتــل ودمــار وحرب ،غلب على هذه الساعة الصمت الذي يسكن غرفة الشاعرة فهي في وحــدة وعزلة ، تعيش في صمت إزاء ما يحدث في هذا الوجود وتعيش الساعة فــي هــذا الصمت والسكون فلم تعتد على سماع صوت ففقدت حاسة السمع فهي تعــيش فــي وحدة وعزلة مع الشاعرة غير آبهة بحزن الكون أو قسوة الحياة وضجيجها، فتقول :

٧٧- المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

كل شيء في الكـــــون حولي كئيــب في ليالي الشتاء ذات الرعـــــودِ
كل شيء حولي سوى ساعتي الصمّاء في صمتِ غرفتي المعهــودِ ([٧٨])

وتخاطب الشاعرة ساعتها بحزن وحسرة فساعتها أخذت منها الحزن وتأثرت بحزن الشاعرة وكآبتها فباتت كئيبة شريكة لها في مشاعرها من فرح أوخــزن أو شــقاء وتعاسة فالشاعرة الحائرة تثيرها دقات تلك الساعة خاصة في الشتاء عندما تطــول لياليه فتتقلب الشاعرة بين يدي الحزن وتلتهب آلامها وأحزانهــا، فالســاعة تــذكّر الشاعرة بالزمن وما في الحياة من آلام وأحزان وذكريات حزينة مؤلمــة فكــذلك كانت الساعة كئيبة تبعث الكآبة والحزن في نفسها فكلاهما قد تأثر بالآخر لكن هــذا التأثير كان موجعاً محزناً، وتقول :

إيه يا ســـــاعتي الكـــــئيبةَ يا من صحــبتني في فــرحتي وشقائي
ما الذي تبعثين في نفسي الحيــرَى من الحزن في ليالي الشــتاءِ ([٧٩])

وفي ذكرى مرور عام على فراق الشاعرة من تحب استيقظت أحزان الشاعرة التي كانت خاملة لكنها ثارت عندما دقّت الساعة بأنها الساعة العاشرة عنــدها تــذكّرت الشاعرة تلك الذكرى المؤلمة فأطلقت على الساعة صفة "الحماقة" فنعتتها بالحمقاء ، فلعل الشاعرة تريد من الساعة أن تشعر بأحزانها وآلامها فلا تحاول إثارتها بإعلانها تلك الساعة التي فارقت فيها من تحب لكن الساعة لم تلبِ أمنية الشاعرة في نســيان تلك اللحظة، فالشاعرة لم تنسها بل بقيت خاملة في نفسها إلا أن دقت الساعة فأيقظت تلك المشاعر، تقول :

مرّ عامُ ودقّتْ الساعــةُ الحمـــــقاءُ عشْراً واستيقظتْ أحــزانِي ([٨٠])

---

[٧٨] – المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
[٧٩] – المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
[٨٠] – المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

وتصف الشاعرة يوماً مرّ بها وتصفه بأنه تافه لم يحدث به شيء ذو بال فتعجبَّت الشاعرة من الساعة ، فالشاعرة قد عهدتها بأنها كسولة تتكاسل عن تحديد الوقت لكنها في ذلك اليوم رغم تفاهته قد كانت الساعة تحصي الوقت وتهتم به، وتحدده وتحصي على الشاعرة لحظاتها وساعاتها فلعل الشاعرة أرادت منها التوقف فلا داعي لإحصاء تلك اللحظات في ذلك اليوم التافه الذي تتمنى الشاعرة ألا يكون من عمرها أو من أيام حياتها ولا يحسب لها هذا اليوم في هذا الوجود، فتقول:

كان يوماً تافهاً ، كان غريباً

أن تَدُقَّ الساعةُ الكَسْلى وتُحصي لَحظاتي ([٨١])

- الرياح:-

أسبغت الشاعرة على الرياح بما يخص عالم الإنسان فنسبت لها صفات من أنين ويد وعويل وسخرية ورقص وإغفاء ونطق ومواساة وغيرها جعلت الرياح إنساناً له أنين فصوت الريح تسمعه الشاعرة أنيناً والأنين لا يكون إلا من الألم فالرياح تئن حزناً فهي خالدة باقية في هذه الحياة والشاعرة سيأتي يوم وتخلو الحياة منها فتفارق الحياة فجعلت للريح يداً تمر على القبور فهذه الريح العاصفة تعصف فوق تلك القبور وترافقها الأمطار فالشاعرة حزنت لذلك المرأى لأنها تذكرت أنها ستنتهي إلى قبر كالذي رأته وستعصف الريح به فلا حامي لذلك القبر ولا مجير له من جور تلك الريح الذي قد أثرت على معالمه فلم تقم لميت حرمة ولم تعر اهتماماً لإنسان، فالإنسان عصفت به الحياة حياً وستعصف الريح به ميتاً، فتقول :

فإذا أنّتِ الرياحُ الحزينا تُ تذكّرتُ خُلْدها وفنائي

ورأيتُ القبورَ تحت يدِ الر يحِ وصوتِ الأمطارِ والأنواءِ ([٨٢])

---

[٨١] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ٢، ص ٤٦٧.

[٨٢] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ١٤٨.

تستنجد الشاعرة بالرياح والبحار فتنادي الرياح وتأمرها بالصراخ فتخاطبها إنساناً "اصرخي" وأن تتفجّع ويعلو صوتها بالبكاء فتنتحب عويلاً في كل شعوب العالم وتستصرخهم وتطلب من البحار أن تساندها وتصخب وتضج بهدير أمواجها و أن يستنجد بالنهار وأضوائه من ضحى وأصيل، كل هؤلاء استصرختهم الشاعرة ، فتريد الرياح عاصفة صارخة متفجّعة في وجوه الناس والبحار هادرة والنهار واضح مشرق الشمس ليجلو كل ما يقع عليه نوره ، فتقول:

فاصرخي يا رياحُ في شُعَبِ العا لم وامضي تفجُّعا وعويلا
واصخبي يابحارُ ماشئت في سمعَي واستصرخي الضُحَى والأصيلا[٨٣]

وقد رقَّت الغيوم لحال البشر فجعلت الشاعرة لها أعيناً باكية فالمطر رمز لدمع البشر وبكائهم وفي هذه الأثناء تهبّ الرياح التي صيَّرتها الشاعرة إنساناً ساخراً يهزأ بأحلام الإنسان وأمانيه فصوت الريح وصفيرها ما هو إلا سخرية وهزء بأمنيات الإنسان ورغباته لعدم تحققها ، فتهزأ بالإنسان وبكل ما يتمناه في الحياة من سلام أو سعادة فليس له إلا الدمع والبكاء، تقول:

حيثُ تبقى الغيومُ مُمطرةَ الأهـ ـدابِ رمزاً لدمعنا وبُكَانا
وتَظَلُّ الرياحُ تصفرُ سُخْريّـ ـتَهَا من أهوائنا ومُنَانا [٨٤]

وتصف الشاعرة الريف فهي ترى فيه بهجة الحياة وترى المراعي خضراء باردة الأجواء فتشخِّص الشاعرة المراعي فتجعل منها إنساناً سعيداً مبتهجاً وقد أتت الريح ترقص فرحاً مع تلك المراعي الجَذْلى فهي تحرك تلك الأعشاب التي تميل حيث مالت الريح فكأنها ترقص فرحة معها ثم هدأت الريح كإنسان قد غفا وهدأ فبمجرد

[٨٣]- المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .
[٨٤] - المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

بزوغ الضياء تستقرّ الريح وتهدأ ، فالريح ترقص ثم تغفو فجعلت منهـــا الشـــاعرة إنساناً لتصف لنا جمال الربيع في الريف فالسعادة قد ارتسمت بين أحضانه ،تقول:

إنّهُ الريفُ فالحيـــــــــاةُ ربيـــــعُ خضِلُ العِطْر باردُ الأنـــــــــداء
والمراعي النشوى تُرَاقصُها الريـــ ـــحُ وتغفو على خدود الضياءِ([٨٥])

وتؤنسن الشاعرة الرياح فتطلب منها الرفق برفات الغرقى فيكفي الإنسان أفاعيل الحياة به فتطلب أن يكون لها قلب محب مشفق على هذا الغريق، وتشير الشـــاعرة إلى أن الجميع يعرف بجراح الإنسان وما يقاسيه في هذه الحياة لكنها تتكـــر علـــى الريح عدم معرفتها بذلك فتتساءل الشاعرة لماذا الرياح لا تعرف بجراح الإنســـان؟! لكنها قد أثارتها وألهبتها فقد حملت ملح البحر و وضعته علـــى جـــراح الإنســـان فالرياح هيجَّتْ تلك الأحزان والأوجاع التي يعانيها البشر فالشاعرة تنظر إلى رياح الليل بأنها قد أعادت ذكرى الأحزان فالليل مثير لحزن الشـــاعرة ، ورياحـــه قـــد أجمرت تلك الجراح، فكعادة الشعراء الليل وقت للبوح بالأسرار وبـــث التأوهـــات والآلام النفسية التي تضطرم في نفس الشاعر، فتقول:

يا ريـــاحَ الليـــل رِفقاً بالرُفاتِ
واهدئي ، لاتُقْلقي جسْمَ الغريقِ
حـــسبُهُ ما مزّقتْ أيدي الحياةِ
فليكُنْ منكِ له قلبُ صديقِ ([٨٦])
ولِمَ الرياحْ
لمْ تدر حتى الآن أن لنا جراحْ؟
لمْ تدر كم حملتْهُ من ملح البحارْ

[٨٥] – المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .
[٨٦] – المصدر نفسه ، ص ٣٠٥ .

لجراحـــــنا هي والنُواحْ؟ ([87])

وتصوَّرِ الشاعرة تعاطف الريح معها فالريح هنا صارت صديقة للشـــاعرة مشـــفقة عليها فغدت الشاعرة تبثّ لها حزنها وقسوة العزلة والوحدة على نفسها فردت عليها برقة الأزهار وأريجها وبهجة أيام الحصاد فحملت لها عبير الورد وحركـــت ميـــاه الغدير فصار مناجياً للشاعرة يروي حنين قلبها ويعالج غربة شعرت بها ويعيد الحياة لأودية مرّ عليها.

فصارت الريح مواسية للشاعرة فتخاطبها و قد هبت إكراماً لها وتبادرها بالســـؤال لأي سبب كان هذا الحزن الذي تكابده وهذه الأحزان التي تعانيها؟ فالريح هنا تدعو الشاعرة لمفارقة أحزانها وأن ترى الوجود بعين الجمال فـــأريج الأزهـــار حولهـــا، وعبير البنفسج والورد فوق سريرها، والغدير ينشد للوادي فعلام الحزن والنـــواح؟! فتقول :

شكوتُ إلى الريح وحدةَ قلبي وطولَ انفـــــرادي
فجاءت معطّرةً بأريجِ ليالي الحصـــــــــــادِ
وألقتْ عبيرَ البنفسجِ والوردِ فوق سُـــهـــــــادي
ومدّتْ شذاها لخدّي الكليلِ مكانَ الوســـــــــادِ
وروّت حنيني بنجوى غـــديـــرٍ يُغنـــي لـــــوادِ
وقالتْ: لأجلكِ كان العبيرُ ولـــــــونُ الوهـــــادِ
ومن أجلِ قلبكِ وحدك جئت الوجودَ الجميلْ ([88])

[87] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج ٢، ص ٩٦.

[88] – المصدر نفسه ، ص ٩٨.

- **النجـــــوم:-**

عقدت الشاعرة مع نجوم السماء صداقة، فصورتها بصفات العاقل لتبث فيها الحياة ، فصار للنجوم عيون وضحك وبكاء ويدان وخدود، وقد خلعت الشاعرة على الأنجـم صفة إنسانية فجعلت لها أسرارها الخاصة التي كشفتها وباحت بها إلى الزهاد الذين زهدوا بملذات الحياة ومتعتها ونأوا عن الناس في صومعاتهم يتعبدون فكانت حياتهم صامتة بكل معاني السكون فالشاعرة كانت تظن أنهم وجدوا السعادة ، وفي معابدهم تسكن تلك السعادة الأسطورية لكنهم صامتون لأنهم يصغون لحديث الأنجـم وهـي تبوح بأسرارها وسر خلودها في هذه الحياة ، فالشاعرة تصف النجوم بالعلو فهـي عالية ارتفعت عن الدنيا بكل ما فيها من شرور وخلدت على مرّ الأيـام فتـرى أن الزهَّاد قد اقتربوا منها فأنفوا عن الأرض وكل مافيها وقرروا أن يستمعوا لحـديث النجوم ومكنوناتها الخاصة ، تقول :

هؤلاءِ الزُّهّـادُ في القُنّة الخضـــ ـــراءِ حيثُ الحياةُ صمـْتٌ مديدُ
ربمـــا كاشَفَتـهمُ الأنجُـمُ العُلْـ ـيا بأسرارها وباحَ الخـلودُ ([٨٩])

وتخاطب الشاعرة النجم وتطلب منه أن تكون أضواؤه أعيناً تبكـي علـى غرقـى فيضان النهر ،إذاً تشخص الشاعرة النجم وتصيّره إنساناً يشـاركها الحـزن علـى الغرقى إذ أضوائه التي تصل في كل مكان قد تكون عيوناً تهمر الدمع حزناً علـيهم ورثاءاً عليهم ، تقول :

ولـتْكن ، يا نجمُ ، أضـواءُك عـيناً
تسكُبُ الدْمـعَ على من غَـرِقـا ([٩٠])

[٨٩] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ٢٤٨ .
[٩٠] – لمصدر نفسه ، ص ٣٠٥.

وتؤنسن النجوم فهي تضحك تارة وأخرى تبكي وتارة تغني والشاعرة على حال واحد لم تفارق حزنها، فالشاعرة غارقة في حزنها وتتردد أصداء آهاتها على جدران حياتها والنجوم ما بين ضحك من جراحها وباكية رأفة بها وتؤنسها في وحدتها فالنجوم أحوالها متقلبة لكن الشاعرة مقيمة على هيكل حزنها وترديد آهاتها، تقول:

لم أزلْ تضحَكُ النجومُ وتبكي وتغنّي على صدَى آهاتي [٩١]

وكانت النجوم تضحك ولها أهداب يشعُّ من بينها الأمل، والفراشات "ترقص" كأنها "سكرى"، فإنشاد النجوم ورقص الفراشات ،كل ذلك يدعو لدهشة الشاعرة، فالنجوم تضحك والفراشات ترقص فرحةً ثملةً بطيب رحيق الزهر، فهذه الرموز تثير استغراب الشاعرة لوجودها في هذه الحياة، فتتسآءل كيف توجد نجوم ضاحكة وفراشات راقصة والإنسان حزين يشعر بالألم والأسى لا يجد للفرح مكان ، فالنجوم لمن تضحك؟! والفراشات لمن ترقص؟! فالعالم يعمُّ فيه الشقاء والبؤس، فعلامَ الضحك والرقص؟ فتقول:

ولمن ترقص الفراشات سكرى بعيون البنفسج الزرقاء ؟ [٩٢]

وجعلت الشاعرة للنجمة يداً ترشد العاشقين لمكان بعيد وكانت تلك النجمة ترقب وتتبع أثرهما فحينما كان الهوى رقيقا لطيفا لدرجة أن النجمة جعلت من ضوئها يدا ترشد الناس وتشير لمكان يبتعدان فيه بهواهما عن بقية الناس فالنجمة تعتني بذلك الهوى لما علمت من رقته وجماله تريد أن تساعدهما على كتمان ذلك الحب، فتقول:

هنالكَ ترصدنا نجمةٌ من هوانا الرقيق
تمدّ يديها لترشدنا لمكانٍ سحيقْ [٩٣]

---

[٩١] – المصدر نفسه ، ص ٣٣٤ .

[٩٢] – المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

[٩٣] – نازك الملائكة، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج٢، ص ٢٢.

وقد خلعت على النجوم صفة إنسانية فصيَّرت لها خدوداً فالشاعرة تنادي محبها : هيّا إلى الحلم، فالسعادة والحب حلم عند الشاعرة ، فالمساء الجميل والليل الرقيق وضوء النجوم تذكرها بأيام الحب وتبادل الهوى فيما بينهما، تقول الشاعرة :

تعـــالَ لنحلُمَ ، إن المســـاءَ الجـــــميل دنا
ولينُ الدُجى وخـــدودُ النجُـــوم تُنادي بنا ([٩٤])

(د) اللوحة الرابعة : ــ الزمان والمكان:

إن عنصري هذه اللوحة مترابطان رغم اختلافهما، فالزمن متحرك متغير ، والمكان ثابت ،لكن لابد لكل زمن من مكان ، والزمان والمكان نقلتهما الشاعرة مـــن عـــالم المحسوس إلى عالم العاقل ، فاستعارت صفاته وأحواله ، فتحولا إلى لوحـــة حيـــة ناطقة تفيض إحساسا وجمالا.

- الزمـــــــــن:

وهو عمر الإنسان ووقته من ماضٍ وحاضر ومستقبل ، فيشمل السنين ومافيها مـــن فصول وأيام ، وما يكون في الأيام من ليل ونهار ، وما يتجـــزأ منهمـــا كالمســـاء والصباح .

ومـــا مَـــحـــاهُ الـــزَّمنُ الـــقـــادرُ
أيُّ يـــدٍ تكتُـــبهُ من جديـــــدُ ([٩٥])

فترى الشاعرة أن الزمن قادر على جعل الناس ينسون الناس والأحداث فتزول ذكراهم مع مرور الزمن فتريد الشاعرة أن تثبت للزمن القوة والهيمنة على محو

---

[٩٤] – المصدر نفسه ، ص ٢٦.

[٩٥] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص٢٧٩.

حتى الذكرى من صفحات الحياة فالزمن هو الكفيل بمحو الماضي من صفحة الحياة فهناك الكثير من الذكريات التي محاها الزمن ولا نستطيع إحياءها مرة أخرى ، وقد يعمل الزمن على محو الذكريات تقول الشاعرة :

لم يَبْــقَ إلا اســمٌ، وروحُ خـــــوَتْ

وذكرياتُ قـــد مَــحاها الزمــانْ([٩٦])

شخَّصت الشاعرة الزمن وجعلت منه إنساناً يقوم بمحو الذكريات ، فذهنها كانت به بعض الذكريات التي تتذكرها مع أناس كانت تربطهم بها روابط لكن كان مصيرهم الفراق فتبقّى لديها بعض الذكرى لكن الزمان محاها ولم يُبْقِ إلا أسماء فقط تتذكرهم بها الشاعرة فصارت روحها خاوية لم تمتلء إلا بالحزن والألم فارغة مــن الأمــل والسرور والسكينة والاطمئنان، وتؤنسن الشاعرة الزمن فتجعل له كفاً كالإنســان ، تقول :

كلٌ عُــمْــرٍ قصــيــدةٌ كــتبتْهــا في كـــــتابِ الحياةِ كفُّ الزمــانِ

وغداً يمــحّى الكتابُ جمـــــيعــــاً وتذوبُ الحــروفُ في الأكفانِ([٩٧])

وأسندت للزمان الكف فجعلته إنساناً تكتب كفه حياة البشر ،فعمر الإنسان قصيدة والكاتب الزمان والكتاب هو الحياة فعبرت بالماضي " كتبتْ " ، وفي المستقبل " يمحّى ، تذوب " فستنتهي حياة الإنسان بموته ، ولعلها قصدت الشاعر فحياته هي القصيدة التي يؤثر الزمان في حروفها لكن نهاية قصيدته تكون بموته ، وتؤكِّد الشاعر المعنى مرة أخرى فللزمان يد وقوة على الإنسان فمحى من ذهنه ذكريات مرت عليه فنسبت له صفة إنسانية وهي اليدّ التي هي مكمن القوة والقدرة والسلطة عند الإنسان ، فالإنسان ينسى كثيراً أحداثاً ماضية فالشاعرة تجعل للزمن سلطة

---

[٩٦] – المصدر نفسه ، ص ٢٧٨.

[٩٧] – المصدر نفسه ، ص١٣٦.

فيطوي الزمن الناس فيذهبون وتفرّقهم الأيام أو تفْنهم ولم يعد لهم أثر إلا أسماء فقط يتذكرهم الناس بها، فتقول:

وطَوَتْهم يدُ الزَّمـــان و لم تســـتبقِ منهم شيئاً سوى الأســـــماءِ ([٩٨])

وغداً يطفئُ الزمانُ ســـــــــراجي ويُضيعُ الرَّدى صَدَى ألحاني؟([٩٩])

ومثلما طوى الزمن الناس فإنه سيأتي يوم يطوي الشاعرة ويطفئ سراجها ، فتفارق روحها جسدها ، ومثلما تموت الشاعرة ويقضى عليها الموت تتساءل عند موتها عن أناشيدها وأشعارها هل ستموت بموتها؟

فالزمن باق لا يموت بينما المعاني الجميلة قد تموت أو تنام فتضفي الشاعرة علـــى الطموح والمُنَى والغرام وهي معاني الحياة صفة النوم إلا الزمن يبقى ساهراً لا ينام فالمعاني الجميلة قد تنام وتهدأ لكن الزمان يبقى منتبهاً للإنسان لايغيب عن نـــاظره. فيبقى الزمان يلفّ الإنسان ويحيط به دائماً لا يفارقه فهو لا يغفل عنه أبداً أو ينـــام، فتقول :

وينامُ الطموحُ تنامُ المُنَى والغَرَامْ
وتنامُ الحياةُ ، ويبقى الزَمَانْ
ساهراً لايَنَامْ ([١٠٠])

ثم تعلن الشاعرة بداية جديدة ينبت معها عمر جديد وحياة واعدة بعد ما كانت تعاني جراح الزمان القديمة فكم كانت مؤلمة لكنها انتهت وختمت ، فهي بداية قادمة مفعمة بالتفاؤل والأمل لكن جذورها نبتت من الحزن والألم.

وهـــنـــاكَ انطـــــوى سِـــــفْـــرُ واخـــتـــتمـــــْنا النشـــــيدَ القديمْ

---

[٩٨] – المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ .

[٩٩] – المصدر نفسه ، ص ٣٤٦.

[١٠٠] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج ٢، ص ٢٣٣ .

وغـــــداً يـنـبـــتُ العُـــمْرُ فوقَ جُـرْح الزمـــان الأليم ([101])

وتصف الشاعرة الزمان بأنه قد حقق بعضاً من أحلامها ،فإذا صار الحلم حقيقة تراءى لها حلم غيره ، وبالرغم من تحقق بعض أحلامها مازالت نبرتها حزينة إذ تطمح نفسها لغيره فلم تهنأ بذلك ، فالطموح حبيب مقرب لنفس الشاعرة شديدة التعلق به .

كان هـــذا الطمـــوح لعنـــةَ أيّا مي فـيا ليـتني عصيتُ هـــواهُ

كلـما حقّـق الـزمـــانُ لقلـــبي حُلُماً صَوّرتْ حياتي ســواهُ ([102])

وتصوّر الشاعرة الزمن إنساناً قاسياً على البشر يذيقهم الأسى والحزن فإذا تجرّعوا مرارة الألم وتوجّعوا عَلَتْ الآهات وارتفعت الأصوات بالتأوهّات فيقف الزمن غير آبه ساخراً من ألم الإنسان ومعاناته ، فتقول :

نحن نحـيـــا في عـالمٍ كلُّه دمـــ ـعٌ وعُمْـرٍ يفـيض يأساً وحزناً

تتـــشـفّى عناصـــر الزمن القا سي بآهاتنا وتســـخرُ منّا ([103])

وفي صورة مقابلة تنظر للزمان بأنه رفيق للإنسان في هذه الحياة شاهد على حاله ، فمرة يضحك لضحكه وتارة يبكي لبكائه فأصبح الزمان ودوداً يشعر بما يشعر به الإنسان ،فتقول:

وضحكـنا مع الزمـــانِ وسـرنا في ظلامِ الحـياةِ مُبْتسـمـينـــا

تارةً ســاخرين من كل مـا نَلْـقى وأخـرى تحت الدُجَى باكينا([104])

وترى الشاعرة بأنها قد عانت الكثير من زمانها فقد سبّب لها الألم والحزن وأساء لها كثيراً فتطمح أن يعتذر في يوم من الأيام ،وتتعجّب كيف يسيء لها ولا يعتذر عما بدر منه اتجاهها فتلومه قائلة:

---

[101] – المصدر نفسه ، ص ٤٣٦.

[102] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ١٢٠.

[103] – المصدر نفسه ، ص١٢٥، .

[104] – المصدر نفسه ، ص١٣٧ .

فيا عَــجَــباً للزمان المـــــسيء

متى عن إساءته يعــتــذرْ؟([١٠٥])

لكنها في نفس الوقت تتلذذ بذلك الأسى الذي سببه حقد الزمن فتلك الأحزان كانت ملهمتها في الشعر؛ الذي هو سلوتها في هذه الحياة .

- الســـــنين:

من الملاحظ أن الشاعرة في جميع قصائدها تستخدم كلمة سنين بالياء فـــي الرفـــع والنصب والجر وترجع الشاعر سبب ذلك بقولها :"أن (الســـنين وبابـــه) يعـــرب إعرابين أحدهما إعراب جمع المذكر السالم وهو الرفع بالواو والنـــون ، والنصـــب والجر بالياء والنون، وحذف النون عند الإضافة وانتفاء التنوين ، وهـــذا الإعـــراب الشائع الدارج وأنا لا أحبه ولا أستعمله ، والإعراب الآخر إعراب كلمة (حين) التي لا تتغير ياؤها إلى واو، وتبقى ثابتة عند الإضافة لأنها جزء من الكلمة "([١٠٦])

وتضيف قائلة :"والواقع أنني أرفض أن أقول (السنون) في حالـــة الرفـــع ، وقـــد لاحظت أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن مطلقاً وإنما وردت (الســـنين)منصـــوبة ومجرورة فحسب ، وقد زادتني هذه الملاحظة نفوراً من (السنون) ".([١٠٧])

تناولت الشاعرة حوادث السنين التي تجمَّعت على ذلك القلـــب المســـكين فكبَّلتـــه بالأشواك والأحزان والمآسي وجعلته شديد الحساسية والشعور فهو يتألم بشدة ويعاني بقسوة وأخبرته حادثات السنين أنه هو أول باكٍ في هذه الحياة، ولعلها تقصد لشـــدة مصابه عن غيره فكأنه أول من أصيب بحوادث السنين، تقول :

فهو ذاكَ القلبُ الذي طوّفـــــتْـــهُ حـــادثاتُ السنين بالأشـــــــواكِ

---

[١٠٥] – المصدر نفسه ، ص ٣٦١.

[١٠٦] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٢ ، ص٤٧٣

[١٠٧] – المصدر نفسه ، ص ٤٧٤.

منحتـــــْهُ الحسَّ الرهيفَ وقـــالتْ: لتـــكن فـــي الحياةِ أوّلَ باكِ ([108])

فالأعوام كانت لها يد تمر بها على كل شيء فكل شيء مرّت عليه الأعوام والسنون يذهب ويضيع بين الأعوام وينهار على مدى السنين إلا عناد الشاعرة وأحلامها المتعطشة لكل جميل فإنها ستبقى ما بقيت الشاعرة ، تقول :

النشيد القـــديمُ ضـــاع صـــداه حـــيـــن مرّت به يد الأعـــوام

كـــلّ شيء يـــنهـــــارُ إلا عنادي وحنين الجمال في أحلامي ([109])

كما أن هذه اليد تحمل خنجراً تطعن بها الشاعرة فتنكأ أحزانهـــا وتتـــزف جراحهـــا ويزداد بكاؤها، فتقول :

فأبـــكي إذا صـــدمـــــتْني الســـنين بخَنْجرها الأبديَّ الـــرهيبْ ([110])

- المـــــاضي:-

صيَّرت الشاعرة الماضي إنساناً قد مات و كفَّن بالنسبة لها وماتت معه مشاعرها من لهفة وأشواق فكل تلك المشاعر دفنتها في أعماق نفسها في مكان مظلـــم لـــيس إلا الصمت والسكون والذكريات القديمة والمشاعر التي مرَّت بها كـــل ذلـــك تحـــاول الشاعرة إخفائه ليتوارى داخل نفسها، فتقول :

كنّا قد كفنّا المـــاضي ودفنّا اللهفة والأشواق

في الظلـــــمة في صمـــت الأعماق ([111])

فالماضي الذي مات لم يترك خلفه شيئاً غير احتقار الشاعرة للحياة تلك المشـــاعر ترسبت في أعماق قلبها ومعها ذكرى حب قديمة قد كفَّنها الماضي ودفنها لتنســـاها الشاعرة فلم يبق لها مكاناً في ذاكرتها، تقول الشاعرة :

---

[108] –، نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١ ،ص ١٣٥.

[109] – المصدر نفسه ، ص ١٦٩.

[110] – المصدر نفسه ، ص ٥٢٣.

[111] – نازك الملائكة،الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ٢، ص ٣٢.

صوت ماضيَّ الذي مات وما خلَّف شيَّا
غيرَ أشتاتِ احتقارٍ باهت
رسبتْ في قعْر قلبي الصامت
غيرَ أشتاتِ ادّكاراتٍ لحبٍّ كان حيّا
منذ أعوامٍ.. وقد فاتَ ومرّا
منذ أعوامٍ .. وصار الآن ذكرا
لفَّها الماضي ووراها الترابَ الأبديا ([١١٢])

فصل الربيـــــــــع:

تؤنسن الشاعرة الربيع فتجعله إنساناً يحنو فتتمنى الشاعرة أن يحنو ويعطف الربيع على تلك الصحراء وتلك الرمال فيكسوها شيئاً من الاخضرار حتى تستردّ جمالهـــا وسحر منظرها فتتمنى أن يحلّ الربيع بتلك المنطقة فيكسوها بحلة خضراء ولعـــل الشاعرة قصدت الحياة حولها والتي تشعر بها إذ صارت مقفرة مجدبة لا جمال فيها تتمنى أن يشفق عليها الربيع فيعطيها بعضاً من جمال مظاهره فتتمنى أن يمرّ ربيـــع على حياتها حتى تزهر من جديد، تقول:

ليت هذي الرمال تسترجـــع السحـــ ـــر وليت الربيع يحنو عليها([١١٣])

الربيع رحل عن الحياة وتوارى عن أنظار الشاعرة ، رحل بكل جمالياته وحيويتـــه فعادت الحياة إلى حزنها وآلامها والآمال ماتت وذابت في كل قلب وغدت النفـــوس تعيش الحرمان فقد حرمت من الفرح والسرور والبهجة فسادها الجـــدب والحـــزن والألم ، افتقرت للحب والسلام والخير لكن كل تلك المعاني الجميلة رحلت واختفت من القلوب برحيل الربيع ، فالربيع إذا رحل رحلت معه معاني الحياة ، فالربيع عند

[١١٢] – المصدر نفسه ، ص ٤٤٠.
[١١٣] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ٦٥.

الشاعرة هو السعادة والفرح والسرور والسلام والخير الذي تظنه الشاعرة أنه رحل عن عالمها وعن قلوب الناس، تقول :

هكذا يرحل الــربيعُ ســـــريعـــاً وتعود الحــياةُ لــلأحـــــــــزان
وتموتُ الآمـــــــــالُ في كل قلبٍ وتعيشُ النفوسُ للــحرمــانِ ([114])

فتخاطب الشاعرة الربيع وتشكو له عالم النسيان والصمت فلقد انتهت الأشياء الجميلة في حياتها فأصبحت في وحدة وعزلة لا شيء سوى الذكرى تزيد آلامهــا وتقلــب أحزانها، فالأشياء الجميلة يطويها النسيان عاجلاً، تقول:

هكـــــذا يا ربيــعُ يَخْـــتتم النِسـْ ــيانُ والصمــتُ كلَّ شيء جميلِ
ويعيــشُ الإنســـانُ تعصرُهُ الذكرى ويبكي على أساهُ الطـــــويلِ([115])

- فصل الخـــــريف:-

جعلت من الخريف إنسانا كئيباً له أيدي قد أحاطت بالنهر فقامت بتغليفه كأنه سرّ لا تودّ إطلاع أحد عليه ففي الخريف يكون بداية لأجواء باردة وأوراق متساقطة تغطيه فمن الصعوبة الوصول إليه فلا تستطيع الرعاة إيراد أغنامهم عليه عنــد الــرواح ، تقول:

وأرى النهر من بعيـــــــدٍ كســرِّ غلّفته أيدي الخـــــــريفِ الكئيبِ
لارُعـــــاةٌ على شـــــــواطئه يُزْ جونَ أغنامهمُ قُبيلَ الغــروبِ([116])

[114] – المصدر نفسه ، ص ١٣٠.
[115] – المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
[116] – المصدر نفسه ، ص١٢٦ .

- فصل الشـــــتاء:-

تخلع الشاعرة على الشتاء صفات إنسانية من كآبة وقسوة فالشـــتاء لشـــدة برودتـــه ولياليه الطويلة تسكن فيه حركة الحياة فيشعر فيه الإنسان بالكآبة والضـــجر فيثيـــر أسى الشاعرة وحزنها حين تختلي بنفسها أمام مدفأة باردة كبرودة الشتاء فلعلّ قلبها المثقل بالأحزان شغلها حتى عن إيجاد ما يدفئ جسدها ، تقول:

آه ما أكـــــأبَ الشـــــــتاءَ لياليـــ ـــهِ وأيامَـــهُ وما أقـــســـــــــاهُ
حينَ أخلو لنارِ موقدي الخامـــــــــ ـــــدِ والقلبُ مُغْرَقٌ في أساه(١١٧)

- الأيـــــام :ـــ

تشخّص " الأيام" بأنها السبب في إبعاد الشاعر وجعله في القبر يعاني وحده حتى أنه لا يستطيع التنفيس عن الأسى والحزن اللذين يتملكانه فذلك مأساءة في نظر الشاعرة، فالأيام كارهة لذلك الإنسان تريد إقصائه من الحياة ، تقول :

نبذْتهُ الأيامِ في قـــــــبـــــره المو حش تحت الرياح والظلـــمـــــاتِ
حيثُ لا آهـــةٌ يُـــصـــعِّـــدُها قـــلـــ ـــبٌ ولا دمعةٌ على المأساةِ (١١٨)

ثم تنسب للأيام صفة الغدر فقد غدرت بالقلب العاشق الذي جنت عليه مشاعره ، فأهدرت الأيام أحلامه ، وأذبلت حبه ، وأبعدت أحبابه ، فالقلب كان واثقا بأن أحلام حبه ستتحقق ،لكن الأيام نكثت وعدها وبددت أمنياته الشاعرة قد عقدت هدنة مع الأيام لكن الأيام لم تحفظ ذاك العهد فقلب الشاعرة الذي عانى وقاسى لم ترعَ الأيام له عهداً ، فأيام الهوى ولقيا الأحبة وحفظ عهد الصبابة كانت بمثابة مهادنة مع الأيام ، أما زمن الفراق و اللوعة والحرمان فلم تحفظ فيه الأيام للحب عهدا ولا للمحبين ودّاً ، فتقول:

---

١١٧ – المصدر نفسه ، ص١٢٧.

١١٨ – المصدر نفسه ، ص١١٠.

أين تلكَ الأحلامُ ؟ كيف ذوى الحبُّ؟ وأين الوجــهُ الحبيبُ النضــيــرُ

يا لَغَــدْرِ الأيام لم تحفظِ العـــــهــ ــدَ لقلبٍ جَنَى عليه الشعورُ([119])

وكذلك " الأيام " تحطّم آمال الإنسان وأحلامه ويستمر الإنسان في أحلامه التي يتمنى تحقيقها فيبني قصوراً شاهقات ويحلّق عالياً في سماء الخيال لكن الأيام تهدم تلك القصور وتحطّم تلك الآمال ، تقول :

ترفعُنــا الأحــلامُ فــــوقَ السُّهــَــــا

وتهدمُ الأيـــــّامُ ما نــأمـــــلُ([120])

فالأيام لها السلطة والقدرة فقد حطّمت آمالها اليوم وبعد موتها ستمحو ذكراها عبر السنيين ولن يتذكر الناس فتاة تعلّقت بالشعر وشُغفت به فالأيام للشاعرة بالمرصاد حيّة وميّتة ! تقول الشاعرة :

وســتمــحــو الأيّامُ ذكْـــرَ فتــاةٍ شَغَــفَــتها إلهــةُ الشعرِ حُبَّا([121])

- المســـــــاء: -

عند مجيء المساء يغطي الأرض يأتي بالمطر معه ، هذا المطر ينهمر بغزارة أسى على حال ذلك الإنسان فقطرات المطر ليست إلا دموعاً وبكاءً على أحزان الإنسان، فهو يعيش بحزن يكابد الآلام ويشكو الجراح فالمساء والمطر حزنا لحاله والريــاح العاصفة تشاركهما ذلك الرثاء على ذاك الإنسان البائس فهي ترثي كل قلب حــزين عانى من مآسي الحياة، تقول:

ويــجيءُ المســـــاءُ بالمطــر المنــ ــهلِّ يبكي على شَــجا الإنســان

وتظَلُّ الرياحُ تعصــــــــفُ بالنخــ ــل وترثــي لكل قلبٍ عانِ ([122])

---

[119] – المصدر نفسه ، ص١١٢.

[120] – المصدر نفسه ، ص٣١٨ .

[121] – المصدر نفسه ، ص ٢٩٨.

[122] – المصدر نفسه ، ص ١٢٧.

هل سوى الصائدين في النَهرَ الضحـْـ ـلِ يعودون في المساء الكئـيبِ
لم يصيدوا وصادَ أرواحَـــهم حـــرٌ نهارٍ مؤذٍ وعيشٍ جـــديبِ (١٢٣)

فخلعت على المساء صفة إنسانية "الكئيب" فجعلت منه إنساناً كئيباً حزيناً وفيه يرجع الصيادون بدون صيد لم يجنوا إلا التعب والفقر فالمساء أصبح كئيباً لعودتهم الكئيبة، وتقول:

كلُّ ما حـولي مُثيرُ للوُجـــــــــومِ
مَـصْرَعُ الشمـشِ وأحزانُ المساءِ(١٢٤)

فلا ترى الشاعرة في المساء إلا الحزن ، فهو حزين مثير لأحزانهـا فعنـد مقدمـه تغرب الشمس وتموت ويكون انقضاء النهار، فترى كل أجوائه مثيرة للتجهم والحزن والملل فالشاعرة تشعر بالحزن والكآبة والحزن فليس هناك مـا يثيـر فرحهـا أو بهجتها. وتصف الشاعرة المساء عندما يبدأ وقت المساء يلفّ برداءة الأسود الكـون وبصمته تسكن الأصوات وتبدأ الهموم والأحزان تتكالب علـى نفـس الشـاعرة ، فالهموم تقبل مع إقبال المساء فتغدو نفسها حزينة كئيبة يلفّها صمت وسكون وهموم وأفكار سوداوية حزينة فما يكون من الشاعرة إلا أن تعزف أنغام حزنها على أوتار عودها الذي يتصف بالكآبة والحزن كصاحبته لتنصت لها أضواء النجوم فليس هناك إلا هي وضوء النجوم ، هي تعزف على عودها والنجوم تستمع لها وتتلألأ أضوائها على دندنة أشعارها، فتقول:

وإذا أقـبـلَ المســـاءُ ولفَّ الـ ـكونَ بالصمتِ والدُجَى والهمومِ
وحملتُ العودَ الكئيبَ إلى الـوادي أُغنّي شعري لضوءِ النجـوم(١٢٥)

---

١٢٣ – المصدر نفسه ، ص ١٣٣.
١٢٤ – المصدر نفسه ، ص ٣٢٤.
١٢٥ – المصدر نفسه ، ص ١٤٨.

تحكي الشاعرة حكايات كانت تُحكى لها وهي صغيرة ،فكانوا يقولون إنها ستخلّد في هذه الحياة ،وصدّقتهم لصغر سنِّها، لكن المساء الذي اتخذته الشاعرة صديقاً إذ كانت أغلال حزنه تقيّده فشخصَّته إنساناً مُثقلاً بالسلاسل يتحرك ببطء وجمود فبادرته ،سائلة: هل حكاياتهم حقيقة، فردَّ عليها صائحاً ،بأنه كيف يعقل ذلك يا فتاة ،إنها مجرد كلمات ،فحكاياتهم مجرد قصص وأساطير لا حقيقة لها، فتقول:

وقالوا لنا في أغاريدهم إننا خالدونْ
خلود القرونْ
وصدقتهم ثم جاء المساء الصديقْ
يجرُّ سلاسله في جمودٍ وضيقْ
فساءلتُهُ : أهو حقٌّ هتاف البَشَرْ ؟
فحدق بي صائحاً : " يافتاة !
أصدّقتهمْ ؟ إنها كلماتْ " (١٢٦)

ومن قصصهم القديمة التي كانت تسمعها الشاعرة ،أن حباً واحداً بإمكانه الاستمرار، فيتحدَّى كل شيء ويرضى بالألم وأن حبّاً واحداً بإمكانه الخلود مهما تألَّم وقاسى واقتنعت الشاعرة بتلك المقولة لكن عند ما جاء المساء في أمسية من أمسيات الخريف الباردة، فسألته هل كلام العاشقين صحيح ؟ فردَّ باستهزاء وسخرية من كلامها، بأنه لا يمكن تصديق مثل هذه الترهَّات فهي مجرد كلمات عابرة ، تقول :

وقالوا: هَوىً واحدٌ خالدٌ يتحدّى العَدَمْ
ويَرضى الألمْ
وصدّقتُهُم ثم جاء المساء اللطيفْ

١٢٦ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج ٢، ص ٩٩.

هنـــالك ذات دجىً مـــــن أماسي الخـــــريفْ
وســـــــاءلتُـــــهُ أهي حقٌّ رؤى العاشقــين؟
فغمغــمَ مـــــستـــهـــــــزئَ النبـــــــــراتْ
" أصدّقتِهم ؟ إنّها كـــــــلمـــــــــاتْ " (١٢٧)

- الليـــــــــل :

لقبت نازك الملائكة بعاشقة الليل وقد سمت ديوانها بهذا الاسم ، فالشاعرة الحزينة ترى الليل ومظاهر الحزن فيه امتداد لما في نفسها، فأضفت عليه صفات الإنســـان من حزن، وأيد وخدود وعينين وسخرية فتخاطب الشاعرة الليل فلقد غدا قريباً من نفسها به تأنس وإليه تشكو فهذا الليل هو ليل نفسها فحزنه هو حزنها وظلمته هـــي الظلمة التي تشعر بها في نفسها ووحشته هي ما تعيشه في وحدتها، فظـــلام الليـــل البارد لم تستطع الشاعرة الفرار منه فهو يكتنف قلبها ويخيِّم على حياتها فصـــارت تشتاق لأمل جديد ، فالشوق للضياء والخير والسلام والسعادة هو ما ترغب به نفسها وتلحّ عليها في طلبه فتقول :

أيّهـــــا الليلُ لـــيلَ روحيْ أما مِن ملجـــأ من بُرُودةِ الظلـــــــماءِ ؟
ظما صارخٌ بأعمـــــاقِ نفـــــسي لشُعَاعٍ مُـــسَلْسلٍ من ضياءِ (١٢٨)

كان من عادة الشاعرة عزف عودها والغناء على أنغامه لـــيلاً فتقضـــي الســـاعات الطوال وهي تدندن على عودها، تلك الأغاني لرقتها لمست رقة الليل ونسيمه، فقـــد صيَّرت الشاعرة له خداً، فأغنياتها كانت لها شفاه رقيقة ناعمة ،قد قبّلت خد الليل في رقة ولين ومحبة، فتمازجت أغنياتها برقة الليل ونسيمه وسكونه ففي ذلـــك الوقـــت

١٢٧ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٢، ص١٠٠.
١٢٨ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج ١، ص ٥١٥ .

هدأت براكين الحب وثوران النفوس التواقة للحب، إذاً حينها كان وقت السكون والهدوء النفسي الذي شعرت بها الشاعرة، فتقول:

الأغاني التي تلامس خد الـ ليل ملساءَ صافياتِ الشفاهِ
نام فيها لُغْزُ الجمال وأغفت فتنة الحبّ والشباب اللاهي ([١٢٩])

تؤنسن الشاعرة الليل فتصفه بأنه كئيب، فالليل وظلمته ووحشته مثار للكآبة فصيرته الشاعرة إنساناً كئيباً حزيناً يُحزِن من حوله ،و قد صغت له الأكوان ،وانصاعت له فعمَّ الليل هذا الكون ولفّه بظلمته ووحشته ، فالليل كان موجوداً وسيبقى ما دامت الأكوان وما دامت الحياة لكن من كان بالماضي فقد ذهب ولم يبق له أثر في الحياة ، فتظهر حسرة الشاعرة على من مات وقضى نحبه فمع أن الليل كئيب وحزين لكنه باقٍ ولم ينته من هذا الكون، والإنسان الحزين الكئيب قضى أجله وانتهت حياته فتتحسر الشاعرة على نهاية الإنسان ونهايته في الحياة إلى الموت بعكس الليل.

فسؤال الشاعرة يثير الحزن واللوعة على من فُقِد ومات في هذه الحياة فالشاعرة تنعي كل إنسان عاش وانقضت حياته، فتقول:

كم أطاف الليلُ الكئيب على الجو وكم أذعنت له الأكوانُ
شهد الليلُ أنّه مثلما كا ن فأين الذين بالأمس كانوا؟ ([١٣٠])

تخاطب الليل الذي تصفه بالغموض فستاره أسود مخيف فهو عالم من الغموض ،والمجهول لا يُعرف ما يدور في ثنايا ظلمته ،فتستجدي الشاعرة رحمته بقلب أضنته الهموم ، فقلبها قد دارت عليه دوائر الحياة، فتقول:

أيها الليلُ ، أيّها العالمُ الغا مضُ قد أسْدلَ الستارُ المخيفُ
فارحمِ الآن تحتَ دُجيتك السَّو داءِ قلباً غامتْ عليه الحتُوفُ([١٣١])

---

[١٢٩] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ١٨٠.

[١٣٠] – المصدر نفسه ، ص ٦٠.

[١٣١] – المصدر نفسه ، ص٢٩٨.

كانت تسأل الليل عن غموضه فهو المجهول الكئيب الحزين ، لكنها هنا جعلت الليل هو السائل فصار الليل يسأل عن كنهها ومن هي؟ !

فصارت هي الغامضة المجهولة التي لا يفهمها الليل فأجابت بأنها سرَّه العميق السرّ الذي يتسم بالقلق والتوتر، السرّ الذي لا تهدأ ثائرته، هي السر الأسود الحزين الكئيب ، فالليل رغم حزنه فقد فاقته الشاعرة حزناً وكآبة فصار يسأل من هي ! فترى الشاعرة نفسها الجزء العميق منه فحزن الليل وكآبته هو امتداد لحزن الشاعرة تقول :

الليلُ يسألُ من أنا

أنا سرُّةُ القلق العميقُ الأسودُ (١٣٢)

وتؤنسن الشاعرة الليل والظلام والمياه فتجعل منها أناساً، فالشاعرة تسأل الليل وظلامه عن مكان وجود السعادة فهي ما زالت تبحث عنها وها هي تبحث عنها في الليل وظلمته وتسألهم هل تسكن فيه؟ هل يعرف مكانها؟ ثم ظنّت أنها عند الشواطئ الصخرية لكنها تعتذر لأنها لم تجدها هناك فحزنت الشاعرة لذلك، وحزنت معها المياه فبكت وما زالت تبكي على تلك الشواطئ ،فجعلت من اصطدام المياه على تلك الشواطئ وانتشار قطرات الماء هنا وهناك دموعاً تهمرها المياه حزناً على عدم وجود السعادة ، فليس لها مكان عند الشاطئ أو في الليل، فالشاعرة لم تجدها عندما بحثت عنها هناك فتقول:

سرتُ وحدي تحت النجوم طويلاً أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ
أسفاً لم أجدْكِ في الشاطئ الصخـ ـريِّ حيثُ المياهُ تفتأُ تبكي (١٣٣)

---

١٣٢ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١ ص ٤٨١.

١٣٣ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، ص ٨٣.

وبحثت عن السعادة عند الأشرار والسيئون فلم تجدها ولم تشعر ببريقها أو جمالهـا عندهم فهم بائسون حزينون طالتهم وحشة الليل وظلمته وكآبته فالليل يعاتبهم علـى ذنوبهم التي جنوها ، فالليل صار له أيدي تعاقب الجناة فتقضّ مضـجعهم بلـومهم أنفسهم بسبب ما جنته أيديهم من ذنوب تقول:

قد رقبتُ الأشرارَ حيناً فلم أعـــ ـثر لديهم على سناك الحـــبيبِ
فهمُ البـائسونَ تَطْحنُهم أيـــدي الليالي بما جَنَوا من ذنـوبِ (١٣٤)

وجعلت من الليل إنساناً "يهمس" فهو يتكلم بصوت خافت ويقول "الغريبـان" يقصـد الشاعرة ومن أحبت، فتردَّ عليه الشاعرة بأن هذين الغريبين لن يعيشا إلى ليل جديد، وتطلب منه أن يرخي جناحه الأسود ويأخذهما بعيداً فقصة ذينك الغريبان لن تتكرر مرة أخرى تقول:

" الغريبانِ" هكذا يهمسُ الليـــــ ـــــلُ وأجراسهُ تلفُّ الوجودا
أيها الليلُ لن يعيشَ الغريبـــا نِ ولن يَلمُسَا مســـاءً جـــديدا
خُذْهما ارخِ جُنحك الأســـودَ الها دئَ حوليهما وحلِّقْ بعـــــيدا
خُذْهما عزَّ أن يقولوا "غريبـــا نِ" وكانت أقصوصةً لن تعودا (١٣٥)

وخلعت الشاعرة على الليل ومظاهره صفات إنسانية ، فالليل عينان ولنجومه أعـين وأهداب ، فالمحبون تمنوا أن يقفل الليل عينيه فلا يراهما وتمنوا أن نجومه تنطفيء أضواؤها ، فعيون النجوم ذات أهداب حريرية تغوي المحبين بجمالها ، فالليل بجماله وسكونه وظلمته يغوي المحبين باللقاء أو ببث شكواهم وآلامهم والبوح بهـا تحـت أستاره فقد يفتضح أمرهم فالليل وما فيه من نجوم ساحرة وبدر منير ذلك كله يلهب أحزانهم وآلامهم تقول :

---

١٣٤ – المصدر نفسه ، ص ٩١.

١٣٥ – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ج١ ، ص ٤٧٧.

وتمنّوا أن يُقْـــفلَ الليــلُ عــينيه وتخـــبـــو نجومُــهُ السحريّة

فــعــيــونُ النجــوم تُغْوي بأهدا بٍ حريريّة الرؤى قَــمَريّة ([١٣٦])

بعد الليل يكون الصباح ، لكن الشاعرة جعلت من الليل إنساناً يســلم نفســه بكــل خضوع واستسلام للصباح فالليل يتلاشى تماماً عندما يطلع الصباح فتشير إلـــى أن من سمات الليل الاستسلام ، ولعلَّ استسلام الليل يعود لحزنه وكآبته التي أدت إلـــى ضعفه فاستسلم بهدوء للصباح تقول:

والليلُ أسلم نفــسَهُ دون اهتمامٍ ، للصبــَاحْ ([١٣٧])

صيّرت الشاعرة الليل إنساناً يتبع خطى المحبين ، فكانوا يسيرون لــيلاً يظنــون أن الليل ساتر وحافظ لسرهم ، لكنه يسخر ويهزأ بذلك السر، بل يلفّهم أينمــا ســاروا وذهبوا ويغوي الريح فيحثُّها على أن تعصف بهم فالليل يتبعهم بظلمته وسواده تقول:

وفي سيرنا نسمع الليلَ يسخَر من سرنا

يلاحقنُا بالظلامِ ويُغْري الرياحَ بنا ([١٣٨])

- المكـــــان :

ارتبطت الشاعرة بموطنها بشكل خاص وبوطنها العربي بشكل عام ، فكانت شــديدة الانتماء لكل ما يحدث حولها في الوطن العربي ، فقد كانت تتمنى وحــدة تجمــع البلدان العربية وتحررها من أطماع المستعمرين وأذنابهم .تقول :

واستفاقت بغـــدادُ نشْوى تُغنــّي وهي تَسْقي ورودَ أجملِ فـــَجْرِ

خَفَقتْ في سمائها رايةُ الوحـــــ ــدةِ يا لَلْحُلــْمِ الجميلِ النَضْـــرِ

قلبُها قلبُهــا المشُوقُ إلى مِصْـــ ــــَر طويلاً قــد ضمّ تُرْبةَ مِصْرِ

---

[١٣٦] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج١، ص ٢١١ .

[١٣٧] – نازك الملائكة، الأعمال الشعرية الكاملة ،ج٢، ص ٥٤.

[١٣٨] – المصدر نفسه ، ص٧١.

والتَـقـَتْ كـــفـّها بكفّيْ دمشْقٍ في صباح العروبة المـفترِّ([١٣٩])

ولقد عبرت الشاعرة عن فرحتها عند إعلان "ميثاق الوحدة العربيـة الثلاثيـة مـن القاهرة في ١٧ من نيسان سنة١٩٦٣م "([١٤٠]) ، فتتجلى تلك الفرحة بمنحها لبغـداد ودمشق صفات إنسانية تعبّر عن سرور الشاعرة وفخرها بذلك الميثاق فبغداد فتـاة سعيدة تغني فرحاً بل بيديها تسقي ورود هذا الفجر الوضاء التي انتهت فيه ظلمـات الاستعمار وتوحدت فيه العروبة وقلبها ينبض شوقاً لملاقاة مصر الحبيبة وفي هـذه الأثناء التقت هي ودمشق يداً بيد في مشهد أخويّ مهيب يعبّر عن الترابط والتماسك بين الدول العربية الثلاثة ،و تؤنسن الشاعرة بغداد وتستزيدها وتحثها بأن توقظ كل الشهداء الذين دفنوا في أرضها ، فهم نيام تريدها أن توقظهم لتخبرهم بـأن نهـار الوحدة قد حلّ بهذه الأرض حتى يروا أن ما قدموه لم يذهب سدى، فتقول:

وإذا أقـبـلَ المســـاءُ ولفَّ الـــ ـكونَ بالصمتِ والدُجَى والهمومِ
إيهِ بغـــــدادُ أيقظي كلّ من مـا تَ شهـيـداً على نشيـدِ النَصرْ
أنبأيهِ بأنّ وحـــدَتهُ قـــامتْ وضمّت من أرضِهِ كلّ شِبْرِ([١٤١])

و تخاطب الشاعرة "مصر" بأن شعورها قد مزّقه الموت ، فمـرض الكـوليرا قـد أصاب أهالي مصر بالخسائر الفادحة فقتل منهم الكثير بسبب هذا المرض الفتـاك، فتقول:

لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ
الموتُ ، الموتُ ، الموتْ
يا مصرُ شعوري مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ ([١٤٢])

---

[١٣٩] – المصدر نفسه ، ص ٢٠٨.
[١٤٠] – المصدر نفسه ، ص٢٠٧.
[١٤١] – المصدر نفسه، ص ٢٠٨ .
[١٤٢] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملةج١، ص ٥٠٠.

وتقول الشاعرة :

مهمومةٌ يا قاهره

محلولةُ الشَّعر على الأرصفة المهدومه

كطفلةٍ جائعةٍ محرومه

حزينة حزنَ الليالي الماطره

فلتعلمي يا قاهره

أنّ العدوّ حربهُ مُقَامَره ([١٤٣])

" زارت الشاعرة مدينة القاهرة في شهر آب ١٩٧٣م " ([١٤٤]) فتخاطبها بتلك الأشطر فصورت القاهرة إنسانا أصابه الحزن والهم ، فتاة صغيرة رثة الهيئة حزينة جائعة على قارعة الطريق والقاهرة تعاني كبقية الدول العربية من وجود العدو على أرضها وماتعاني هذه الدول من جوع وفقر فحزنت الشاعرة لحالها لكنها تعاود مخاطبتها بنبرة التحدي والتصبّر فهي قاهرة للعدو والحرب سجال ، ثم تستنهض الشاعرة بعض الأماكن في مصر كالأقصر والأهرام ومسجد الأزهر لتشارك في حرب العدو فالأقصر والأهرام تقاتل يداً بيد العدو ونهر النيل تثور أمواجه انتقاما من هذا العدو ، ومسجد الأزهر يغضب لحال الأمة ويثير مناراته لتهبّ معه ناقمة على عدوهم ، فكل تلك الأماكن تشارك الإنسان العربي جهاده ضد الاحتلال فتقول:

فجرَ غدٍ ، تُقاتل الأقْصرُ والأهرامْ

وينهض النيلُ إلى انتقامْ

ويغضَبُ الأزهر ، يستنهض في نقمته منائَرهْ ([١٤٥])

---

[١٤٣] – نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ج٢، ص ٣٥٤.

[١٤٤] – المصدر نفسه ، ص٣٥٣.

[١٤٥] – المصدر نفسه ، ص٣٥٥.

وتقول الشاعرة :

لبنانُ طفلٌ ضائعٌ ، خدودُهُ ممتقعه

ألفاظُهُ راعشةٌ متّقده

ويستجيرُ كلّ يوم صارخاً بالأمم المتّحده

يصبّ ما بين يَدَيْها أدمعهْ

يشكو لها ما يصنعُ العدوُ يرجوها سدىً أن تمنعه

يسألُها أن تَصفَعَهْ

أمريكة سيّدة الفيتو ونحنُ لم تزل خيامنا مهدّده [١٤٦]

تؤنسن الشاعرة " لبنان " فتصوّره طفلاً تائهاً يرتعش خوفا ويصرخ باكيا مستنجداً بهيئة الأمم المتحدة التي لم تحرك ساكناً إزاء ما يحدث بلبنان ، فقد كان يأمل أنها ستنقذه لكن أمريكا كانت سيدة الموقف وضد إي قرار لهيئة الأمم فيه إنقاذ للبنان أو معارض لوجود الجسم الصهيوني .

ولعلّ قضية الأمة العربية والإسلامية الأولى قد شغلت الشاعرة كذلك ألا وهي القضية الفلسطينية فالشاعرة تصوّر المسجد الأقصى إنساناً ذليلاً إذ تقول :

وذلّة مسجدي الأقصى تقلّبني على سِكِّين

ولا معتصمٌ أدعوهُ ، لا فينا صلاح الدينْ [١٤٧]

فقضية فلسطين شغلت الشاعرة كثيرا فقد صورت المسجد الأقصى إنسانا ذليلا فقد وقع في أيدي الاحتلال اليهودي ، فلاحتلال ليس إلا مذلة للأقصى وللمسلمين بشكل عام .

---

[١٤٦] – المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

[١٤٧] – المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

فتشخص الشاعرة مسجد قبة الصخرة بفلسطين وتخاطبه بما يخاطب به العاقل إجلالاً له وتجعل له وجها وعينا عذبة النظرات وتبادره بالسؤال هل سيأتي يوم وتراه ؟! هذا التساؤل يحمل في طياته الألم والحسرة على فقدانه فتقول:

ياقُبّة الصخره
وجهك هل نحظى به يا عَذْبة النظره ؟
ونحن قد شطَّ بنا المزارْ
تقاذفْتنا البيدُ والبحارْ([148])

وتقول الشاعرة عن تلك الأبيات" ففي يوم ١٢/ ١١/ ١٩٧٢م تلقيت بطاقة تهنئة بعيد الفطر من صديق لنا ، وكان مرسوما على البطاقة صورة لمسجد قبّة الصخرة بالقدس الحبيبة . فما كدت أرى هذه الصورة حتى أحسست انفعالا عنيفا زلزل كياني فقلبت البطاقة وكتبت على ظهرها هذه الأشطر " ([149])

[148] – المصدر نفسه ، ص٣٣٦.

[149] – المصدر نفسه ، ص ٢٤٥.

الخلاصة :

إن تشخيص الشاعرة للمحسوسات كون أربع لوحات كبرى وهي " الحيوان والنبات والجمادات والزمان والمكان " تكونت كل لوحة منها من عناصر وأجـــزاء مفـــردة اجتمعت فيما بينها لتؤطّر للمتلقي علاقة الشاعرة بالأشياء المتواجدة حولهـــا ، وقـــد تجلت تلك العلاقة بوضوح عندما انتزعت الشاعرة تلك الأشياء من عالمها وأسقطتها في عالم الإنسان ، فجمعت عالمين مختلفين لا علاقة لهما ببعضهما في الواقع بلغـــة بعيدة عن المباشرة والتقريرية لكنها تمتاز بالبساطة والسلاســـة مشـــحونة بعاطفـــة غزيرة تشي بالغربة النفسية التي تعيشها الشاعرة وقد بلغت ذروتها عندما لجـــأت لمخاطبة تلك الأشياء محاولة استنطاقها لتعبّر عن مشاعرها وعواطفها التـــي هـــي إنعكاس لهواجس الشاعرة وانفعالاتها، فأطلقت الشاعرة العنان لخيالهـــا وأســـقطت عليها لوازم الإنسان وصفاته الحسية منها والمعنوية كما يوضحها الجدول الآتي :

المحسوسات	صفات إنسانية " حسية "	صفات إنسانية " معنوية"
الأغنام	الغناء.	الشكوى – الحزن – الغـــبن – المرح – الشهادة .
الحمام	الغناء – الهمس – البكاء.	الحيرة .
البوم	الغناء – البكاء.	النفاق – الكآبة.
القمريّ	الغناء – التأوّه – الهتاف – الأنين الاستحمام .	الفرح – الجهل – الحزن – الحيرة – الهمّ – الشـــكوى – اللهو.
العصافير	البكاء .	
الطيور	الغناء .	الفرح – النداء .
الصفصاف	التعري .	النداء

الأزهار	الثغر – الضحك – الخدود –	الضعف – الرقّة – العشق – الاستسلام .
العشب		السعادة .
العرائش	الكلام – البكاء.	الحنان – الشكوى – الدعاء.
الورد	الدموع – التبسّم – الوجه – القلب – الشفاه – الخدود .	الفرح – الخجل – الكرم – الحنان – الحب – الشرف – النداء.
النخيل	– الضحك .	الحكمة – – الصبا
الأشجار	البكاء.	الحزن – الحنان – الجنون – التضرّع .
القبور		الحزن – الكآبة – الوحدة – الالتجاء – الاستهزاء .
القصور	النطق .	النداء.
العيون		المشاعر – النداء.
القلب	الصراخ – التساؤل – الغناء – المناجاة – البكاء – الدموع – الاستماع .	النداء – الدناءة – الرغبة – القلق – الحزن – الا نكسار – العشق – الأسى – الشكوى – الضعف – السأم – الرقة – الجهل – الذهول – الفرح – التمني – التخيّل – التضرَع – الشباب .
الشواطئ		الحزن – النداء.

القيثار	النشيج ــ	الشهادة – الشقاء – الكآبة – الغربة – الفرح . النداء.
الساعة	الصمم – العدّ .	الكآبة – الصحبة – الحمق – الكسل .
الرياح	اليد – الأنين – الصراخ – العويل – الرقص – الكلام.	الحزن – السخرية – الجهل – المواساة . النداء.
النجوم	– الضحك – البكاء – الغناء – اليــدّ – الخدود.	الإرشاد – الرصد – البوح النداء.
البحر		السخرية . النداء.
النهر	القلب .	القسوة – الظلم – الرفــق – الشفقة – النسيان – الشهادة . النداء الكتمان.
الليل	الأمر – اليدّ – خــدّ – العــين – – الهمس – التساؤل .	الكآبة – الشهادة – الرحمة – الاستســـلام – الســـخرية . النداء.
الربيع		الحنان . النداء – الرحيل.
الشتاء		الكآبة ـــــ القسوة .
الزمن	الكفّ – الضحك – الإعتذار – اليدّ – السهر–.	القاسي – السخرية – الجرح – القدرة .
الأيام	الهدم –	القدرة – الغدر – النبذ.
السنين	الكلام – اليدّ .	
المساء	الكلام – البكاء.	الكآبة – الحزن – الصداقة –

		الضـــــجر – اللّطـــــف – الاستهزاء . القدرة .
الماضي	التكفين .	القدرة.
الخريف		الكآبة .
بغداد	الغناء – الكفّ – الكلام – القلب .	السعادة .
دمشق	الكفّ.	
مصر		النداء.
مسجد الصخرة	النظرة – الوجه	النداء .
الأقصر	القتال	
مسجد الأزهر		الغضب والنقمة
لبنان	الدموع – الخدود	الضياع، الرجاء
القاهرة	الظفائر.	النداء– الحزن – الضياع .

من الملاحظ مما سبق أن الصفات المعنوية كانت لها الغلبة فـــي جانـــب تصـــوير المحسوسات فالجانب النفسي قد تجلى بوضوح من خلال اعتماد الشاعرة على بـــثّ المشاعر والانفعالات التي تتوتر حينا وتهدأ حينا، لكنها لا تخلو من حزن وكآبة فلقد سيطرت مفردات الحزن على أغلب تلك الصور " فصوت القمرية محزون ، وبكاء الحمامة ، والبوم الكئيب، والعصفور بكى ، والقبور حزينات ، والقلـــب الحـــزين ، والشواطئ محزونة ، ومن العود نشيج ومن الليل أنين ، والساعة كئيبـــة ، وأنـــت الرياح الحزينات ، والنجوم تبكي ، وحزن الأشجار ".

وفي محاولة يائسة من الشاعرة تحاول استنطاق الأشياء لتجري معها حواراً تبـــوح من خلاله بأحزانها وآلامها وتنفس فيه عما يضطرب في نفسها كقولها :" أيها الليل ،

ويا مصر، ويا ريح ، ويا طير، وأين أهلوكِ يا قصور ، ويا عيون الأطفال ، ويا قلبي الظمآن ، ويا شطّ ، وأين كنزكَ ، ويا قيثارتي ، وأين أوتاركَ يا عودي الحبيب، يا ساعتي ، ويا رياح الليل ، ويا نجم ، وأيها البحر ، كيف يا بحر كيف تنسى مراحي ، وكيف يا بحر توارى الركب ، يا نهر لا تقس ، ويا صفصاف ويا تين أيّ ثأر رهيب ".

وهنا تتجلى الغربة النفسية عند الشاعرة الرومانسية التي نأت بالشاعرة عن عالم الإنسان فاعتصمت بما تراه حولها من عوالم مختلفة وقرّبتها من نفسها وأقحمتها في العالم الإنساني لتشعر بما يشعر به الإنسان وتحس بما يحس .

ويظهر للمتلقي المفارقة التي بدت واضحة في كثير من الصور التشخصية كقولها: "قمرية الحقل تغني" وفي صورة مقابلة تقول :" صوت القمرية المحزون ".
وكقولها :" وإذا غنت الحمامة " وفي صورة تقابلها " وبكاء الحمامة " .
وكقولها :" ويغني البوم" ويقابلها " يتباكى عليكم البوم " وكقولها " تضحك النجوم وتبكي" .
فصوت القمرية أو الحمامة أو البوم تسمعه الشاعرة مرة غناء ومرة بكاء والنجوم تارة تشاهدها ضاحكة وتارة تشاهدها باكية وذلك يرجع لنفسية الشاعرة المتقلبة وتناقضاتها النفسية ما بين فرح وحزن فإذا كانت فرحة رأت الكون فرحا وما تسمعه من أصوات إنما هي أغنيات وأهازيج تردد أفراحها ، وإن كانت في حال بائسة فتسمع تلك الأصوات بكاء امتدادا لأحزانها .

ومن اللافت للنظر التكرار لبعض الصور كقول الشاعرة في هذه الصورة:

نعم ، مـــاَتَ قلبي ، أينَ أحـــزانُ حبِّـــه ؟
وأين أمـانيـــه ؟وأيـن أغـــانيـــــه ؟

وقولها :

قلبـــي الذابلُ الحـــــزينُ الذي مـــا تَ وذابتْ أفــراحُهُ ومنـــــــــاهُ

وفي صورة أخرى تقول:

يا رياحَ الليــل رِفــقــاً بالرُفـــــــاتِ

وقولها : يا نهْــر لا تقسُ عــلى المـــيّــتــينْ

وفي صورة ثالثة تقول :

لم يَبْــق إلا اســـمٌ ، وروحُ خـــوتْ

وذكــرياتُ قــد مَــحــاها الزمـــــانْ

وقولها :

وطَوَتْهم يدُ الزمـــــان ولم تســ ـــتبق منهم شيئاً سوى الأسماءِ

واستخدمت الشاعرة الأساليب الإنشائية في تصويرها للمحسوسات ما بين أســلوب الأمر كقولها:" فارحم الآن تحت دجيتك ، وإيه يا بغداد أيقظي ،وانس الذي أبصرته، واكتم أساي ، وارفق بسكان الثرى ".

وأسلوب النداء كقولها :" أيها الليل ، ويا ريح ، ويا أختنا الحمراء ،هي يا قيثــارتي لحن حزين ".

وأسلوب الاستفهام كقولها :" لمن تضحك النجوم ، وكيف تغنى الأشــواك حارســة الزهر، وكيف ترق مدامع الورد ، وكيف يا بحر كيف تنسى مراحي ، وفــيم كــان الصراخ يبعثه القلب ، وفيم لا يطمئن ، وفيم يأبى الحياة ، و فــيم يمضــي يــئن ، وفماذا تفيد شكواه ، وفيم تبكي على مفارقة الدنيا ".

ومما هو معلوم أن الأساليب الإنشائية أشد وقعا وتأثيرا على المتلقي ، فهي تجــذب القارئ وتدعوه للتأمل والتحليق بخياله وتصوّر ما عاشته الشاعرة وما كانت تعانيه

من حزن وحسرة وشؤم فتمثل أمام القارئ صور تنبض بالحياة تستقي ألوانها مـــن عاطفة الشاعرة .

وإجمالا فالشاعرة نازك الملائكة حققت من خلال التشخيص لوحات تتشـــكل مـــن صور تشخيصية جزئية تعكس رؤية الشاعرة إزاء المعنويات أو المحسوسات التـــي أنسنتها بطرق مختلفة لكنها تصبّ في مصبّ واحد وهي رؤيتها للعالم أو للمعـــاني بمنظار الحزن وأحيانا السخرية التي لا تخلو من الألم والحسرة .

الفصل الثانـي

بنـاء الصورة التشخيصية : دراسة في قصائد مختارة

كانت الشاعرة نازك الملائكة تنوّع في قصائدها ما بين الشعر العمودي ذي الشطرين وما بين شعر التفعيلة وكانت تجربتها الشعرية من تجارب شعراء الرومانتيكية التي تحوم مفرداتها حول الحزن واليأس والشكوى والألم والبوح بمشاعرها وإسقاطها على الموجودات وخلق جسور وصل بينها وبين المخلوقات حولها .

وعند تتبع تجربتها الشعرية نرى أنها ترتكز على ثلاثة محاور متتالية تبعا لأبعاد زمنية وفكرية، ونضج شعري مرّت به الشاعرة في مراحل حياتها ، فديوانها " مأساة الحياة " وديوان " عاشقة الليل " يمثلان أول محور دارت حوله قصائدها وهو المحور الرومانسي الخالص الذي يعجّ بالتأوهات والحسرة والحزن والبؤس وشقاء الإنسان ، فلقد كانت الشاعرة في بداياتها الشعرية تمر بمرحلة عمرية متدفقة بالتطورات الجسمية والإنفعالية ، وكان الإتجاه الرومانسي يغلب على تلك الحقبة الزمنية كما تقول الشاعرة عن نفسها " ولقد كانت مأساة الحياة صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سنّ العشرين وما تلته من سنوات ، وكان من مشاعري إذ ذاك التشاؤم والخوف من الموت ".([1])

و أصدرت الشاعرة بعد ذلك ديوان " شظايا ورماد " وديوان " قرارة الموجة " وديوان " شجرة القمر " وظهر الإتجاه الرمزي بجلاء فكان تطبيقاً لما دعت إليه الشاعرة من تحرر من الأوزان الشعرية ، وتقول الشاعرة "وليس قصدي أن أقول من هذا التعليل للتعبير الرمزي والسريالي، إن طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي إلى هذه المدرسة أو تلك ، وإنما أود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عالجت فيها حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً ، وباللاشعور أحيانا ، وهي حالات لم يقف

[1] - نازك الملائكة ، " الأعمال الشعرية الكاملة " ،ج١ ، ص ٥٣

عندها الشعر العربي إلا نادرا " ([٢]) وكانت تلك التي عاشتها الشاعرة بعيدا عن وطنها في أمريكا تدرس النقد الأدبي ، فتعرّفت فيها على ثقافة جديدة وتأملت في زواياها وأمعنت في التفلسف حولها والتغلغل في أعماق النفس والشعور.([٣])

وبعد ذلك صدر ديوان " للصلاة والثروة " وديوان " يغير ألوانه البحر " وكانت تخيم الروح الصوفية بالإضافة إلى الروح السياسية والدعوة للوحدة العربية وطرد الإحتلال الصهيوني من البلاد العربية فكانت مرحلة إنطلاق إلى آفاق واسعة تتخطى ذات الشاعرة وقد قدّمت الشاعرة في مقدمة مجموعة " للصلاة والثورة " تقول" فهو يمثّل في نظري جانبي الإنسان الكامل في هذا العصر "([٤]) فلعلّ الشاعرة بدأت ترتقي روحياً فأحست بالكمال لذلك ظهرت نبرة العلو في مدارج إيمانية توحي بالنضج والهدوء والاستقرار النفسي التي لا يؤرّقها سوى الشتات العربي ووجود الدخيل الصهيوني ، فحلّقت في سماء العروبة وتزيّنت بزنابق إيمانية .

وقد لخّص محمد عبد المنعم خاطر تلك المحاور في ثلاث مراحل وهي ([٥]):

المرحلة الأولى : مرحلة التعبير عن التجربة.

المرحلة الثانية : الوعي بأبعاد التجربة .

المرحلة الثالثة : مرحلة الإعلاء ، والإنطلاق بالتجربة إلى آفاق روحانية سامية .

والقصائد المختارة في هذا الفصل تندرج تحت تلك المراحل ، فالقصيدة الأولى هي " " كآبة الفصول الأربعة " وهي من مجموعة " مأساة الحياة " والقصيدة الثانية هي "أغنية لشمس الشتاء " من ديوان " قرارة الموجة " والقصيدة الثالثة هي " السفر في

---

[٢] - نازك الملائكة " " الأعمال الشعرية الكاملة " ،ج١ ، ص ٤٢٤

[٣] - محمد عبد المنعم خاطر " دراسة في شعر نازك الملائكة " ، ص١٢٤

[٤] - نازك الملائكة " الأعمال الشعرية الكاملة " ج٢ ، ص٢٤٦.

[٥] - محمد عبد المنعم خاطر " دراسة في شعر نازك الملائكة " ، ص ٢٠.

المرايا الدامية " وهي من ديوان " يغير ألوانه البحر " ، فقصيد " كآبة الفصول الأربعة " كانت تعبيراً عن ذات الشاعرة لكن كعادة الشعراء لم تعبّر مباشرة عن نفسها ، وإنما أسقطت مشاعرها على فصول السنة وعلى الحيوان والنبات والأرض بما فيها من مخلوقات في جو لا يخلو من الحزن وبث الشكوى والبوح بمكنونات نفسها فهي خير مثال للإتجاة الرومانسي في شعر نازك الملائكة فالغنائية هي الصفة البارزة لتلك القصيدة ، كل تلك المشاعر من حزن وأسى وإنطواء على الذات تجلى في قالب تشخيصي ، فعنوان القصيدة يوحي بأن الحزن أو الكآبة هو حياة الشاعرة فالفصول الأربعة هي السنة ، والسنة تكوّن حياة الشاعرة فالكآبة تساوي حياة الشاعرة فحياتها كآبة ، والكآبة هي حياتها .

أما القصيدة الثانية " أغنية لشمس الشتاء "فقد كانت شمس الشتاء رمزاً اتخذته الشاعرة لتوغر في أعماق النفس الإنسانية لتطفو تلك المعاني على السطح في جو لا يخلو من الفلسفة وإستبطان الذات ، و كل ذلك أيضا في قالب تشخيصي فانزاحت تلك المعاني من عالمها المجرّد إلى العالم المحسوس ، وتخصّ العالم الإنساني الذي استعارت أقواله وأفعاله حتى سماته الشخصية لتنسبها لتلك المعاني وهذه المعاني لا تخص الشاعرة وحدها بل الإنسان بشكل عام وحتى تقرّب الشاعرة تلك المعاني للأذهان جعلتها ماثلة أمام أعيننا تحسّ بما نحسّ وتشعر بما نشعر بل تتحرّك وتفكر مثل الإنسان ، بل دبّت فيها الحياة وصارت إنساناً .

أما القصيدة الثالثة " السفر في المرايا الدامية " فتجسّد قصة مدينة " القنيطرة " لكن الشاعرة سردت تلك العودة لمدينة القنيطرة لسوريا بأنها امرأة قد عادت من سفر طويل ، سفر طريقه الموت ونهايته الدمار والخراب ، تلك العائدة كانت مقتولة مشرفة على الموت ، ممزّقة الأشلاء ، محطّمة ، تشوّهت معالمها ، وقُتل أبناؤها ، ومع ذلك فرح العرب بعودتها حتى القمر نطق إبتهاجاً بتلك العودة كيف لا ؟!

وهي الحبيبة كما سمتها الشاعرة ، ولا يخلو هذا العنوان من الرمزية فالسفر هو فترة إحتلال المدينة والمرايا هي إنعكاسات صورة المدينة في نفوس العرب وللأسف تلك الصورة ملطّخة بالدماء ، وتلك العائدة لم تعُد إلا على جثث أبنائها فصورتها معطّرة بدماء الشهداء ، فقد كان سفراً ، لكنه سفر للموت والهلاك المحقّق، ولعلّ ا لشاعرة إختارت القمر تحديداً لأنه هو الشيء الوحيد الذي ينير ليلاً، فالظلام ليل لا يبدّده إلا ضوء القمر، كذلك كانت القنيطرة تعيش في ظلام حالك لم يبدده إلا عودتها للعرب فالقمر لا يُرى إلا في الظلام ، كذلك عودة القنيطرة قمر في ظلام الاستعمار والاحتلال في البلاد العربية ، والقمر مثله مثل المرايا ؛ فالمرايا تعكس الصور كذلك القمر يعكس ضوء الشمس فكلاهما يعكس مايُلقى عليه فهناك رابط بين العنوان والسارد " القمر " وبين القمر الذي توارت خلفه الشاعرة ، والشاعرة ذاتها فهي عاشقة لليل ، والليل ذات الشاعرة وما يميّز الليل هو وجود القمر فهو جوهر الليل وروحه فهو الشاعرة بكل ما تحمله من هدوء وإستقرار ورضا وسلام داخلي كانت تعيشه الشاعرة في تلك الفترة .

تلك المدينة التي استعادها العرب بعدما نشر العدو الخراب والدمار في جوانبها ،نقلتها الشاعرة إلى عالم الإنسانية فتحوّلت إلى فتاة وحبيبة عائدة لتوّها من سفر طويل تعاني التعب والمرض على أعتاب الموت لتوثّق الشاعرة ذاك الحدث وتلك العودة فتكون قصيدتها بمثابة عدسة صوّرت لنا الحدث بكل تفصيلاته فهو نصر لابد من توثيقه وتحريره للأجيال القادمة ، فالتشخيص كان هو التقنية المعتمدة للشاعرة في إبراز هذا الحدث وتصوير حال القنيطرة في ذلك الوقت .

قصيدة :"كآبة الفصول الأربعة " ([٦])

نحن نحيا فـــي عـــالمٍ كلُّـــه دمـــــ ـــعٌ وعُمْرٍ يفـــيض يأســـاً وحزنـــا
تتشـــفّى عناصـــر الـــزمن القـــا ســـــى بآهاتنـــا وتســـخَرُ منّـــا
في غموضِ الحياةِ نسربُ كالأشـــــ ـــبـــــاحِ بـــين البكـــاءِ والآهـــاتِ
كـــلَّ يـــومٍ طفـــلٌ جديـــدٌ ومَيْـــتٌ ودمـــوعٌ تبكـــي علـــى المآســـاةِ
ثم ماذ؟ فـــي أيّ عالمنـــا المُحْـــــ ـــزنِ نلقي العـــزاءَ عمّـــا نقاســـي؟
عند وجهِ الطبيعة الجهـــم أم عنـــــ ـــدَ فـــؤادِ الزمـــانِ وهـــو القاســـي
قد عبرنـــا نَهْـــرَ الحيـــاةِ حَيَـــارَى فـــي ظـــلامِ الفصـــولِ والسَـــنَواتِ
وثبتنـــا علـــى أســـانا خريفـــاً وربيعـــاً فمـــا جمـــالُ الحيـــاةِ؟

عنونت الشاعرة قصيدتها بهذا العنوان الموحي بـــ " الكآبة " ، فالشاعرة نسبت هذه الصفة " الكآبة " وأسندتها لفصول السنة الأربعة جميعها بدون استثناء ، فإضافة الكآبة للفصول يوحي من الوهلة الأولى بالحزن والتشاؤم ويلقي بظلاله على النص بكامله فقد هيأت الشاعرة المتلقي للدخول في عالمها النفسي الحزين ، فالحياة بكل فصولها وألونها كئيبة وتثير الكآبة في نفس الإنسان بشكل عام وفي نفس الشاعرة بشكل خاص ، فالعنوان يدل على الكآبة والحزن وفقدان اللذة أو الاستمتاع بالحياة في كل أوقاتها ، ففصول السنة تحوي الأشهر، والأشهر تحوي الأيام ، والأيام تحوي الليل والنهار ، فكل ذلك عند الشاعر كئيب في نفسه يشعره بالكآبة كإحساس في أعماق نفسه فلا يلذ بحياة أو يستمتع بمتعة ،أو مثير لكآبة غيره يبعث الكآبة والملل والسأم في نفس كل شيء من إنسان أو نبات أو حيوان أو جماد، كل تلك

[٦] - نازك الملائكة " الأعمال الشعرية الكاملة " ج١ ، ص ١٢٥.

الأشياء صارت متفاعلة مع كآبة هذه الفصول ، فغدت كئيبة حزينة لا شيء يبهجها أو يثير سعادتها فقد تأثرت بحزن تلك الفصول من شتاء وربيع وصـــيف وخريـــف فعندما تخيّم على العالم يخيم معها حزنها وكآبتها ، فكل ما في هذا العـــالم يلتحـــف بلحاف الكآبة ويلتف بدثار الحزن والأسى .

وهذه القصيدة تنتمي لديوانها الأول " مأساة الحياة "، وفي هذه الفترة كانت الشاعرة في مقتبل العمر وفي مرحلة تعبيرها عن تجربتها من ديوانها "مأساة الحياة " – كان الأول نظماً وان لم يكن طباعة – ففي هذه الفترة تظهر الغنائية لدى الشاعرة ومدى تأثرها بالجانب الرومانسي وإسقاط ذاتها وما يختلج فيها من حـــزن وأســـى علـــى الطبيعة من حولها ، فلم تزل وبقوة تشكو الزمن وتتأوه حزناً على ما تكابـــده مـــن معاناه وما تشعر به من ألم ولوعة.

ويتجلى حزن الشاعرة وكآبتها النفسية عندما أسقطت تلك المشاعر علـــى فصـــول السنة ، وعناصر الزمن جميعها تلونت بلون نفسيتها القاتمة فالكآبة والحزن التـــي شعرت بها الفصول وأثارتها في النفوس قد استقت جذورها من نفس الشاعرة التـــي أفاءت بظلالها على النص .

واعتمدت الشاعرة على التشخيص كتقنية تبرز ما يجول في خاطرهـــا ، فـــالمعول الذي استبطن ما في ذات الشاعرة وأبرز ذاك التيار الشعوري المتلاطم في قـــرارة نفسها هو اضفاء صفات الذات الانسانية على عدد من مفردات قصيدتها كـــ" الزمن، الدموع ، العالم ، الطبيعة ، القمرية ، الغصون ، الكآبة ، الحمام ، الكنار ، الزهر ، الرياح ، الأوراق ، اليوم ، النخيل ، الخريف ، المساء ، ، الشتاء ، الثلج ، الأطيار، القلب ، الساعة ، الليل ، الربيـــع ، العـــرائس ، الأغنـــام ، النضـــارة ، الأقـــدار،

الفراشات، الوادي ، العدم ، العشب ، النسيم ، النهر ، المرج ، الظهيرة ، الطاحونة، الأشجار ، الأوهام ، الأفكار ، الخوف " .

وبدأت الشاعرة ذلك بمقدمة مهدت للمتلقي الولوج في فهم النص وإحساسه بما يعتمل في نفس الشاعرة ،فانعكست مشاعرها وذاتها على المتلقي الذي يشعر من افتتاحية تلك القصيدة بما تعيشه الشاعرة ، فمن البيت الأول تبدأ الشاعرة بجملة مباشرة تقريرية مفادها أن عالمنا يعاني الدمع والحزن واليأس، فمفردات الحزن تعددت من البيت الأول ويدل ذلك على الخلفية النفسية اليائسة للشاعرة ، فأنسنت العمر وجعلته يائساً حزيناً ثم أعقبته بما يؤكد هذا المعنى ،فالزمن إنسان قاس ساخر بالإنسان وأحزانه فمطلع قصيدتها كان مجملاً لكل أبيات تلك القصيدة ، فالعالم بكل ما فيه من جزيئات وكائنات حزين يائس والزمن بكل عناصره من فصول وأيام تقسو على الإنسان وتظلمه فإذا اشتكى هزأت من آهاته وأناته ، ولقد لخصت الشاعرة قصيدتها إجمالا فكأنها تهيء ذهن المتلقي لما يلي تلك الأحاسيس والمشاعر وتفتّح ذهنه ليتصور تلك القسوة والسخرية والحزن والأسى ويعيش تلك اللحظات.

ثم بدأت الشاعرة تحلّل ما أجملته سلفاً وتفصّل أجزاءه بعد أن أقرت بحقيقة تراها الشاعرة فالدموع – لما في الحياة من بكاء وآهات وموت – تبكي على هذه المأساة وهي الحياة بكل مظاهرها مما يدل على إحساس المرارة والألم وما تسكبه من دموع على تلك المآسي التي تحدث في كل يوم وليلة وفي كل مكان من هذا العالم فصارت هي تبكي دموعاً ، فصورة الدموع تبكي دموعاً تبعث على الحسرة والألم فالشاعرة في صورتها السابقة اتكأت على الناحية الشعورية فقصدت بكاء الحزن والتوجع ، فهي ليست فقط صورة بصرية يتخيلها القارئ بل إحساسه بما فتحت له الشاعرة من آفاق ليرسم لنفسه صورة رسمت الشاعرة معالمها لكنها لم تحدد إطارها

فحتي الدموع وما تعانيه من حزن وألم وخيبة أمل شـــاركت الشـــاعرة مشـــاعرها وأحست بمعاناتها في تلك المأساة فانهمرت دموعها ، و" تبكـــي" توضـــح اعتمـــاد الشاعرة على الفعل المضارع في هذه الصورة تدل على ديمومته واســـتمراره فـــي الحال والمستقبل. ومن صور تلك المأساة رؤية الجانب المتجهم الغاضب من الطبيعة من حيوان أو نبات أو جماد ، فالطبيعة كما تراها الشاعرة لها وجهان وجه مشـــرق ووجه غاضب وللأسف أن الشاعرة لم تر إلا ذلك الوجه الجهم في مأساتها ، وهناك عامل آخر يحيك تلك المأساة وهو الزمن ، فالزمن طرف في مأساة الشاعرة وعامل قوى في إثارة أحزانها ومردّ ذلك فؤاده الذي يقسو عليها ويبعث الأسى في قلبهـــا ، ففؤاد الزمن قاسٍ لا يعرف للرحمة مكان ، فالشاعرة تحيا في فلك تلك المأساة بين قطبين يثيران هالات الحزن والألم في نفسها وشخصتهما الشـــاعرة إنســـانان الأول غاضب جهم والثاني له فؤاد لكنه للأسف منزوع الرحمة.

طالما مرّ بى الخريـــفُ فأصغيـــ ... تُ لصـــوتِ القُمْريّـــةِ المحـــزونِ
وأنا في ســـكون غرفتـــي الدجـــ ... ـــياءِ أرنو إلـــى وجـــوم الغصـــون
طالما في الخريف سرت إلى الحقـ ... ـــل وأمعنتُ في وجـــومي وحزنـــي
كيـــف لا والكآبـــةُ المـــرَّةُ الخـــر ... ساءُ قد رفرفتْ علـــى كـــلِّ غصـــنِ
والحمامُ الجميلُ قد هَجَـــر الأعـــ ... ـــشاشَ سأمانَ من وجومِ الســـهوب
وطيـــورُ الكنـــار آثـــرت الهجـــ ... ـــرةَ والعيشَ في حقـــول الجنـــوبِ
وغصونُ الأشـــجار مصـــفرّةُ الأو ... راق والزهـــرُ ذابـــلٌ مكفهـــرٌّ
وريـــاحُ الخريـــف تعبـــث بـــالأوَ ... راق والسُحْبُ فـــي الفضـــاءِ تمـــرُّ
طالما سرتُ في المساء وفي سمـــ ... ـــعَى صوتُ الأوراق تحت خُطايـــا
كلمـــا ســـرت خطـــوة أنّـــت الأو ... راقُ فاســـتجمعتْ بعيـــد أســـايا

أرمقُ الحقل والجــداولُ قــد جفـــــ ـــتْ ولون الفضـــاء أســودُ غـــائم
وأحـــسُّ اليـــومَ الكئيـــبَ يُغنّـــي من بعيــدٍ بــين النخيــلِ الــواجمْ[٧]

ثم بدأت الشاعرة في تفصيل علامات ذلك الوجه المتهجم ومعالم تلك القســوة التـــي شعرت بها من ذاك الفؤاد القاسي ، فالخريف قد مرّ تكراراً و مراراً على الشـــاعرة فهو زائر يزور الشاعرة في كل سنة لكن عند زيارته تتغير معالم الطبيعة ، فالقمرية حزينة، فعندما حل ذلك الزائر ما زالت القمرية محزونة فظهر أثر ذلك على صوتها " المحزون " فصارت صفة لازمة لها ، كذلك عنصر آخر من عناصر الطبيعة وهو أغصان الأشجار، فالأغصان واجمة غاضبة بدون أوراق، فقد تساقطت بفعل ذلـــك الزائر فبدت واجمة متجهمة ليس بها ما يوحي بالنضارة والإشـــراق فـــي وجـــود أوراقها الخضراء وثمارها اليانعة ، إذاً قمرية محزونة وأغصان واجمة فحلت الكآبة فطعمها مر وتسبب مرارة الإحساس والشعور ومع ذلك الإحساس فهي خرســـاء لا تنطق ولا تنبس شفتاها بحرف بل تحلّ وتقيم فإذا حلّت وأقامت سكنت علـــى كـــل غصن فالأغصان الغاضبة المتهجمة مرت عليها الكآبة ومسحتها بلمســـاتها المـــرة الحزينة ، فالكآبة خرساء لكن مرروها مر مسببة الحزن والبؤس .

فالشاعرة تفصل مظاهر الخريف عندما يحل على الأرض ومن هذه المظاهر هجرة الطيور، فعللت الشاعرة تلك الهجرة بما يتوافق مع ما يجيش في نفسها من مشـــاعر وانفعالات ، فالحمام قد شعر بالسأم والملل من تجهم الأودية ففضّل الهجـــرة كـــذلك طيور الكنار آثرت الهجرة على العيش في تلك السهول المتجهمة وحلول الخريـــف وما فيه من تبدّل للسهول والأشجار عارية من أوراقها مناظر خلـــت مـــن الجمـــال والإشراق واكتست بالحزن والبؤس ، فالشاعرة تشخص الأغصان والطيور التـــي

[٧]- المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

تقع عليها واسترسلت لتصف الأوراق والزهر ، فالأوراق تبدل لونها إلى الاصفرار كأن بها مرض أو علّة كذلك الزهر تغير لونه ، ثم استقصت مظهراً آخر من مظاهر الخريف وهي الرياح التي صورتها الشاعرة " تعبث " فهي تحرّك أوراق الشجر في كل اتجاه وبدون سبب معين لاهية عابثة بدون هدف .

إذاً الأوراق مرضت فاصفر لونها ثم جفت ويبست فسقطت على الأرض في آخر رمق لها وفي تلك اللحظة تمشي الشاعرة مساء لكنها لم تنتبه لتلك الأوراق المحتضرة، فتدوسها الأقدام وعند ذلك تعلن عن موتها فتسمع تكسرها تحت خطواتها، فتموت تلك الأوراق أو بالأحرى كما صورتها الشاعرة تُقتل ، وتؤكد الشاعرة معاناة الأوراق في البيت الذي يليه لكنها لم تصور موتها بل مرضها ،ولعله مرض الموت فصار تكسّر تلك الأوراق تحت الخطى هو أنين ، فالأوراق " أنّت " ألماً وأسى لما حصل لها على أيدي الخريف .

ثم تعود الشاعرة مرة أخرى للطيور فتصف نوعاً ثالثاً من الطيور وهو البوم الذي لا تراه الشاعرة إلا كئيباً حزيناً نعيقه يمتلئ كآبة وحزناً لكنه مع ذلك يغني والغناء عادة يرتبط بالمرح والفرح لكنه عندما اقترن بالبوم أوحى بعمق الحزن والحسرة في نفس الشاعرة ، فينبغي إمعاناً في الكآبة والأسى، والنخل واجم واقف مكفهر كأنه يستمع لذاك الصوت المشؤوم لا يملك إلا الحزن والبؤس.

وأرى النهر من بعيدٍ كسرٍّ ... غلّفته أيدى الخريفِ الكئيبِ
لارُعاةٌ على شواطئه يُزْ ... جونَ أغنامهمُ قُبيل الغروبِ
لا اخضرارٌ يغرى الحزَاني بأن يَسْـ ... ـعَوا إليه ولا صفاءٌ جميلُ
ليس إلا رطوبةُ الأرض والحـ ... ـشةُ والصمتُ والرُبى والنخيلُ
فإذا رعشةٌ تضمُّ فؤادى ... وإذا الروحُ ضائق بأساهُ

ما أمــرَّ الخريــفَ يــاربِّ مــا أو حــشَ إصــباحَهُ وأقســى مَســاهُ[٨]

ثم تصور الشاعرة النهر وحاله في الخريف ، فالخريف له قوة قد أحكمت ســطوتها على النهر وتتجلى هذه القوة والسلطة بإسباغ صفة إنسانية وهي " الأيدي " فــالنهر صار سر حرص الخريف على إخفائه فلربما قد غطته أوراق الشجر فصارت غلافاً له أو قد جف ولم يبق منه إلا أثره . فالخريف ذو الأيدي كئيب مثير للكآبة والأسى بسبب ما حل بالطبيعة منذ مجيئه لتعلق في نهاية تصويرها للخريف بأنــه " مــر " شديد المرارة وتقصد المرارة المعنوية في نفسها فصباحه موحش أما مســاؤه فهــو قاسٍ لم يرحم قلب الشاعرة بل حرص على إثاره الحزن والألم في نفسها .

اذاً الخريف بكل تفصيلاته وصوره الحزينة كوّن صورة واحدة وهي صورة حلــول الخريف كما تراها الشاعرة ، فالخريف هو الفصل الأول في هذه القصــيدة وهــو العنصر الأول من عناصر الزمن القاسي عند الشاعرة ، فصــورة الخريــف هــي صورة متكاملة بداية بصورة القمريّة ثم وجوم الغصون ثم الكآبة الخرساء ثم الحمام سأمان من وجوم السهول ثم الكناري آثرت الهجرة ثم اصفرار ورق الشجر فالزهر المكفهر ثم الرياح العابثة ثم موت الأوراق وأنينها ثم البوم الكئيب والنخيل الواجم ، ثم مساؤه القاسي وأخيراً الخريف ذو الأيدي الكئيب.

فالشاعرة قد شخصت حال الطيور ثم حال الزهر والورق ثم رجعت مــرة أخــرى للطيور ثم النخل ولعل الشاعرة لم تعمد إلى ترتيب معين لكن بحسب ما يجول فــي خاطرها فما يكون في نفسها تعكسه مباشرة على ما تراه أو تسمعه ويدل على ذلــك على صدق التجربة عند نازك فالصور التشخيصية لا تتسم بالجــدة لكــن لصــدق إحساسها وفرط عاطفتها تجد صدى بعيد المدى في نفس الملتقى .

---

[٨] - المصدر نفسه ، ص ١٢٦.

إذاً الشاعرة جمعت عدد من الصور لتكوّن صورة الخريف فعند تشخيص الشـــاعرة الخريف شخصت كل ما يتعلق به فجمعت الزمان وهو فصل الخريـــف ، والمكـــان وهى الطبيعة حو لها والكائنات الحية من حيوان "كحمام وكنار وبـــوم و قمـــريّ " ونبات "من شجر وأغصان وأزهار ونخيل "، وجماد كالنهر.

وقد استدعت الشاعرة لتشخيص الخريف صفات إنسانية تنوّعت ما بـــين صـــفات حسية تعتمد على حاسة معينة وما بين صفات معنوية شعورية ، ومن تلك الصـــفات الحسية وما يُسمّى صورة تشخيصية حسية أي اعتمدت على حاسة إنســـانية معينـــة رغم أنه من الصعب عزل الصورة التشخيصية الحسيه عن المعنوية فهي مترابطـــة فيما بينها فالصور الحسية تتداخل مع الصور التشخيصية المعنوية فكما هو الإنسان كلٌّ متكامل كذلك قصيدة الشاعر تكون كياناً متكاملاً خاصة إذا اعتمد الشاعر علـــى التشخيص كتقنية أساسية في قصيدته كالشاعر الرومانسي إذ يتكـــئ علـــى البـــوح وإسقاط الذات على الطبيعة من حوله فتثور المعاني في نفسه لتخرج حمم من الألفاظ في صور موحية تشعّ بصراعات نفسية القلقة " بحيث توحي اللفظة فـــي موقعهـــا وقرائنها بأجواء نفسية رحيبة تعبر عما يقصر التعبير عنه ، وتفيد مالا تفيـــد فـــي أصلها الوضعي النفعي "[٩] فاللغة التقريرية المباشرة تعجز عن إيصال ما يتأجج في نفسه فيلجأ إلى تقنيات يختار منها ما يناسبه و قد يلجأ إليها بدون وعي منـــه فلـــيس بالضرورة أن تكون تلك التقنيات إنتقائية فأحياناً تكون بصورة عـــفوية تلقائية تعكس خواطر الشاعر وعاطفته كما تكون في نفسه فبالتالي تنعكس على الملتقي وهنا تكمن نقطة الانفعال عند الملتقي فالشاعر عكس ما في نفسه من معان كما تـــراءت لـــه فأخرجها في صور تشخيصية فنقل الصورة التي في نفسه إلى قالب جديد ؛ نقلها من واقعها الذي ضج بها ولم يحتملها إلى القالب الإنساني الذي استوعب جوانـــب تلـــك

[٩] - محمد غنيمي هلال ، التقد الأدبي الحديث ، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م ، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

الصورة فتحولت إلى صورة تشخيصية إنسانية ، فنُقلت من عالمها إلى العالم الإنساني فمثلت أمام أعيننا شخصية حية ، فالشاعرة عندما جعلت الدموع تبكي ، وللطبيعة وجه ، والقمرية حزينة ، وللفصول وجوم ، والكآبة خرساء ، والحمام يسأم، ورياح تعبث ، والأوراق تئن ، واليوم كئيب ، والخريف كئيب ، والمساء قاسٍ لم تقصد فقط تلك الصفات الانسانية التي أضفتها على تلك المفردات ، بل قصدت أبعد من ذلك ، فيستحيل أن تبكي الدموع أو أن القمرية تحزن أو أن الحمام يسأم ، أو الأوراق تئن أو المساء يقسو ، ولكن نفس الشاعرة هي التي تشعر بالحزن والسأم وروحها هي التي تبكي وتئن وتشعر بالقسوة والظلم.

اذاً كل هذه مشاعر تقلق نفس الشاعر فما كان من الشاعرة إلا أن باحت واستظهرت ما تعانيه ذاتها البائسة ، ولكن ذلك البوح لم يكن بلغة عادية أو بجمل مباشرة بل حملته صور فنية تقودها الصور التشخيصية التي قدمت تلك المعاناة والألم في صور إنسان عند نسبة إحدى صفاته لتلك المفردات ، فبثت فيها الحياة والحركة وبعثت فيها الحياة .

وصور الشاعرة التشخيصية تنوعت ما بين صور تشخيصية بصرية كقولها " دموع تبكي " فهي صورة لا تكون إلا في عالم الشاعرة النفسي فهي صورة خيالية ، لكنها اعتمدت فيه على صورة العيون التي تبكي ، فالدموع لا بد أن يكون لها أعيناً حتى تبكي ، فالدموع انتقلت من عالمها الحسي الجامد إلى عالم خيالي فهي صورة اعتمدت فيها الشاعرة على حاسة البصر إذا رأت في عالمها دموعاً تبكي ، ولكنها اقترنت بالحالة الشعورية فالعين لا تبكي عادة إلا حزناً وألماً ، فالبكاء لم يكن دموعاً فقط تراها الشاعرة بعينيها بل ما يتبع تلك الدموع من حرقه ولوعة وشكوى وألم ، وعندما انتقلت الشاعرة إلى أنسنة الطبيعة فجعلت لها وجهاً جهماً وهي صورة تشخيصية حسيه بصرية ، فرأتها في عالمها بوجه جاهم فالطبيعة عندما رأتها

الشاعرة قابلتها الأخرى بوجه جهم لكن تلك الصورة مرتبطة بإحساسها فهي لن تتجهم إلا إذا شعرت بالغضب والتوتر والحزن ، فهي صورة بصرية شعورية ، ومن الصور السمعية " صوت القمرية المحزونة " فصوت القمرية الجميع يسمعه ، ولكنه في عالم الشاعرة كان محزوناً والحزن لا يسمع بل شعرت به الشاعرة ، فصوت القمرية لا تسمعه الشاعرة إلا حزيناً . لأن ذلك الصوت يثير حزن الشاعرة وألمها ، فتأثيره حزين على نفسها فهي إذاً لا تسمع فيه إلا الحزن والصورة السمعية ارتبطت بعالم الشاعرة النفسي وبذاتها الحزينة التي توارت خلف تلك الصور أما قولها " البوم كئيب" فهذه صورة تشخيصية معنوية فأخذت من الانسان صفة معنوية وهي الكآبة والبوم لا يكتئب ولا يشعر أو يثير الكآبة إلا في عالم الشاعرة فنفسها التي أحست بالكآبة رأت اليوم كئيباً .

ثم يأتي الشتاء بالثلج والأمـ ـطارِ والريح في سكون الليالي
وتمرّ الأيام موحشةَ الخطـ ـو بطاءَ الإصباحِ والآصالِ
وتموتُ الأزهارُ في قبضةِ الثلـ ـجِ ويعرو الأشجارَ لونُ الزوالِ
وتغيب الأطيارُ في الموقد المهـ ـجور أو في كهفٍ وراء الجبالِ
ويجيءُ المساءُ بالمطر المنـ ـهلِّ يبكى على شَجا الإنسانِ
وتظلُّ الرياحُ تعصفُ بالنخـ ـلِ وترثى لكل قلبٍ عانِ
آه ما أكأبَ الشتاءَ لياليـ ـهِ وأيامَهُ وما أقساهُ
حينَ أخلو لنارِ موقدىَ الخامـ ـدِ والقلبُ مُغْرقٌ في أساه
لستُ أصغى إلا إلى ضجة الإعـ ـصارِ بين النخيل والصفصافِ
واصطفاق الأمواجِ في شاطئ النهـ ـرِ ووقعِ الأمطارِ فوق الضفافِ[١٠]

[١٠] - المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

ثم انتقلت الشاعرة للفصل الذي يلي الخريف وهو الشتاء وبدأت الشاعرة مباشرة في أنسنة الشتاء بشكل مفصل فبدأت بقدومه فها هو قادم كل عام لكن معه رفقة وصحبة وهم الثلج والأمطار والريح ، ويبدو أن الشتاء يطول في بيئتها فأيام الشتاء تمشي لكنها بخطى بطيئة كذلك صبحها وآصالها فاليوم بتفاصيله بطئ العبور على نفس الشاعرة .

ومع حلول فصل الشتاء تذبل الأزهار ولكن الشاعرة قالت " تموت الأزهار" فهو موت أليم وبفعل فاعل وهو الثلج ، فالثلوج تساقطت وأحكمت قبضتها على الزهر المسكين الذي لم يستطيع فكاكاً منها فمات أو بالأخرى " قُتل " ، إذاً الزهر ذلك النبات الرقيق الضعيف لم يتحمل ذلك الجبروت والظلم من الشتاء فمات في يد أحد لوازمه وهو الثلج الذي غطى النباتات فغيّب خضرة الأرض ونضارتها فلعل الشاعر قصدت بالأزهار النبات بشكل عام فتبدّل ثوب الأرض إلى ثياب بيضاء .

وتواصل الشاعرة تشخيص عناصر الشتاء ، فالمساء في فصل الشتاء غالباً محمّلاً بالأمطار ، فالشتاء فصل الأمطار لكن الشاعرة لم تر الرحمة في تساقط المطر بل رأت المطر دموعاً منهلّة ومنهمرة حزناً وكمداً على الإنسان ، فالمساء يبكي رحمة بالإنسان وبمأساته التي يعيشها وفي الوقت ذاته تستمر الريح بالعصف رثاء لحال الإنسان ، فالمساء والريح كلاهما يشاركان الإنسان ويرثيان حاله في هذه الحياة ، فمظاهر الشتاء حزينة لكنها هذه المرة حزنها كان مشاركة وجدانية مع ذاك الإنسان البائس .

ثم تخلص الشاعرة لنتيجة تثير حسرتها ولوعتها وهي أن الشتاء كئيب قاسٍ وكل ما فيه من ليالٍ وأيام فهي كئيبة وقاسية تثير كآبة الشاعرة ولم ترحمها بل كانت قاسية ، لم ترحم قلبها الذي عانى وتألم في هذه الحياة ، بل غرق قلبها في بحر الحزن

والألم في ليالي الشتاء الطويلة والمطر ينهمر بغزارة كأنها دموع لتلك الليالي ومـــا فيها ريح عاصفة تحتجُّ وترثي لحال الإنسان كلها مثيـــرات ودوافـــع تغـــرق قلـــب الشاعرة بل تقتله حزناً.

كل شيء في الكون حـــولي كئيـــب ... في ليـــالي الشـــتاء ذات الرعـــودِ
كل شيء حولي سوى ساعتي الصمـــ ... ـــاء في صمتِ غرفتـــي المعهـــودِ
ايـــه ياســـاعتي الكئيبـــةَ يـــا مـــن ... صحبتني فـــي فرحتـــي وشـــقائي
ما الذي تبعثين في نفســـى الحيـــ ... ـــرَى من الحزن في ليالي الشـــتاءِ
أبداَ تخفقـــين فـــي معصـــمى البـــا ... رد والليـــــلُ مُظْلـــــمٌ ممـــــدودٌ
لحظـــاتٌ تمـــرُّ فـــي ثِقَـــلِ الســـا ... عِ وليـــــلٌ معـــــذَّبٌ منكـــــودُ
كم سهرت المساءَ أصْغى إلى دقـــ ... ـــاتك الحـــائراتِ فـــي مســـمعيّا
أنت يامن أحصـــيت ســـاعاتِ أيّـــا ... مى وكنـــتِ الرســـولَ منهـــا إليّـــا
رحمةً في الشـــتاء بـــي لا تعـــدّي ... ما تبقّـــى ياســـاعتي مـــن حيـــاتي
واتركينى أُصغى إلى نَغَـــم الأمـــ ... ـــطارِ فـــوقَ الحقـــولِ والرَّبـــواتِ
اتركينـــى فنغمـــةُ المَطَـــرِ الهـــا ... مرِ أحلـــى مـــن صـــوتك الجبّـــارِ
يارسولَ القضـــاءِ والـــزَمَن المُفْـــ ... ـــني وصوتَ الأحـــداث والأقـــدار
اتركينى وحـــدى وإن كـــان ليلـــى ... مكفهـــراً تحـــت البـــروق طـــويلاً
اتركينى أُصْغى إلى الرعدِ والأمـــ ... ـــطارِ ياساعتي وكُفّى العـــويلا[١١]

وتركز الشاعرة على الزمن من فصل وليلة تنبهت لمن تحصى تلك الأوقات وهى " الساعة " التي نقلتها الشاعرة إلى عالمها " عالم نازك الملائكة " فالساعة قد أصيبت

[١١]- المصدر نفسه ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

بالصمم فهي لا تسمع شيئاً وعللت الشاعرة صممها لعيشها في مكان لا صوت فيه ولا يسكنه سوى الصمت ، فغرفة الشاعرة صامتة لا صخب بها ولا ضجيج بل انعدمت الأصوات بها فهي تقبع في ظلّ الصمت ممّا سبب الصمم لساعتها فهي لا تسمع شيئاً لأنه بالأصل لا يوجد ما يسمع.

فأفردت الشاعرة للساعة نصيباً من هذه القصيدة فتناجيها لكن هذه المناجاة كانت بروح متحسّرة حزينة فهي كئيبة كساعتها الكئيبة الحزينة التي كانت رفيقتها في الفرح والشقاء إذا هي صديق صدوق للشاعرة فتوجه لها الشاعرة سؤالاً لا تريد منها إجابة بل إمعاناً في الحيرة والقلق وتأكيداً على إثارة الساعة للحزن لنفس الشاعرة الحائرة القلقة .

وتجري الشاعرة حواراً مع الساعة إذ لجأت تبوح لها بتلك الحيرة الذي ينتاب نفسها، فالساعة صار لها قلب يخفق وينبض وهي في معصمها في ليل معذب نكد ، فالليل حزين يشعر بالأسى تماماً كما تشعر به الشاعرة ، ولعلها صوّرت الليل في سياق تصويرها للساعة لأن خفقات الساعة وزمنها تشعر بها الشاعرة أكثر في سكون الليل وهدوءه .

وتعاود مناجاة ساعتها بأن دقات عقاربها حائرة ولعل الشاعرة قصدت حيرتها هي عندما سماعها لذلك الصوت ثم تستجدي الشاعرة رحمتها وتحديداً في فصل الشتاء فتسألها التوقف وعدم الاستمرار في إحصاء الساعات والدقائق والثواني فما هي إلا حياة الشاعرة ، إذاً تريد من الزمن التوقف ومن المفارقة أنها تتململ من طول الأيام والليالي ثم ترغب بتوقف الزمن عند حلول الشتاء ولربما يعود ذلك للصراع الذي تعيشه ، ونفسها المتأرجحة المتقلبة فأصبحت الشاعرة تستعذب مطر الشتاء وتستمتع بهطوله.

وقد تكررت لفظه " اتركيني " أربع مرات متتالية لتؤكد الشاعرة على عدم رغبتها في تلك الصحبة مع ساعتها ،والإلحاح عليها بمفارقتها " يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره " ([١٢])

واعتمدت الشاعرة على جمل إنشائية وابتعدت عن اللغة المباشرة في حوارها مع الساعة فاللغة المباشرة لا تستوعب مشاعر الشاعرة ولم توصل ذلك المعنى الذي كمن في قرارة نفس الشاعرة فعدلت الشاعرة إلى لغة إنسانية من استعطاف للساعة " رحمة في الشتاء لي " ومن أمر " اتركيني و كُفّى " ومن استفهام كقولها " مالذي تعبثين "فتراكم تلك الأساليب ساعد على مثول الساعة أمام مرأى الشاعرة ، فشُخّصت في عالمها كئيبة وصديقة للشاعرة تثير الحيرة وتحصى عليها أيام عمرها، لها صوت تبغضه الشاعرة فصوتها تسمعه الشاعرة عويلاً صوت جبار لم تحتمله الشاعرة فطلبت منها الرحيل عنها علّها تجد متعة عند سماع الرعد ورؤية البرق ووقوع المطر.

ولعل الشاعرة تمللت من صوت الساعة لأنه يذكّرها بالزمن والأيام والليالي التي قضتها وحيدة فهي ذكرى تؤرق نفسها، ودقاتها تشعرها بالصمت والسكون الذي يخيم على غرفتها وعلى حياتها فيشعرها بالغربة والوحشة .

بالإضافة إلى تبرّمها من إحصائها للساعات والوقت وكأن الشاعرة في لحظة ضياع وشعور بعدم وضوح للرؤية وحيرة لا تعرف أين هي وأين طريقها فتريد من الساعة التوقف فهذا الوقت يجب أن لا يحسب من حياتها ولا يكون من أيام عمرها فهي لم تحقق فيه ما أرادت بل كانت نفسها ملحّة عليها بالتساؤلات والحيرة والقلق والصراعات النفسية التي لم تهدأ فتطلب منها الصمت لعلها تجد مخرجاً من معاناتها

[١٢] - علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ط٥ ، ٢٠٠٨م ، ص ٥٨ .

لكنها أيقنت باستحالة توقفها فأرادات منها الرحيل وأن تدعها تحاول النجاة من أمواجها النفسية المتلاطمة، فتصويرها للساعة إجمالاً كانت إسقاطات ذاتية ألقتها الشاعرة على ساعتها.

وقد نوّعت الشاعرة في صورها التشخيصية بحسب اعتمادها على الجانب الإنساني سواء الحسي أو المعنوي ، فصورت " موت الأزهار في نزول الثلج " صورة موحية ، توحي بالبعد الإنساني فقد نقلت الأزهار والثلج إلى عالمها الخاص ، فموت الأزهار صورة تشخيصية بصرية فقد اعتمدت الشاعرة على منظر الزهر والثلج يحيط به محكم قبضته عليه ، وهلاكه بعد أن تغطيه الثلوج فهي صورة مدركة بالحس ولم تخل من الإحساس بالحزن والأسى على موت كائن جميل رقيق لا يستحق ما أصابه ، فصورة " الثلج "وما له من سلطة وقوة قد أحكم قبضته على رمز الجمال على الأرض وما توحيه لفظه " القبضة " من القوة والجبروت والقسوة والظلم فهو لم يكن يحكم قبضته إلا على مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة ، فهي صورة حسية مشوبة بانفعال متأجج استمد جذوته من نفس الشاعرة.

وفي قولها " تخفقين " لعلها أرادت أن لها قلباً يخفق أو لربما قصدت هي بحد ذاتها قلباً يخفق في صورة تجسيدية ، لكنها على المحمل الأول فالساعة لها قلب يخفق فهي صورة تشخيصية سمعية فتلك النبضات سمعتها الشاعرة وأيضاً احست بها على معصمها ، ولعل الشاعرة اعتمدت حاسة السمع التي لا تكون حساسة ومرهفة إلا في حالات الهدوء والصمت ، فالصمت والهدوء يعمّ أرجاء الغرفة سوى نفس الشاعرة ،وقد ركزت الشاعرة على الصور السمعية عند تشخيصها للساعة كقولها " تخفقين " ، تعدين ، صوتك الجبار ، كُفّي العويل ، لأن ما يهم الشاعرة صوت تلك الدقات التي تعني كل صوت منها ثانية لتكوّن دقائق وساعات وليالي وأيام الشاعرة التي تساوى وحدتها ومعاناتها وحزنها التي طوت تلك الأيام.

وغـــداً يُقبـــلُ الربيـــعُ فيحلـــو عقربـــــاكِ المحبّبـــــان لعينـــــي

وتعـــود الـــدقاتُ منـــك نشـــيداً أتغنّـــــى بـــــه ويصـــــدّحُ فنّـــــي

الربيعُ الجميلُ فصلُ الطيـور الـــ ـبيضِ والزهْرِ والسّـنا والعطـورِ

عنـــدما تكتســـي العـــرائشُ بـــالكر مِ وتشـــدو طيورُهـــا فـــي البكـــورِ

عندما يخـــرجُ الرعـــاةُ إلـــى الـــوا دي بأغنـــــامهم وتزهـــو الضـــفافُ

عنـــدما يُزْهـــر البنفســـجُ والخبّـــ ـــــازُ والبرتقـــالُ والصفصـــافُ

وتذوبُ الثلـــوجُ فـــي القمـــم العُلـــ ـيا فتجري الســـيولُ فـــي كـــل وادِ

ويعـــودُ الـــبطُّ الجميـــلُ إلـــى الشـــا طـــــيء بـــين الأعشـــابِ والأورادِ

ويعـــود الفّـــلاحُ يخـــرُجُ للحقـــ ـلِ طـــروبَ الفـــؤادِ كـــلّ صـــباحِ

تحت شمسِ الربيعِ يسقي جذورَ الـــ تـــــينِ والبرتقـــــالِ والتفّـــــاحِ

وتعـــود الطيـــورُ للـــوطن المهـــ ـــــجور جَـــذْلَى مفتونـــةً بـــالربيعِ

في ثنايا الأغصـــانِ تتخـــذُ الأَعـــ شاشَ تحـــتَ النـــور النقـــيِّ البـــديعِ

والقمـــــاريُّ تســـــتحمُّ وتلهـــــو بين زهـــر الخبّـــاز فـــوق الضـــفافِ

وتغنّـــي للنهـــر أعـــذبَ ألحـــا نِ الأماني فـــي مِسْـــمع الصفصـــافِ

وزهورُ الســـفوحِ تضـــحكُ للنحـــ ـــــلِ وتُحنـــي رؤوســـها للنســـيمِ

وقطيـــعُ الأغنـــامِ يمَـــرحُ والـــرا عي يُقضّي النهـــارَ تحـــت الكـــروم

وصـــبايا القُـــرَى يـــرحنَ ويغـــدو نَ نَشاوى علـــى ضـــفافِ الســـواقي

منشـــداتٍ أحلامَهـــنّ علـــى سمـــ ـــــع الينـــابيعِ والـــورودِ الرقـــاق

وســـماء الحيـــاة تزخـــر بالوحـــ ـــي ويصـــحو الشـــعورُ والأحـــلامُ

أي أدونيس آهِ لو عشتَ في الأر ضِ فعاشَ السِّنا ومات الظلامُ

آه لو لم يكن مقامُكَ في عا لمنا المكفهرِّ حُلْماً قصيرا

آهِ لو دمتَ يا أدونيسُ للأر ض وأبقيتَ عطرَكَ المسحورا[١٣]

ثم تسترسل الشاعرة في وصف الفصول الأربعة لتصف الفصل الثالث " الربيع " مراعية الترتيب الزمني للفصول لأن الزمن يعني للشاعرة الكثير فهو عمرها الذي تشعر بأنه تبدد تحت وطأة آلامها وأحزانها.

وتبدأ الشاعرة صورة الربيع بقولها " يقبل " فالربيع بالنسبة للشاعرة غائب يُنتظر وتكمل مناجاتها مع ساعاتها في الربيع بان عقرباها سيعودان حبيبان لعيني الشاعرة،

فمناجاة الشاعرة لساعتها كانت جسراً ربط صورة الشتاء بصورة الربيع فبدأت الشاعرة بتحليل صورة الربيع إلى أجزاء تجتمع في النهاية لتعطينا صورة الربيع الكاملة التي تتحد مع صور بقية الفصول لتعطينا لوحة رسمتها الشاعرة في عالمها عن فصول السنة الأربعة.

فالمظهر الاول الذي أنسنته بداية كان العرائش وهو ما يوضع في الأراضي الزراعية لتستند عليه كروم العنب فتتسلقها لتزهر وتثمر متدلية من سقفها وعلى جوانبها، تلك العروش تعرّت في الشتاء من نباتاتها لكن بمقدم الربيع لبست ثيابها الخضراء واكتست حلّة جديدة فرحاً وابتهاجاً بمقدم الربيع ، وشاركها الفرح طيور أخذت تغني وتنشد مبتهجة أيضاً بقدوم ذلك الزائر.

ومع غياب الربيع غابت أسراب البطّ ، ولكن مع قدومه عاد البط ومع مظاهر الجمال والخضرة التي اكتستها الأرض والفرح الذي يعم المكان شارك قلب الفلاح

[١٣] - المصدر نفسه ، ص ١٢٨,١٢٩، ١٣٠.

الذي ابتهج لدرجة الطرب استمتاعاً بما يراه ويشعر به من بهجة وسرور وتستطرد الشاعرة في وصف الطيور فقد عادت بجميع أنواعها بعد هجرتها واغترابها عن الوطن عادت إليه مع عودة الربيع فهو معشوقها الذي أُفتتنت به فلم تستطع البقاء بعد رحيله فهاجرت حزناً على فراقه لكنه عندما أعلن عودته عادت معه وإليه عشقاً وهياماً به ، فالطيور عاشقة والربيع معشوق كلاهما صار ملازم للآخر فالشاعرة عمدت إلى حسن التعليل في تفسيرها لهجرة الطيور في الشتاء وعودتها في الربيع فتظافر حسن التعليل مع التشخيص لإبراز الصورة الفنية للربيع بشكل عام.

وتفصّل الشاعرة في الطيور فتذكر منها القماري وهذا النوع تُكثر الشاعرة من ذكره في قصائدها، فالقماري تستحم في مياه النهر الذي تجمّد في الشتاء فقد ذابت ثلوجه فها هي القماري تستحم فيه وتلعب بين الأزهار وفوق الأشجار " تغني " وتنشد بهجة وفرحاً وينصت لتلك الألحان شجر الصفصاف واقف يسمع أناشيدها ، وتسترسل الشاعرة في وصف حال المحسوسات من نبات وحيوان في فصل الربيع وتظهر لنا مدى حفاوة تلك المخلوقات بحلول الربيع في صورة مكثفة بدون ترتيب معين ثم انتقلت لوصف عنصر جديد من عناصر لوحة الربيع في صورة تشخيصية تقليدية فتفتّح الأزهار في الربيع هو ضحك وتبسم للنحل كإشارة للنحل حتى يحطّ على تلك الأزهار وعند هبوب نسيم الربيع تحني تلك الأزهار رؤوسها إجلالاً وتعظيماً له فعللت تفتح الزهور بالضحك إغراءاً للنحل وميل الزهور أو النبات بشكل عام بفعل الرياح هو إنحناء إكبارٍ وإجلال لمقدم الربيع.

والأغنام كثيراً ما كانت تشخصها الشاعرة فهو من موجودات بيئتها التي ارتبطت بها الشاعرة ، فالغنم مسرور يلعب ويمرح هنا وهناك فرحاً وطرباً بمقدم الربيع الذي كسى الأرض بالعشب في كل مكان ليقتات به الغنم ، حتى الينابيع استمعت بحلول الربيع فبعد الثلوج صرن الصبايا يردْن عليها ويتبادلن أحاديثهن وأحلامهن

التي كانت تصغي لها الينابيع ، فالينابيع تنصت لأحاديث الفتيات بعد أن كانت وحيدة متجمدة في فصل الشتاء.

إذاً صوّرت الشاعرة صور تشخيصية متعددة للطيور والعرائش والأزهار والأغنام كلها صور تشعُّ بهجة وسرور لكن الشاعرة غلبت عليها نفسها الحزينة وشعورها بالأسى والحزن وكأن تلك الصور ما هي إلا موجة سريعة اعتلتها الشاعرة وما لبثت أن استقرت في أرضها الحزينة ، أو عادت بها إلى واقعها المؤلم فكلُّ تلك الصور انبثقت من خيال الشاعرة لتعبّر عن سرورها بقدوم الربيع لكنن نفسها القلقة المتوترة المتشائمة رأت الجانب المظلم فالربيع وإن طالت إقامته فهو راحل ، وإن رحل أطل حزنها وأظهر نفسه على بقية صورها ، فالربيع حلم لا بد أن تصحو، فالربيع حلم من أحلام الشاعرة التي ستموت فالموت يستمع له ، لكنه سمع مترصّد متأهّب له فمكوثه لن يطول كالجمال والأوهام التي لن تطول في حياتنا وتؤكد معنى موت الربيع في البيت الذي يليه فزهور الصحراء عمرها قصير بسبب الحرارة ، فشمس الصحراء قاتلة قد قتلت الزهور وهي مظهر الجمال في الصحراء القاحلة وبقتله مات الجمال والسرور في الصحراء فهذه الصورة كرحيل الربيع ، فالربيع يعقبه الصيف وشمسه الحارة الملتهبة وبحلول الصيف يرحل الربيع وفي تلك الأثناء تموت الآمال والمنى ، فالآمال مرتبطة بذلك الزائر وبرحيله ستهلك تلك الأماني ، فكل الجمال والفرح يرحل مع الربيع ، فالحياة فرحت وتبسمت بمقدمه لكن عند رحيله كأن تلك الابتسامة لم تكن ، فالحياة قد عمّ فيها الجمال والخضرة والنسيم العليل في الربيع ثم كل تلك المظاهر تبددت في الصيف فاكتأبت الحياة وحزنت على رحيل الربيع كذلك الزهر عكف على نفسه وتقوقع على شذاه فلم ينشر شذاه كالسابق ، كل ذلك الحزن والتوجّع بعد الفرح والبشر هو إمعاناً في حزن الإنسان وإثارة للألم فقد كان يشعر بالفرح والبهجة وذاق طعم السرور ثم ينتزع ذلك كله منه

لهو التنكيل والتعذيب النفسي له وهذا مما يدل على جانب التشاؤم عند الشاعرة فكأنها تعجبت من وجود تلك المشاعر السعيدة لتتيقن أن خلفها يتوارى الألم والحزن ثم تعود الشاعرة للخلف في مشهد درامي يثير الأسى والحزن فتتذكر ما كان عند بداية مقدم الربيع ؛ فكانت الأرض تتضح بالنضارة التي اعتلت وجهها فتؤسن الشاعرة تلك النضارة بأنها كانت جميلة " جذلى " فرحة مسرورة والطيور بعد أن كانت تغنّي وتنشد مرسلة ألحان المنى والآمال فصارت عند رحيل الربيع ترسل لحن الموت فصوتها صار إنذار شؤم لكل من يسمعه فهي تنذر بمقدم الموت وتعني به فصل الصيف ذو الشمس القاتلة لتلك النضارة والخضرة والجمال فهنا جمعت الشاعرة بين صورتين متضادتين "طيور ترسل أعذب ألحان الأماني " و " طيور ترسل لحن الموت " فعالم الشاعرة تتلوّن فيه أصوات الطيور بحسب ألوان نفسها ومشاعرها ، وهذا يدل على الصراعات والتناقضات النفسية التي تعيشها.

يا ضياع الأحلام في مِسْمع المو ... تِ وماذا تُفيدنا الأحلامُ

ليس يبقى الربيعُ إلا قليلاً ... ثم يخبو الجمالُ والأوهامُ

مثل زهْر الصحراءِ سُرْعان ما تقـ ... ـتلُهُ الشمسُ والرياحُ الهوجُ

وتعودُ الواحاتُ قَفْراً كما كا ... نت ويَذْوي العشبُ النضيرُ البهيج

هكذا يرحل الربيعُ سريعاً ... وتعود الحياةُ للأحزانِ

وتموتُ الآمالُ في كل قلبٍ ... وتعيشُ النفوسُ للحرمانِ

فكأنّ الحياةَ لم تبتسم إلاّ ... لتُلقي سوادَها في رؤانا

وكأن الزهورَ لم تنشرِ الأشـ ... ـذاءَ إلا لكي تُثيرَ أسانا

وكأن النضارةَ الحلوة الجَذْ ... لى حُداءٌ بنا لصمت القبورِ

وكأنّ الطيــور ترســل لحــن الـــ ـــموتِ في سمع كــلِّ حــيّ غريــرِ

يا شبابَ الحيــاةِ مــا أنــتَ بالخــا ـــد إلا خلـــودَ زهـــرِ الربيـــعِ

ليس تُبْقي علــى نَضَــارتك الأقـــ ـــدارُ في حومةِ الأسَــى والــدموعِ

أسفاً يا ربيــعُ يــا وردُ يــا عطـــ ـــرُ أهــذا ختــامُ كــلِّ جمــالِ

أكذا يخفتُ الضياءُ ويَبْقــى الصـــ ـــمتُ والحزنُ في ســكون الليــالي

قصّـــةُ الحـــبِّ والجمـــالِ أهـــذا مـــا إليـــه تكــونُ بعــد صــباها ؟

تتصـــدّى لهـــا يـــدُ الـــزَمَن المـــا حـــي فتُبْلـــى ضـــياءَها وصـــداها

هكـــذا يـــا ربيـــعُ يَخْتـــتم النسْـــ يانُ والصــمتُ كــلَّ شــيء جميــلِ

ويعــيشُ الإنســانُ تعصــرُهُ الــذك رى ويبكــي علــى أســاهُ الطويــلِ

فـــإذا عضّـــتِ الكآبـــةُ قلبـــي في أضاحي الربيعِ واشــتدَّ حزنــي

فعلــى مصــرَع الفراشــاتِ أبكــي وذبولِ الوادي الشــجيرِ الأغــنِّ[١٤]

ويبدو أن رحيل الفرح والسرور من الحياة المرتبط برحيل الربيع يــذكّرها برحيــل الفرح والسرور من حياتها ، فلقد مرت البهجة على حياتها يوماً لكنها ما لبثــت أن رحلت فالفرح والبشر ورمزت له الشاعرة بشباب الحياة ، فالحياة كما رأتها الشاعرة إنساناً في مقتبل العمر لكن للأسف ذلك الشباب وتلك النضارة والجمال لم تدم فهــي ليست خالدة ، وقصدت الشاعرة بشباب الحياة أيام الفرح والسرور والبشر التي مها طالت فلن تدوم " فالشباب " لفظة توحي بزخم من معاني الجمال والسرور والمــرح واللهو لكنها بنفس الوقت توحي بعدم الثبات والزوال والتغير ، فأرادت الشاعرة أن

[١٤] - المصدر نفسه ، ص ١٣٠,١٣١.

تثبت أن سرورها في الحياة كان في مرحلة سابقة سرعان ما ولت وذهبت ، ثم تؤكد الشاعرة ذلك المعنى وتعلله في البيت الذي يليه فأقدار الانسان وأحداث الحياة لم تدع مجالا لبقاء الفرح في حياة الإنسان ، وتناجي الشاعرة الربيع مرة ومرة الورد ومرة عطر تلك الأزهار فالشاعرة تتفجّع وكأنها أصيبت بالذهول والحسرة على نهاية ذلك الجمال الذي نشره الربيع من ورود وأجواء شذية ، فالشاعرة نادت الربيع ثم استدعت مظاهره الجميلة التي هي مرادفا له فالورد لا يكون إلا في الربيع والعطر لا يكون أيضاً إلا في الربيع ، وتؤكد الشاعرة معنى شباب الحياة بقولها " صباها " فالحب والجمال قصة طويلة عند الشاعرة كانت في شبابها وصباها وفتوتها لكنها هي أيضاً لم تدم بل زالت وتلاشت .

فالحب والجمال هما من أتباع الشباب الذي يعني الفرح فكل معاني الجمال والفرح لم تبقَ كثيراً في حياة الشاعرة ، فشاعرتنا قد وارى الحزن والأسى والتشاؤم كل معنى جميل في حياتها.

وتعلل الشاعرة حزنها وأساها بأنه من فعل الزمن فجعلت له " يد " فقد أحكم قبضته على حياتها بل ملك زمام حياتها وصارت له السطوة في حياتها ، فالزمن تصدى لكل معاني الفرح وكأنه يمنعها من البقاء في حياة الشاعرة أو حتى من الدخول لحياتها ، فكان الزمن بالمرصاد للشاعرة وسداً منيعاً أمام فرحها وتكمل الشاعرة حوارها مع الربيع بكل أسى وحسرة فهكذا تكون نهايته زوال فنسيان ثم صمت.

يا معاني الزَوَال والعَدَم الرا ... ئع رحماكِ وارفقي بصبايا

لا تُطلّي عليَّ من كلّ شيءٍ ... في وجودي فقد سئمتُ أسايا

أتركيني أرَ الربيع طيوراً ... ليس يَنْوي لها الأذَى مُغْتالُ

ولتكن زهرة ُالبنفسج في عي نـــي خلـــوداً لا يَعْتريـــهِ زوالُ[١٥]

ثم تتنحى الشاعرة عن الربيع لتتركه يرحل مخلّفاً وراءه الأسى والحزن لتتصادم الشاعرة وجه لوجه مع معاني الزوال والعدم فخلقت الشاعرة حواراً مع معاني الزوال والعدم لتطلب منها أن تترفق بها وترحم صباها فهي لم تعشه كغيرها. فمعاني الزوال والعدم والهلاك والأسى دائماً تلقى بأفيائها على كل حياتها فخاطبتها

" لا تطلي " فكأن لها رأس تطل به من مكان عالٍ على حياة الشاعرة التي ملأتها بالأسى فكل ما في حياتها من معاني الجمال أودت به معاني الزوال والعدم فتستجدي الشاعرة رحمتها وأن تدعها تستمتع بالربيع الذي ارتبط عند الشاعرة بمعاني الجمال والسرور، ومن معاني الجمال عند الشاعرة ذكرياتها الجميلة التي تتمنى أن تعيش منها وتستمع بتذكرها ، فلعل الذكرى وجمال الربيع يحييان حلماً لطالما خفق في قلب الشاعرة وربما السعادة التي تمنت أن تظفر بها في هذه الحياة.

إذاً عند خطاب الشاعرة لمعاني الزوال والعدم نقلتها من عالمها المجرد إلى العالم الإنساني فجعلت منها أناسيّ تحاورهم الشاعرة بعاطفة تمزّقها الحسرة والألم فتارة ترجوها ثم تنهاها ثم تأمرها فكأن الشاعرة تحاول بكل السبل الفكاك من تلك الأحزان التي عبّرت عنها الشاعرة بمعاني الزوال والعدم فالمعاني الجميلة زالت ولم تخلف وراءها إلا العدم الذي شعرت به الشاعرة في خبايا نفسها والضياع الذي يشتت أفكارها والزوال والعدم هو قمة الحزن الذي لا رجعة فيه ولا فرح بعده فهو حياة قد قدرت لها كما ظنتها الشاعرة.

[١٥] - المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

وفي نهاية ذلك الحوار الخيالي تعطي الشاعرة لنفسها بارقة أمل عندما يُبعث حلمها الجميل ، فلعله إن بُعث بعد موته ترجع الحياة لقلب الشاعرة الحزين خاصة في فصل الصيف فالصيف يثير أسى الشاعرة ومن هنا تنتقل الشاعرة لتحليل مظاهر الفصل الأخير من فصول السنة بطريقة سلسلة متتابعة واصفة تلك المظاهر.

ودعيني أعشْ مع الذكريات الـ ... ـبيضِ في أمسيَ الجميلِ الراحلْ
علَّ هذا يجلو أسَى الصيفِ عن قلـ ... ـبي ويُحْيي مَوَاتَ حُلمي الذابلْ
فلقد جفّتِ الرياضُ الجميلا ... تُ فلا زهرةٌ ولا أشذاءُ
وانطوتْ فرحةُ الربيع ومات الـ ... ـعُشْبُ في أرضها وجفَّ الماءُ
لم تَعُدْ في العشاشِ قمريّة تشـ ... ـدو وتسقي أفراخها في النهارِ
كيف تحيا الطيورُ في لَهَب الشمـ ... ـسِ وتلهو تحتَ اللظى والنارِ
لم يعد للنسيم قلبٌ يحبُّ النـ ... ـهرَ والمرجَ في ظلام الأَماسي
لم يعد للأزهار لونٌ جميلٌ ... يتجلّى لمرهفي الإحساسِ
كلُّ شيءٍ في الصيف ينطق بالقَسْـ ... ـوةِ والشمسُ شعلةٌ ولهيبُ
تتشكّى عريشةُ الكَرْم لكن ... ليس يُجْدي توسُّلٌ ونحيبُ
آه ما أكأبَ الظهيرة في الصيـ ... ـفِ إذا لاذَ جوُّها بالسكونِ
وتلاشى في الجوِّ كلُّ هُتافٍ ... غيرَ صوتِ الطاحونةِ المحزونِ
وبكاءُ الحمامةِ الخافتِ النا ... ئي وصوتُ الغرابِ بين الكرومِ
وأزيزٌ من نَحْلةٍ تملأُ القلـ ... ـبَ مَلالاً بصوتها المسؤومِ

ثم ماذا؟ماذا ترى العينُ في الصيـــــ ـــــفِ إذا أقبــل المســاءُ الــداجي؟

هل سوى مَنْظــرِ النخيــلِ البعيــدا تِ وحزنِ الأشجار خلــفَ الســياجِ

هل سوى منظــر الرعــاةِ يعــودو نَ باغنـــــامِهِم حيـــــارَى بطـــــاءَ

بعدَ يومٍ أمضَوهُ تحت لَظَى الشمـــــ ـــــس مــــلالاً وشــقوةً وعنــاءَ[١٦]

فعند حلول الصيف تجفّ الرياض التي كانت في الربيع تشع جمالا ونضــارة فكــنّ صبايا جميلات فسرعان ما ذهب الجمال وجفت في الصيف ،فالعشب مات ولم تقل الشاعرة ذبل بل قالت " مات " لتعبر عن معنى الموت والهلاك الذي حلّ بالمكان في الصيف.

والقمرية التي كانت تلهو وتلعب مع نسائم الربيع أنى لها المرح تحت لهب الشــمس فهي لن تحتمل ، والنسيم ذو القلب المحب والعاشق للنهر فقد كــان نســيم الربيــع يتلاعب بمياه النهر فكأنه محب عاشق له ، لكن تلك المحبة قد تبــدلت فــي فصــل الصيف ، فليالي الربيع تعبق نسائمه التي تلثم النهر والمرج ، ومع حلول الصــيف نضبت تلك المعاني الجميلة ، فالصيف قاسٍ وكل شيء فيه مــن حــرارة ولهيــب وجفاف يعلن القسوة التي اشتكت منها عرائش الكرم فقد عانت من قسوتها وظلمهــا حتى ذبلت ويبست ، ثم تنتقل الشاعرة لوصف ظهيرة الصــيف فتصــفها بالكآبــة والحزن ، فالناس تتحاشى الخروج في وقتها فغدت كئيبة تلفحها الحــرارة ولهيــب الشمس ، لا صوت حينها سوى صوت طاحونة الحقل الحزينة وصوتها المحــزون من تلك الكآبة التى أقامت في الظهيرة ثم استطردت الشــاعرة وعــادت لوصــف الطيور وخصت هنا الحمام لعل صوتها الحزين قريب لنفس الشاعرة وتذكّر الشاعرة بنفسها فشعرها حزين كهديل تلك الحمامة وقد سمعت الشاعرة صوت الحمامة بكاءً،

[١٦] - المصدر نفسه ، ص ١٣٢، ١٣٣.

فتبكي بكاء اللوعة بصوت خافت بعيد ويشاطرها ذلك الحزن الأشجار فذبولها أوحى للشاعرة بحزنها وألمها ، وتؤنسن الشاعرة مساء الصيف بسخرية ونفي لأي معالم للجمال قد تراها عند قدوم المساء فهو مساء كئيب حزين.

هل سوى الصائدين في النَهَر الضَحْـ ـلِ يعودون في المساء الكئيبِ
لم يصيدوا وصادَ أرواحَهم حرٌّ نهارٍ مؤذٍ وعيشٍ جديبِ
كلَّ يوم يمضي النهارُ ولا صيـ ـدَ يعزّي صيّادَهُ الطَوَّافا
يا لَقَلْبِ المسكينِ قد سئمَ النهـ ـرَ وعافَ المياهَ والمجذافا
فهو عند الغروبِ يرجِعُ بالزَوْ رقِ سأمانَ واجمَ الألحانَ
إن تغنّى فبالشكاةِ يُزَجّيـ ـها إلى خافق الحياةِ الجاني
كم رأيتُ الصيّادَ في الشارع المُقْـ ـفرِ يمشي معذَّباً مَصْدوما
عكستْ مقلتاهُ أحزانَ قلبٍ سئم العيشَ والوجودَ الأليما
لستَ أنتَ المحزونَ وحدَكَ يا صيّـ ـادُ في حومة الشقاءِ المخيفِ
هو سجنُ الحياةِ قد كبّلت أقـ ـيادُهُ السودُ كلّ قلبٍ رهيفِ
ذاك شأنُ الإنسانِ يا أيّها الصيّـ ـادُ يا شاكياً ظلامَ الرزَايا
في صراعٍ مع العناصر لا يَهْـ ـدأُ حتى يأوي لوادي المنايا
في سبيل الحياةِ يبدلُ أفرا حَ صِبَاهُ ويستطيب أساهُ
فهو يجري وراءَ حُلْم كذُوبٍ رسمتْهُ أوهامُهُ ورؤاهُ[١٧]

[١٧] - المصدر نفسه ، ص١٣٣، ١٣٤.

ثم تصور الشاعرة حال الصياد الذي لم يجد ما يصيده فتصور قلب ذلك الصياد بأنه قد مل وسئم من النهر وكره مياهه وزورقه حتى ألحانه إن غنّى فهي حزينة كحالـــه لكنه يهدي تلك الألحان الحزينة إلى الحياة التي لها قلب قاسٍ جنى على قلب الصياد ، فالقلب يسأم ويكره ويهدي ويغني ، والحياة الجانية ذات خافق قاسٍ ، كـــل تلـــك المعاني هي معانٍ استوحتها الشاعرة من عالمها الحزين الذي انعكس حزنه على ما تراه أو تسمعه ، و تكرر الشاعرة ذلك المعنى فيما يليه من الأبيات فقلـــب الصـــياد الذي سئم النهر الآن قد سئم الحياة بما فيها بل الوجود الذي سبب له الألم والحزن.

وعجيبُ أنّـــا نـــذوقُ ســـوادَ الـــــ ـــــعيش واليـــأسِ والمـــلالِ لنحيـــا
أيُّ عُمْـــرٍ هـــذا ؟ وأيّـــةُ مأســـا ةٍ بَلَوْنـــــا ســـــوادَها الأبـــــدّيا ؟
أبداً نحنُ فـــي كفـــاحٍ مـــع الأقـــــ ـــــدار والحادثـــاتُ تُبْلـــى وتُفْنـــي
يتحـــدَّى أحلامَنـــا الواقـــعُ المـــرّ ويقســـــو زمانُنَـــــا المتجنّـــــي
ونخـــافُ الغـــدَ الـــدجيَّ ولا نعـــــ ـــــلمُ مـــاذا يكـــونُ فيـــه المصـــير
يا ظلامَ المجهولِ ما أرهبَ التفـــــ ـــــكيرَ لا كـــانَ ســـرُّكَ المَسْـــتورُ
آهِ لـــو كـــان فـــي الحيـــاةِ مفـــرٌّ مـــن شـــقاءِ الأوهـــامِ والأفكـــار
في شعابِ الهُدوء يـــا ليتنـــا نُلْـــــ ـــــقي بأعبـــاءِ خوفِنـــا الجبّـــار[١٨]

وتختم الشاعرة قصيدتها بأن الانسان يبحث عن تحقيق حلمه في الحياة لكن الشاعرة تصف تلك الأحلام بالكاذبة فهي أحلام وآمال صنعتها الأوهام والـــرؤى ، فأوهـــام الإنسان ورؤاه وآماله وأحلامه منحته الأمل في تحقيق مبتغاه لكـــن للأســـف إنهـــا أحلام كاذبة ، لتخلص في النهاية إلى أن الزمن الذي يعيشه الإنسان لا رحمة عنـــده

[١٨] - المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

بل يتجنّى على الإنسان ؛ فيرميه بالآلام والأحزان التي لا يد للإنسان فيها ولعل هذه النتيجة تناسب ما قدمته الشاعرة في الأبيات السابقة فهي رأت الحزن في الشتاء وكذلك في فصل الخريف والربيع والصيف ، فالزمن كله بكل فصوله قاسٍ لا يسبب إلا الحزن والأسى وهذه هي الفكرة التي يدور حولها النص بكامله.

واعتمدت الشاعرة على العالم الإنساني تأخذ من صفاته ما يناسب حالتها الشعورية وما يُنقل من خلاله من إرهاصات نفسية عانتها الشاعرة فأخذت من ذلك العالم جوانبه الحسية وجوانبه المعنوية ، جوانب تحسها الشاعرة وجوانب تتعمق فيها الشاعرة لتخرج منها ما يوافق أحوالها النفسية ومن تلك المشاهد الحسية "صور قدوم الربيع ، واكتساء العرائش بالخضرة وعودة البط واستحمام القماري ولهوها وغنائها، وضحك الزهور وانحنائها للنسيم، والشمس القاتلة ، ورحيل الربيع ، ويد الزمن وموت العشب ، وبكاء الحمامة" ، فاستعارت من العالم الإنساني تلك المشاهد التي تختلط بمشاهد نفسيه وشعورية قاتمة حزينة ، فكل تلك الصور الحسيه من بصرية كاستحمام القماري وسمعية كبكاء الحمامة ومعنوية كيد الزمن لم تخلُ من الجانب المعنوي ، فالفصول الأربعة بكل مظاهرها لا تنتمي لعالم الإنسان ولا تشبهه بل الانسان من عالم وهي من عالم آخر ، لكن الشاعرة نقلت تلك الفصول عندما تحلّ على الأرض وتأثيرات كل فصل منها على النبات والحيوان إلى عالم الإنسان وكذلك عند خروج كل فصل وتحوّل الحياة من خريف إلى شتاء ثم ربيع وبعده صيف واستقصت بإسهاب الكثير من مظاهر كل فصل.

ولم تكتف الشاعرة بإضفاء صفات الإنسان لعناصر قصيدتها بل جعلت منهم أناساً لهم روح الإنسان وحياته فهي تتحرك وتعبّر وتسمع وتحس وتشعر ، فأحيت الشاعرة الزمان من شتاء أو خريف وربيع وصيف وأنسنت النباتات والحيوانات ،

كل ذلك جمعته الشاعرة في لوحة سمتها " كآبة الفصول الأربعة " ولونتها بألوان حزنها وألمها.

فحزن الشاعرة وإحساسها بالمرارة والألم والشكوى من الحياة ومآسيها كانت خلفية لتلك اللوحة التي استدعت فيها الشاعرة كل مظاهر الكآبة من قسوة ودموع وحزن ووجوم وأنين وعويل ورحيل وقتل وزوال وعدم وأوهام وتجنٍّ وجبروت ، وأبرزتها من خلال صور تشخيصية جزئية لتدفع بالصورة التشخيصية الكلية للقصيدة وهو حزن أو كآبة الفصول الأربعة بأسلوب يميل إلى القصصية ، فكأن الشاعرة تحكي قصة تعاقب تلك الفصول على الأرض وتلتقط مشاهد كل فصل بعدستها الخاصة ، فصورت الخريف بما فيه من صوت قمرية حزينة وأغصان واجمة وكآبة قابعة وحمام وكناري مهاجرة وأوراق مصفرة ورياح عابثة ونهر غلّفه الخريف و مساء قاس ثم قدم الشتاء فماتت الأزهار على يد الثلج فجاء مساء يبكي مطراً فشتاء كئيب وأيام قاسية ثم أقبل الربيع الجميل فلبست العرائس الخضرة والنضارة ، وعادت الطيور بعد غياب فرحة مسرورة ، وقماري تستحم وتلهو وزهور ضاحكة وأغنام لاهية ثم قرر الرحيل سريعاً ، فماتت الآمال وأرسلت الطيور تراتيل الموت، فقدم الصيف ،فمات العشب ورحلت الطيور ، واشتكت عرائش الكرم من الشمس القاتلة ، وصوت الطاحونة الحزينة وبكاء حمامة وحزن أشجار وأحلام كاذبة ، وأوهام خادعة وقسوة الزمان وتجنيه ، وخوف جبار.

كما لجأت الشاعرة إلى حوارات جانبية مرة مع ساعتها ومرة مع معاني الزوال والعدم ، وهذه الحوارات أو تلك العناصر مرتبطة ببقية مفردات قصيدتها ، فالساعة هي الوقت والزمن ، والزمن هو تلك الفصول الأربعة ومعاني الزوال والعدم هي نهاية كل فصل من تلك الفصول وهي نهاية الحياة على الأرض.

كما تميز التشخيص عند نازك الملائكة بالتكرار فكثير من الألفاظ أو المعاني تلــح بشكل ملحوظ في قصيدتها التي كانت لها أبعاد نفسية فــي صــورها التشخيصــية "التكرار يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره "[١٩] فمن تكرار تلك الصور بنفس الألفاظ قولها : " الزمن القاسي " وقولها " الزمان هو القاسي " و" أقسى مساه" و " وأيامه وما أقســاه " و " يقسو زماننا "، فركزت الشاعرة على لفظه القسوة التي كانت بصيغ مختلفة من فعل واسم وصيغة تعجب ، لأن ذلك الشعور هو ذاته الذي يلحّ في نفس الشاعرة تــراه " قاسٍ" بكل معاني القسوة ولعل في هذا تعليل لتلك الكآبة والحزن الــذي تحــس بــه الشاعرة وظهرت خيوطه بوضوح في قصيدتها.

وتكرار مفردة " الموت " في قولها " تموت الأزهار " وقولها " وفي مسمع المــوت "و " تموت الآمال" و "موت حلمي " كذلك لفظه " كئيــب " فــي قولهــا " بالكآبــة الخرساء" " الخريف الكئيب " و " كل شيء كئيب " و" ساعتي الكئيبة " و " ما أكأب الشتاء " و" أكاب الظهيرة " و "المساء الكئيب " ولعل مردّ ذلــك الإلحــاح تفريــغ الشاعرة لشحنات نفسية كانت في أعماقها فطفت على السطح في قالــب شــعري مؤثر.

قصيدة أغنية لشمس الشتاء:[٢٠]

أشــيعي الحــرارةَ والرفْــقَ فــي لَمسَــات الريّــاحْ
ولفّــي جــدائلكِ الشُــقْرَ حــولَ الفِجــاج الســفاحْ
وهــذا التحــرّق فــي شَــفْتيكِ أريقــى لظــاهْ

[١٩] - علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٥٨ .
[٢٠] - نازك الملائكة " الأعمال الشعرية الكاملة " ج٢ ، ص١١٥.

علـــى طَبَقـــات الثلـــوج الكثيفـــةِ فـــوقَ الميـــاهْ
أذيبي با قَـــــــــــــطَراتِ الجليـــــــــــــــدْ

عن العُشْبِ ، عن زهرةٍ لا تريدْ

فـــــــــراق الحيـــــــــاهْ
فمـــــــا زال فيهـــــــا رحيـــــــقٌ تخبّئُـــــــهُ للصـــــــباحْ

عنونت الشاعرة قصيدتها بهذا العنوان الذي يوحي بتقنية التشـــخيص مـــن الوهلـــة الأولى فالشاعرة قدمت أغنية مهداة لشمس الشتاء فـــ "أغنية " نكرة ،و شمس الشتاء معرفة ، فأغنية بكل أنواع الأغاني والأناشيد الشعرية قد قُدمت لطرف واحد وهـــي "شمس الشتاء" التي قامت الشاعر بأنسنتها فالنص يعتمد على مناجاة هـــذه الشـــمس وحوار تُمسك الشاعرة بدفّته فجعلت من الشمس إنساناً يعي ما تريده الشاعرة منهـــا فمرة تخاطبها بخطاب العاقل ، ومرة تأمرها، ومرة تسألها ، كل ذلـــك فـــي قالـــب إنساني ليس له حياة أو وجود إلا في عالم نازك الملائكة الخاص " فشمس الشـــتاء" هذه المفردة التي اختارتها الشاعرة لما لها من إيحاءات خاصة، فشمس الشتاء تكون أكثر وقتها غائبة وإن حضرت فإنها لا تعلن عن نفسها بصراحة بل تكون أشـــعتها رقيقة ،وضوؤها باهت ، وحرارتها هادئة منعشة، تستتر كثيراً خلف الغيوم وتختبئ عند هطول الأمطار بالإضافة إلى أن نهار الشتاء قصير فحضور الشـــمس قليـــل، ورحيلها عن العالم يطول في ليالي الشتاء.

فشمس الشتاء معظم وقتها غائبة وإن حضرت فحضـــورها باهـــت لكـــن البشـــر يستمتعون ويفرحون بذلك الحضور فهم دائماً بانتظاره مهما طال غيابه فيتشـــوّقون إلى مقدمها فهم في أمس الحاجة إليها شتاءاً ، فالشتاء بارد قارس البرودة والريـــاح

عاصفة والأمطار غزيرة فشمس الشتاء تحديدًا يحتاجها الأحياء من إنسان أو حيوان أو نبات لقلة ظهورها في ذلك الوقت فهي الحياة لكل المخلوقات الحية.

لكن الشاعرة لم تقصد شمس الشتاء ببعدها الحسي فلقد قصدت بعداً آخر، فشمس الشتاء ليس إلا رمزاً قصدت به الشاعرة البعد المعنوي الذي قد يكون الحقيقة أو الأمل أو المعاني الجميلة التي تراها الشاعرة كحب أو شعر ، فشمس الشتاء ينطوي تحته كل معنى جميل يحمل الضياء والإشراق والجمال والحق فالبعد الرمزي ظهر واضحاً من بداية النص، فشمس الشتاء انزاحت من عالمها المادي إلى عالم الشاعرة الخيالي بعدما أضفت عليها معالم الحياة الإنسانية ومنحتها خصائص ذلك العالم " بالخيال تُلتقط عناصر من الواقع المادي الحسي ويعيد تأليف هذه العناصر والمكونات لتصبح صورة للعالم الشعري الخاص بالشاعر بكل ما فيه من مكونات شعورية ونفسية وفكرية ، فالشاعر يبدأ من واقعه المادي ليستمد عناصر صوره ، لكنه لا ينقل هذا الواقع نقلاً حرفياً ، بل يبدأ منه ليتخطاه ويتجاوزه " [٢١] فقدمت لها هذه الأغنية أو الأنشودة الشعرية لتكون جسر محبة يصل بينهما ولثبت الشاعرة مكونات نفسها وتطلعاتها التي تأمل تحقيقها .

وقد كان ذلك الحوار الذي أنشأته مع الشمس مقسّماً إلى مقاطع ، ففي المقطوعة الأولى تطلب عدة أمور؛ فهي تطلب أن تنشر وتشيع الحرارة في أرجاء الشتاء القارس البارد، وأن تنشر الرفق والسكنية على الرياح العاصفة وأن تلف جدائل شعرها الأشقر حول تلك الأودية الفسيحة، وأن تسكب تلك الحرقة وألسنه اللهب التي تخرج منه فمها على الثلوج المتجمدة على المياه، وفوق الأنهار، فتذيب الثلج عن خضرة العشب وعن زهور تتمسّك بالحياة فبداخلها رحيق لم يمتصه النحل بعد ، فالشمس عند الشاعرة فتاة رقيقة هادئة ذات جدائل شقراء وجمال طاغ متوهّج يذيب

[٢١] - علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية ، ص ٧٤، ٧٥ بتصرف .

الثلوج من على الماء والنبات وبالطبع هذه الفتاة لا تعيش في الواقع الإنساني بل هي فتاة من نسج خيال الشاعرة ومن مخلوقات عالم نازك الملائكة.

إذاً تلك الفتاة الجميلة التي تنشر الجمال في كل مكان هي كل معاني السعادة فالحقيقة والأمل كلها أبواب تؤدي للسعادة التي نشدتها الشاعرة كثيراً في قصائدها فالريح العاصفة والثلوج الكثيفة والجليد هي مظهر الشتاء وعلاماته ، فاليأس والغضب أو والحزن والخوف من الموت كلها علامات للبؤس والشقاء والحزن الذي تعيشه الشاعرة ، فالرياح العاصفة هو الغضب والثوران الذي يجتاح روحها ، والثلوج الكثيفة والجليد ترمز لليأس والإحباط والحزن ، والزهرة التي لا تريد الموت هي الشاعرة نفسها ورحيقها هو شعرها وقصائدها التي نظمتها أو ستنظمها مستقبلاً ، إذاً قلب الشاعرة تثور فيه ثورات عارمة ونتائج في نفسها تقلبات هائلة ويملأ نفسها الحزن والكآبة والبؤس والشقاء والآمال المحبطة والخوف من المستقبل أو الخوف من المجهول والخوف من الموت ومن النهاية.

فالشاعرة وثيقة الصلة ببيئتها، فمن خلالها تبوح بما يعتمل في نفسها ، فالشاعر لا يعبّر مباشرة، بل يتخذ جسوراً ينقل عبرها شكواه التي يبثّها من خلال قصائده ، فتكون ألفاظها مثقلة بالإيحاءات والرموز، فمظاهر الشتاء هي المعادل الموضوعي لمشاعر الشاعرة وأحاسيسها أما شمس الشتاء وإن كانت قصيرة أو باهتة الحضور فهي شمس لا يمكن أن يغطيها ظلام، فالنهار لا يكون نهاراً إلا بوجود الشمس التي مهما إختبأت فلا بد أن يكون هناك بصيص من نورها وضوء من أشعتها .

فالسعادة أو الحقيقة أو الأمل كل تلك المعاني هي التي تبعث الأمل في نفس الشاعرة وهي التي تحيي الآمال والأحلام والحياة في قلبها السعادة هي التي تهدئ ثوران نفسها ، فهي التي عند الإحساس بها تذيب الحزن والبؤس الذي كان يعشعش

في القلوب، وهي التي تجلو البؤس والإحباط والكآبة وعدم الإحساس بالمتعة أو الحياة ، وهي التي تحت ظلها تحقق الأحلام والآمال والسلام، وبها يزول شعور الحزن والخوف عن نفس الشاعرة فهي لا تريد الموت فما زال في جعبتها الكثير ، تلك هي نازك الملائكة زهرة تعيش الخوف والحزن والبؤس وتطمح أن تجد السعادة حتى تزيل عن نفسها ما ألمّ بها فترغب بشمسٍ تبدّد شتاء روحها.

ومن دفء عينيكِ من ضوءِ هذا الجبينِ السعيدْ
أريقي عصيَر البنفسجِ فوق القضاء المديدْ
ومن لونِ هذي الجدائلِ رشّي أزرقاقَ الأثيرْ
وصبِّي البريقَ الملوّنَ فوق مرايا الغديرْ
ومن عطرِ هذا الضياءِ المذابْ
أريقِي على صفَحَات الضباب
ربيعاً نضيرْ
يحيلُ البرودةَ فيهِ إلى دفءِ حبٍّ جديدْ (٢٢)

فتخاطبها الشاعرة وتطلب منها إذابة هذا الثلج والجليد ، وبضوئها الساطع تعود الحياة للأرض فتتلوّن بوشي الزهر و العشب ، ومن دفء عينيها وجبينها المشرق و جدائلها الذهبية يتلوّن الأفق ويذوب الثلج عن الغدير فتعود الحياة للزهر والشجر فتغدو الأرض ربيعاً وكل مظاهر الحزن والشقاء تتحوّل إلى حب جديد دافئ يذيب كل برودة وقسوة قبله .

فتحوّل لون الأفق، ودفء أشعة الشمس ، والربيع الذي حلّ ، وجريان المياه ، وإنبات الزهر الشجر ، كل هذه تعادل عند الشاعرة حب جديد ، فهذه الشمس

[٢٢] - نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج ٢ ، ص ١١٥.

ساعدت الشاعرة على الحصول على حب جديد، وحياة جديـدة لقلبهـا، فالسـعادة الحقيقية أو الأمل كل هذه المعاني الجميلة تثير في نفس الشاعرة حب الحياة والأمل من جديد، وهي التي تجعلها تشعر بأنها تعيش ربيع حياتها فتزول معـاني الحـزن البؤس والشقاء فتلك المعاني الجميلة المضيئة تزيل على الشاعرة ضدها من معـاني الشقاء.

فهذه الفتاة دافئة العينيين ذات جيبن سعيد وجدائل تصبّ وتريق الضياء هـي فتـاة نازك الملائكة وفتاة تحيا في عالم نازك الخاص بها، فيظهر هنا الجانـب الرمـزي بجلاء فالفتاه هي من خيال الشاعرة والشمس عندما أنسنتها الشاعرة بإنسان خيالي لا يعدو أن يكون ذلك رمزاً.

أصـابعُكِ الـدافئاتُ المـرور اضـغَطي شـعْرَها
وأحلَامَهَـا فـوقَ زهـرةِ فُـلٍّ طـوت سـرّها
ونامـتْ مُلفّعـةً بجليـدِ المسـاء القريـبْ
تـذوب اشـتياقاً لضـوئكِ ، للحـبّ ، للعنـدليبْ
أطلّى بوجهكِ في سجنها

فقد جَمَد الشعر في لونها

وعـادُ شحـوبْ
تسـائُلهُ هَمَسـاتُ العصـافيرِ عـن سحرهـا(٢٣)

وفي المقطوعة السابقة تكمل الشاعرة حوارها مع تلك الشمس متخذة جانب الراوي لتحكي حكايتها مع الشمس ، فتخاطب الشمس بأن أصابعها دافئة تضغط على شعرها

[٢٣] - المصدر نفسه ، ص ١١٦.

وهي الشاعرة نفسها لكنها تتكلم بصيغة الإضمار "الغائبة" ، فهي لها أحلام يبدو أنها تجمدت بتأثير جليد المساء لكنها تشتاق لضوء الشمس وللحب و للشعر، وتطلب من الشمس أن تطلّ فقط بوجهها عليها فـ "هي" شاحبة تجمدت و شارفت في الهلاك ، وظلت العصافير تهمس عن ذاك السحر عندها "هي" فهي في نظرهم ساحرة الجمال.

إذاً الشاعرة انفصلت عن نفسها واعتبرتها كائناً مستقلاً يرغب بشدة بتلك الشمس أو تلك المعاني الجميلة فهي تنتظرها بشغف ولا غرور في ذلك فهي تعيش البؤس والحزن والشقاء وضياع للآمال والأماني وعلاوة على ذلك فهي مسجونة في سجن الوحدة والوحشة في سجن الغربة النفسية التي تشتت سكينتها وتجعلها تعيش القلق والألم.

فالأمل تلاشى من حياتها التي افتقرت لبصيص من أمل، فنفسها المتشائمة لا تتعايش معه ، فالأمل في الحصول على السعادة بعيد المأخذ لذلك رغبت عن تحقيق تلك السعادة وأصبح مبتغاها إطلالة للأمل على حياتها ولو من بعيد فهي تنتظره منذ أمد ليتبدد سجن الحياة الذي تعيشه، فهي تنتظر ضوء الأمل ، تنتظر الحب ، تنتظر الشعر ، تنتظر كل معنى جميل قد يضيف ضوءاً لحياتها الجامدة بجليد المساء.

و هذه المقطوعة تعبر عن مدى اليأس الذي كانت تعيشه فحتى الشعر قد تجمد معها فشحب لونها فصارت العصافير المغردة تسأل عن ذاك الشجوب وأين سحرها ولعل الشاعرة تقصد شعرها فهي ما تعتبره سحرها الأخّاذ.

وروحي الذي رَسَبَتْ في مُناه ثُلوجُ الملالْ
ولاذ بزاوية جَهْمةٍ من زوايا الخيالْ

دعيـــه يُعانقْـــك ســـكرانَ مـــن وهـــجِ هـــذا البريـــقْ
ويشـــــربُ يشـــــربُ هـــــذا الضـــــياءَ ولا يســـــتفيقْ
يفيض عليه سناكِ الحنونْ
ويُرسلُه شُعْلةً من جَنـــونْ
ولحناً رقيـــــقْ
نـــــذرتُ مقاطعَـــــهُ لعذوبـــــةِ هـــــذا الجمـــــــــالْ(٢٤)

وتواصل الشاعرة مخاطبة الشمس لتخبرها بأن روحها قد استقرت بهـــا الأحـــزان والآلام وهربت من الواقع إلى عالم شعري صنعته بخيالها والبؤس والحـــزن همـــا زوايتا شعرها وهما محركا خيالها .

فتلك الروح الحزينة تأمل الإلتحام بالشمس لدرجة إلغاء هويتها ،علها تقتـــبس مـــن وهجها فتتقد كبريقها وتتحد معها لتستقي من قوتها ووجودها.

وذاك البريق والضياء رغم توهجه فهو حنون على روح الشاعرة لكنه يحوّلها إلـــى معانٍ مجنونه وألحان رقيقة ، فالروح عندما تتقد بشمس السعادة أو الحقيقة أو الأمل أو بالمعاني الجميلة وتنبذ ما عداها فلا يبدر منها إلا كل لحن رقيق ، فـــالروح إذا ارتقت واعتلت منبر المثالية تغدو ذات لحن رقيق ومعنى حقيقـــي ، فـــالجنون هـــو تجاوز الحد فقد يكون شعرها جنون في قوة تأثيره لأنها تعبر عما يحتدم ويتأجج في نفسها وما تشعر به من نوبات الحزن والوحدة ، كل ذلك الشعر وبكل مقاطعه سواءً كانت جنوناً أو ألحان رقيقة قد نذرتها الشاعرة لعذوبة وجمال تلك المعاني فشـــعرها فداءاً للحقيقة وللسعادة والأمل ، تقدّم الشاعرة شعرها بكل نفس راضية فـــي ســـبيل تحقق تلك المعاني، فشعرها هدية منها لكل معنى جميل في هذه الحياة فهي ترغـــب

[٢٤] - المصدر نفسه ، ص ١١٦.

بكل شوق أن تتحقق تلك المعاني فإذ لم تستطع تحقيقها فلعل شعرها يثبت تلك المعاني ويسهم في تخليدها ولو شعراً.

دعيني! هنا لا أحسّ سوى روحكِ الشارده
تُقبِّل شَعْري ، وتُدفئ أحلامَيَ البارده
هنا أنت ، بنت حقول الجنوب ألوانها
قَبَسْتِ العذوبةَ والدفءَ من سحْر غُدْرانها
وهذا الصفاء صفاء الحياه
هناك ، وهمسُكِ شدو الرعاه
لقُطْعانها
دعيني! فأنتِ الإله هنا وأنا العابده([٢٥])

وتصف الشاعرة تلك الشمس بأن روحها الشاردة الهاربة تقبّل شعرها، وأنها بنت حقول الجنوب ،ولها همس يشدو به الرعاة ، وكل تلك الصفات إنما هي رموز ساقتها الشاعرة لأنها توافق ما في نفسها من الحزن ، فالسعادة أو الأمل لا وجود لهم في حياة الشاعرة كما تقول عن نفسها بل تحس روحها بذلك ، وهي لا تشعر بوجود معنى جميل في حياتها ، بل تشعر بروح تلك المعاني حولها تقترب منها تارة في صحوتها و في أحلامها تلك الأحلام التي أحبطها الأسى وتلك الآمال التي دفنها الألم فأحلامها

[٢٥] - المصدر نفسه ، ص ١١٧.

وأمالها ماتت لكنها مع الأمل والسعادة بعثت مـــن جديـــد
فعادت إليها الحـــــــياة .

ومـــن أجـــل عينيـــكِ هـــاتين حيـــث يعـــيشُ الأبَـــدْ
أعـــــيشُ أؤرّخُ كـــــــالآخرينَ بـــــأمسٍ وغـــــدْ
وكـــــالآخرين أعـــــيش أجُـــــرّ قُيـــــود المكـــــان
وأحمـــلُ فـــوقَ جبينـــي عـــبءَ الـــدجى والـــدخان
لعينيكِ أرشفُ كأسَ الغيومْ
وأعبر ليلاً جفتْـــه النـــجومْ
وأطـــوي الزمـــــــــــانْ
مكبّلةً بالأسى الآدميّ وقـــيـــــدِ الجـــــَـــســـــَـــدْ[٢٦]

لتخبرها بأنها موجودة فمهما اختفت أو اختبأت أو عُمّيت لا بد أن تظهـــر وتتجلـــي لتتحقق بكل وضوح فهي جميلة بجمال ألوان الحقول ،عذبه ودفئه ، ساحرة ، وفـــي صفائها تصفو الحياة فالأمل والسعادة الحقيقية والخير والسلام والحب بهـــم تتجلـــي الهموم وتغيب الآلام وتنطفئ علامات الحزن والشقاء فتعلو الهمم وترتقـــي الأرواح لعالم إنساني مثالي فتغدو الحياة صافية رقراقة لا يشوبها كدر ولا ينغصها ألم.

فأصبحت تلك المعاني هي المعظّمة عند الشاعرة عليها ولها تنظم القصائد ، فهـــي معاني أبدية ينشدها الإنسان في كل زمان ومكان ففي كل زمن يريد الإنسان السعادة والأمل والحب والخير والسلام ، وفي كل مكان يريد الإنسان السعادة والأمل والحب والخير والسلام فالإنسان مقيّد يقيّده زمن معين لا يتعداه إلى غيره ولا يسبقه لغيـــره وله مكان معين مقدّر له لا يكون له غيره ، فترى الشاعرة الزمن قيد لا تستطيع أن تؤثر في الزمن من أمس أو غد فلعلها تقصد الماضي وما فيه من آلام ، والمســـتقبل

[٢٦] - المصدر نفسه ، ص ١١٧.

المجهول وما فيه من إبهام فهي بين قيد الماضي وقيد المستقبل لا تملك إلا حاضرها فقط ، فالإنسان يقيده المكان فله أرضه وسماؤه لا يعدو لغيرها فالأرض تحته والسماء سقفه كل تلك القيود تكبّل الشاعرة وهي أعباء وهموم تثقل كاهلها بالإضافة إلى عبء الظلام والشر والحقائق المغيّبة والحقوق المنتهكة والحزن والألم وكأن طبيعة الإنسان وقدره هو الأسى والحزن وأخيراً يقيّدها قيد لن تتحرر منه حية ،فروحها المحلّقة المتوهجة يقيّدها ذلك الجسد المادي وكأنها ترجو التحرر من ذلك القيد.

إذاً كل تلك القيود التي تعيشها الشاعرة والإنسان بشكل عام من قيد الزمان والمكان والشر والحزن والألم والأسى والجسد ستتكبد الشاعرة عناء حملها لتحقق تلك المعاني فعيش الشاعرة في هذه الحياة على أمل تحقيق السعادة وتحقيق الجمال بكل معانيه في الحياة فالشاعرة هنا تبث شكواها لتلك المعاني وتشكو لها حالها علها ترقّ فتنال بعضاً من السعادة والخير والحب والسلام التي طالما رغب في تحقيقها.

ولولاكِ يا شمسُ ماتَ النشيدُ نشيدُ المروجْ
وجف رحيقُ الشذى تحتَ برد الشتاء اللَجُوجْ
ولولاكِ ما كان أخشن مسّ الفضاء الرهيبْ!
وهذى النعومةُ ، هذا الضياءُ الرقيقُ الغريبْ
ألولاهُ كان يعيشُ الخيالْ؟
ومن ذا يوسِّدُ خدّ الجمالْ؟
ومن ذا يُذيب بريقَ الحرارةِ
في سَرْوةٍ جمّدتها الثلوجْ؟
ولولاك أينَ إذنْ يستحمّ جبينُ السلامْ؟
وهذي المشاعرُ أينَ تصُبّ، وأين تنامْ؟

وبعــضُ العُيــون التــي جمعــتْ ألــفُ حلْــمٍ مُحــالْ
وقــد نَضــجَتْ خلــف أهــدابها نَغَمــاتُ الجمــالْ
دعيها تُرِقْ عَسَلَ الأغنياتْ
فلولاكِ سدّتْ عليها الحيــاة

رحــــــابَ الخيــــــالْ

ولولاكِ ما وجدَتْ سامعاً غيــرَ بَــرْد الظــــــلامْ[٢٧]

وتعاود الشاعرة مخاطبتها كالماثل أمامها على مرأى منها لتحكي لها عــن مكانتهــا وأهميتها فهي شمس ، والشمس تمدّ الإحياء بالحياة فبدون الشمس لا تكــون هنــاك حياة حية ، كذلك شمس الشاعرة فلولا وجودها في حياتها واشتغال فكْر الشــاعرة بها روحاً وشعراً لنضب الشعر والإنشاد ولأمسك الشاعر عن شعره .

ولولا الأمل لجفت الأزهار تحت الثلوج فلا تعاود الإزهار في الربيع فالأمل قد يخبو تحت وطأة الحزن والأسى لكنه ما يلبث أن يعود ويتجدد مرة أخرى فإذا بُثت فيه الحياة وكان هناك رغبة في تحقيقه ، فلولا الأمل و الخير والسعادة والسلام والحب لما استطاع الإنسان تخطّي الصعاب ، ولولا تلك المعاني ما كان هناك خيال أو شعر أو فن أو أمل في المستقبل ،ولولا تلك المعاني لما أحس الإنسان معنى للجمال فــي حياته أو لمسة جمال في أي شيء يراه أو يسمعه أو يشعر بمعنى ، لضــاع معنــى الجمال فالجمال يدون إحساس بوجوده هو بؤس وشقاء ، ولولاهــا لبقــي الإنســان حبيس الماضي والذكريات المؤلمة ، حبيس الوحدة والغربة والحزن والوحشة، فكل تلك المعاني هي بإختصار جوهر الحياة وروحها ، وبدونها لا تكون الحياة إنسانية.

[٢٧] - المصدر نفسه ، ص ١١٨.

وتكمل الشاعرة مناجاتها للمعاني الجميلة وما تعنيه للإنسان فبدون سعادة أو أمل أو خير أو حب أو عدل أو مساواة لا يكون سلام ، فالسلام لا يتحقق إلا بالخير والعدل وحفظ الحقوق واحترام الإنسان، فبدون تلك المعاني لا تتحقق معادلة السلام في الحياة ، والسلام بكل معانيه على المستوى الداخلي النفسي ليتحقق سلامة الداخلي أو على المستوى الخارجي بين البشر ، وكذلك المشاعر والأحاسيس كيف تحيا بدون أمل أو حب للخير فهي لا تنام إلا في حجر الأمل والحب ،إذاً المشاعر والأحاسيس الإنسانية هي روافد للحب والأمل والسعادة، وبدونها لا يكون هناك معنى للمشاعر الإنسانية.

فبها تتحقق الأحلام وتولد الأشعار والأناشيد فلولا رغبة الشاعرة في تحقيق السعادة ونشر الحب والخير والسلام لما حلّقتْ في سماء الشعر ورحاب الخيال ، فالشاعرة لرهافة حسها ورقة إحساسها كانت تلك هي جذوة شعرها وعليها تدور رحى شعرها فالشاعر أو الفنان بالجمال يحيا وله يغنّي.

إذاً القصيد تدور حول فكرة واحدة هو مناجاة الشاعرة للمعاني الجميلة في حياة الإنسان سواءاً كانت سعادة أو حبا أو أملا أو خيرا أو سلاما التي رمزت لها بـ "شمس الشتاء".

وكانت الشاعرة قد قسّمت ذلك الخطاب أو تلك المناجاة إلى مقطوعات ، فالمقطوعة الأولى تطلب منها إقصاء ذلك الحزن وآلام البؤس والشقاء من نفسها وفي المقطوعة الثانية أن تثبت معاني الفرح والسعادة بدلاً من تلك الأحزان وفي المقطوعة الثالثة والرابعة والخامسة تصف الشاعرة المعاني الجميلة ثم تبث شكواها لها وما يعانيه الإنسان من قيود ثم تعلل ذلك البوح لتبين معنى السعادة والأمل والحب والخير في حياة الإنسان.

وكل تلك المقطوعات يتوّجها ذلك الحوار فمره تسائلها كقولها : أين إذن سيتم جبين السلام؟

ومن ذا يوسّد خد الجمال؟

وتارة تأمرها كقولها: "دعيني، إضغطي شعرها، أطلّي بوجهك، أذيبي ، أِشيعي". فاعتمدت الشاعرة على الأساليب الإنشائية لتحمّلها مشاعرها ويكون في نفسها من ألم وحسرة وقد تكرر الفعل الأمر كثيراً كقولها : "شيعي ، لُفّي ،أذيبي ، أريقي ، صبّي ، دعيني ، دعية ". والأمر لا يكون إلا لمخاطب قريب فتلك المعاني كانت قريبة من نفس الشاعرة فهي مُثل ومبادئ كانت تتمنى تحقيقها في عالم الإنسان الواقعي.

كذلك اعتمدت الشاعرة على الرمز في تقنية التشخيص ، فكل تلك الصور التشخصية في القصيدة لشمس الشتاء ما هي إلا رموز اتخذتها الشاعرة قناعاً لتفريغ ما في نفسها من شكوى وألم، كما عمدت إلى صور تشخيصية حسية مثل:

" لفّي جدائلك الشقر، أذيبي قطرات الجليد ، أريقي عصيراً البنفسج، بنت حقول الجنوب ، عينيك ، يعانقك سكران" وتتضح الحسية في التشخيص عند الشاعرة في هذه القصيدة من عنوان القصيدة ، فعندما رمزت لمعاني السعادة أو الحقيقية أو الأمل رمزاً حسياً وهو " شمس الشتاء"، فالرمز حسي ليس فيه إبهام أو غموض، بل هو قريب للأذهان لا تعقيد فيه.

السفر في المرايا الدامية [٢٨]:

قال القمر

حبيبتي قد رجعت من السَّفَرْ

حبيبتي القنيطره

صفحةُ مرآة دم مكسَّره

في قعرها رسومُ قَتْلى عرب مبعثره

في عمقها تَدْمَى وتقطُرُ الصّــوَرْ

مدينة القنيطرة تقع على هضبة الجولان وهي تابعة للأراضي السورية ، فــي عــام ١٩٦٧م وقعت تحت السيطرة الإسرائيلية، وانسحبت منها عام ١٩٧٤م .

دمرها الاحتلال الإسرائيلي قبل انسحابه منها تدميراً كاملاً فلم يبق فيهــا منــزلاً أو شجرة أو مَعْلماً إلا وهُدم أو فُجر فكانت المدينة خراباً ودماراً تاماً إلى عام ٢٠٠٨ م فكانت خالية من السكان ، وقد انتزع اليهود منها كل ما يمكن بيعه أو أخذه ولم يبق إلا كل ممزق ،ومباني دمرتها الجرارات ، ومتاجر محطّمة وشوارع مهجورة ،ولم يعد الجانب السوري إعمار هابل شجع على عدم إعمارها لتبقى ذكرى وعلامة على وحشية العدو الصهيوني وقد اكتسبت هذه المدينة قيمة رمزية وصارت شعاراً للعداء بين اليهود والعرب.[٢٩]

وقد نظمت الشاعرة هذه القصيدة عندما تحررت مدينة القنيطــرة مــن الاحــتلال الصهيوني وتدور القصيدة حول فكرة واحدة وهي عودة القنيطرة ، وترويها الشاعرة كحكاية تُحكى على لسان القمر .

[٢٨] - نازك الملائكة " الأعمال الشعرية الكاملة " ج٢، ص٤٤٨.

[٢٩] - ويكيبيديا الموسوعة العربية الحرة ، القنيطرة (سوريا) .

تقوم القصيدة على تشخيص الشاعرة للقمر فهو الراوي وتشخيصها للقنيطرة فهي بطلة الحكاية ، فبدأت خيوط سرد تلك الحكاية من بداية القصيدة فالقمر يحكي لنا عن حبيبته التي هي بطلة القصة ، وحبيبته تلك هي مدينة القنيطرة ، فبدأ يسرد لنا نهاية قصة سفرها ورجوعها من السفر، فقد كانت غائبة لكنه غياب قصير سرعان ما عادت ورجعت من سفرها، ولعل ذلك القمر هو صوت الشاعرة فهي تجسد مشاعرها من خلال نسبتها للقمر، فتؤنسن ذاك القمر ليعبّر عن مشاعرها نيابة عنها، فالراوي حاضر في قصيدة نازك وإن كانت الشاعرة تحتمي خلف ذلك الراوي فصوتها وصوت القمر هو صوت واحد هو الراوي.

أما سفر الحبيبة " القنيطرة " فيعني وقوعها تحت براثن الإحتلال، وعبرت عن ذلك صراحة بالشطر التالي لتتضح الصورة بسفور؛ فحبيبته هي " القنيطرة".

قال القمر:

حبيبتي قد وصلت عائدةً من السفرْ
أرخيتُ فوق كتْفها جدائلي فأجفلتْ
فرشتُ ضوئي تحت مَسْرى خطوها فاجفلتْ
لثمتُ مجرى دمها فأجفلتْ
تغيرتْ ألوان عينيها ومن ملح الرياح اكتحلتْ([٣٠])

وتؤكد عودة تلك الحبيبة بقولها: "وصلت، عائدة " فقد وصلت لدارها العربية وعادت من رحلتها وقد أرخى القمر على كتفها جدائل مشرقة مضيئة لكنها خافت وذعرت، وجعل من أضوائه فراشاً تحت قدميها، ولكنها أيضاً خافت وذعرت، فالقمر يحاول تقبيل جراحها التي مازالت تنزف ، ولكنها ما زالت خائفة مذعورة ؛ فالقمر يحاول

[٣٠] - المصدر نفسه ، ص ٤٤٨.

مواساتها وتهدئتها و تخفيف جراحها، لكنها كلما إزداد قرباً زادت هي بُعداً وخوفــاً، وحالها يوضح بعضاً مما تعانيه فهي في ظلام فلــذلك يحــاول إضــاءة طريقهــا ومعالجة جراحها التي لم تندمل ، و يحاول مواساتها في حسرة وألم لحالها، وهاهي تكرر " أجفلت" ولا يكون إلا عند خوف مرعب وعدم ثقة بالآخر لما لا قته من ألــم وترويع فلذلك تجفل عند اقتراب أي شيء منها.

حتى عينيها غدت حمراء لكثرة بكائها ويعلو نظرتها الخــوف والرعــب والحــزن والألم.

حبيبتي قد قُتلتْ
قد قُتلتْ
مطعونة تحت مساقط النظرْ
ومن سماء مقلتيها يتناثر المَطَرْ
وفي الصخور، والدوالي ، والتعاريش دماءٌ،
وجنائزٌ أُخَرْ([٣١])

و تعلل الشاعرة الألم الذي عانت منه الحبيبة على لسان القمر فقد قُتلــت وطُعنــت، يريدونها ميتة لا حياة فيها ولا روح ولا إنتماء، وللأسف عندما طُعنت لم يكن هناك منقذ ولا مجيب لصرخاتها ، فكان مقتلها على مرأى ومسمع من العرب ، أُنتهكــت " القنيطرة " و العرب ينظرون ، لم يُحرّك ساكن لإنقاذها أو لإنتشالها مــن المــوت والدمار، فتلك الحبيبة تبكي بكاء مراً ، كذلك كانت تهطل سماؤها دمعاً حاراً لمــا أصابها ، فالسماء تهطل مطراً إلا سماء القنيطرة فماء سمائها ليس إلا دموع تسقط

[٣١] - المصدر نفسه ، ص ٤٤٩ .

حزناً عليها وعلى من قُتل على أرضها فليس هناك إلا الموت والموتى والدماء في كل مكان.

حبيبتي القنطيره
راجعة من السَّفَرْ
إيقاع تذكاراتها: حرائقٌ، دمٌ ، حُفَرْ
أرجوحةٌ للموت والريح ووجه مجـــــزره
وفي موانى مقلتيها سُفُنٌ غاربةٌ مُحْتَضَرَه
حبيبتي ترفض أن ألثمها، أطلبُ من غَمّازتيها المغفره[٣٢]

وتؤكد الشاعرة حبها للقنيطرة فتكرر "حبيبتي" وتؤكد عودتها لدار العروبة، والمسافر عادة يعود بتذكارات معه من رحلته ، لكن هذه العائدة كانت تذكراتها من نوع مختلف ففي مكان ما من أرضها هناك حريق ما زال أثره باقياً ، وهناك دماء انتهكت مازالت نارها لم تخمد وهناك حفر وجروح غائرة لم تندمل.

كل ما في القنيطرة من خراب ودمار يذكّر بفترة الإحتلال التي عاشتها المدينة ، فكم من دماء أُريقت وكم من منازل أُحرقت وكم من شوارع خُرّبت .

ليس في عينها إلا الألم والحزن وأمل مفقود لذلك هي تبتعد عن القمر وتنفر منه فقد كان بعيداً عندما طُعنت ، وتخلّى عنها عندما جُرحت، فها هو الآن يطلب منها أن تغفر له ، ولعل الشاعرة تطلب المغفرة والصفح من القنيطرة نيابة عن كل عربي رأى مقتلها واحتلالها ، ولم يحاول صد هذه الطعنات عنها.

[٣٢] - المصدر نفسه ، ص ٤٤٩.

قال القمر :

حبيبتي بعد سنين غربةٍ قد رَجعَتْ من السَّفَرْ

عائدة من رحلةٍ في قعر آلاف المرايا الماحيه

راجعة من المتاهاتِ ومن أرض الرياح العاويه

حيث تقاطع الخطوط الداميه

وحيث يمّحى كيان المنحنى، يضيع وجه الزاويه

ممحوّةٌ حبيبتي خطوطُها

ضائعةٌ خلف الفراغ والضباب والدجى شطوطُها

معكوسةٌ صورتُها على العيون المجدبات الخاوية

وهميّةٌ حتى ورود شعرها،

وهميةٌ أمشاطُها،

وهميةٌ قروطُها

أكذوبةٌ المرآة في مقلتها الولهى وعقم الهاويه

مصلوبةٌ حبيبتي على جذوع السنوات العاريه([٣٣])

ويكمل القمر حكايته عن حبيبته العائدة واصفاً تلك الرحلة وما كان فيها ، تلك الحبيبة كانت رحلتها بعيداً عن وطنها فقد كانت تشعر بالغربة والوحدة والوحشة بعيداً عن أهلها، فالقنيطرة جزء من سوريا وبعد تحريرها رجعت لأهلها مرة أخرى، أما تلك الرحلة فقد كانت رحلة أسطورية مخيفة مرعبة في أرض الخراب والدمار، رحلة لا يعرف منتهاها أشبه بالمتاهة مليئة بالمنعطفات والخدع لا تعرف غياهبها، رحلة أشبه برحلة للمجهول هناك كان ملتقى الدم والموت والهلاك ، كل شيء كان مغيّباً غير واضح حتى معالم تلك الحبيبة غير واضحة فمعالم تلك المدينة

[٣٣] - المصدر نفسه ، ص٤٥٠.

قد غُيّبت بل حدودها قد ضاعت ، يغطيها الدخان والظلام ، فالدمار عمّ في كل زاوية من زواياها خرّبها العدو فبعد خروجه لم يكن إلا الصمت والسكون يملأ المكان، خلت من الحياة بكافة أنواعها.

تلك الحبيبة القنيطرة ينظر إليها أهلها بعيون فارغة من هول ما يرونه، فتلك العيون قد أقفرت وخلت من أي معنى فقد فقدت كل معالم جمالها وزينتها، فهي وإن تزينت فزينتها وهم وخداع لأنها لم تشعر بالفرح من داخلها ،فتلك الزينة لا تعبر عن فرح أو سرور، فزينتها ظاهرية ، لكن إذا نظرنا إلى عينيها شاهدنا الوله والشوق إلى أحبابها، فنرى عمق الحزن والألم والحسرة ، فورود شعرها مزيفة ومشطها وقرطها هي أيضاً مزيفة فقد رسمته المرآة فذلك كله أكذوبة ، فالحقيقة أنها قد صُلبت وقُتلت عندما كانت محتلة لسنوات عديدة ، سنوات تخلو من الفرح أو السلام أو السعادة بل سنوات دمار وخراب.

قال القمر :

ووجهه الحزين رعشةٌ وظلٌ في نَهَرْ
مسبيّةٌ حبيبتي ، مخنوقةٌ، مهدّمه
خدودها شاحبةٌ يجرحها حتى مرور الكلمه
أذرعها حقائبٌ خاوية ، راح بما فيها اللصوص القَتَلَه
لم يبق من فَضتها، لؤلؤها إلا جلودٌ رثَة مهلهله
سيورها مثلّمه

أقفالها تدمى، تصيحُ الريحُ فيها،
يغرُسُ الخرابُ فيها أنمُلَهْ
حبيبتي أكتافها مهشّمه

أسوارها مقتحمه

ويقطن الذبول فيها تسكن الأشباحْ
والموت والرياحْ

قبابها كواكبٌ مرتحله
بيوتها فم الجراح المُشْتعله
أشجارها منزوعة الوَرَقْ
فارغة الحَدَقْ

من دمعها، من دمها ،أهدابُها مكحّله
تُسْبل من فاكهة الدماء والحمّى غصوناً مثقلة
ولم تذق حبيبتي منذ سنينٍ وشوشات سنبله

كلا ولم تلثْم دواليْها سوى أنياب صاروخٍ وعض قنبله[٣٤]

ويظهر هنا صوت الشاعرة التي قاطعت القمر لتصف لنا حالة ومنظره فهو متألم حزين لحال تلك الحبيبة ؛ ارتعشت جوانبه فاهتزّت صورته على صفحة النهر فيصف تلك الحبيبة بحزن وأسى لأنها قد قُتلت وهُدمت ، شاحبة الوجه ، مريضة لا تستطيع حتى الكلام أو البوح بما تشعر به بعدما كانت تعيش في رغد ودعة صارت تعاني الفقر والذل ، خاوية على عروشها ليس فيها إلا الخراب والدمار ، تلك الحبيبة هدمت أسوارها، واُنتهكت حرمتها، وأُحرقت منازلها ، وأُزيلت مساجدها ليس بها إلا الخوف والدمار، خلت من البشر و الأحياء لا يسكنها إلا الأشباح ورياح تعبث بما تبقى من بقايا تلك المدينة.

[٣٤] - المصدر نفسه ، ص٤٥١.

وأشجارها عارية من الورق، ميتة لا حياة فيها تنظر بذهول ليس لهـــا إلا الـــدمع والدم لكثرة قتلاها و ألم وحسرة على ضياعها في يد العدو وعلى الخراب الذي عم أرجائها فقد هلك زرعها وجفت أرضها ولم تعد تنبت قمحاً أو ينبت أملاً في قلبهـــا ليس سوى صواريخ وقنابل تدوي في أنحائها.

مرميّة حبيبتي القنيطره

على مسامير سريرٍ خربٍ مشتعل الغطاءْ
مروجها مقابر الغناءْ
صيّرها حقد اليهود غابةً من مِزَقٍ، حرائقً ،أشلاءْ
لكنما جراحها معطّره

يطلع منها قَمرٌ مقاتلُ،

تخفق فيها رايةٌ منتصره ([٣٥])

شارفت على الهلاك ، فهي معذبة لأن سريرها مسامير وغطاءها نار فالعذاب يأتيها من كل اتجاه ، فمروجها يسكنها الأسى والحزن وقد قُبر فيهـــا الفـــرح والســـرور وتحولت بفضل الاحتلال الحاقد إلى أشلاء ممزقة وحرائق ودمار .

لكن تلك الحبيبة طاهرة مجاهدة فالدم فيها رائحة المسك معطرة جروح تلك الحبيبـــة فجروحها هي مقتل أبنائها ، جروح قد عُطّرت بدماء الشهداء، فليلها طال لكنه ليـــل قمر مشرق.

فالشهداء قد فدوا مدينتهم فكانوا أقماراَ مضيئة في سماء الجهاد ضـــد العـــدو حتـــى تحررت فارتفعت راية النصر فيها.

[٣٥] - المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

حبيبتي القنطيرة

عاجزة أدوية الطبيب عن شفائها
أسقوا صداها جرعةً من برَدَى ، رشوا على شتائها
صيف الجراح المقمره

فطعنة الخراب في رخام صدرها
تَشْفي بأن تنام فوق خدّها وشعرها
سماء سوريّا، وتحنو الشجره
والقـــبـــــّـــره

على شطوط جفنها المحموم، إن المقبره
ستـــستحيل نجمةً مؤتلقه

وموجةً مرقرقه

تعطي أباريق الأغاني للشفاه المُطْبَقَه
وتمسح الدموع عن سوسنةٍ في الأعين المغروقه
توسّدُ المدينةَ الطافية المروج في بحر الدماء المحرقه
تهدي إليها قُبْلةً وزنبقه [٣٦]

وأخيرا القنيطرة تحررت وفرح الناس بهذا النصر و حاولوا علاج تلـــك الحبيبـــة فقدموا لها الماء علها تروي عطشها فتحول شقاءها وحزنها إلى أُنس وسرور و مما ساعد على برئها هو عودتها إلى سوريا وانضمامها لدارها العربية فهي لاتريد إلا أن تصحو وسماء سوريا هي سقفها تعلو وجهها وشعرها.

[٣٦] - المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ .

عند ذلك رجع الشجر والطير إلى أرضه فنبت شجرها وغرّد طيرها حتى المقابر الحزينة البائسة غدت نجوماً متألقة على أرضها فهي مقابر الشهداء والفدائيين وهي نار تؤجج قريحة العرب للثأر من العدو و تلهب قريحة الشعراء ليتغنوا ببطـــولاتهم فذلك مما يخفّف بؤس أهلها وجراحهم وكأنما قُدّم لتلك الحبيبة قبلة صادقة وزنبقـــة حمراء رقيقة تعبيراً عن الفرح بشفائها.

قنطيره

قنطيره

سلمتِ يا حبيبة الجولانْ

وعشيت يا غدائر النجوم، يا مراتع القطعانْ

يا نهر كهرمانْ

يا صلواتِ المغفره

يا خرزتَيْ مسبحةٍ مقطوعهٍ

يا آيةً مبتورةً في شفتى مرتّل القرآنْ

شحوب خدّيك ستسقيه الشفاهُ الخيّره

ومن جديدٍ في الربُّى ستشمخ الجدرانْ

ويصعد الآذانْ [٣٧]

وكانت الشاعرة تعبر بضمير الغائب "هو" القمر ، والغائبة " هي" الحبيبة القنيطرة ثم انتقلت للتعبير المباشر وكأنها تحدّثها وجهاً لوجه فتخاطبها (قنيطـــرة) وتكـــرر (قنيطرة) فتناديها بخطاب العاقل ، فهي انتقلت من الحكاية إلى الخطـــاب المباشـــر

[٣٧] - المصدر نفسه ، ص ٤٥٣.

فتدعو لها بالسلامة على عودتها من تلك الرحلة فقد عادت لحبيبها(الجولان) وكأنها لم تطق بعداً عنه فعادت اليد قافلة من سفرها.

ونبرة الفخر والاعتزاز تبدو جلية في خطاب الشاعرة فقد عادت منتصرة رغم الجراح من رحلتها، لكن الشاعر تطمئنها بأن الجراح ستندمل وستعلو أسوارها المحطمة وسيرجع الآذان إلى منائرها.

قنيطره!

قنيطره!

لتنبتَ الأنيابُ في فكّيكِ ولتطلع قرونٌ فظةٌ موتّره

وهيئ مخالباً ومقبره

تصطادْ إسرائيلَ ، إن الغد نُسْغٌ صاعد في شجره

وبردُ ينبوعٍ،

وشمعُ،

وشبابيكُ عيونٍ مُقْمره

إن كنتِ جرحاً نازفاً

إن كنتِ هُدْباً ذارفاً،

فأنت أيضاً فرحة المدينة المحرَّره

راجعةٌ من رحلة المرآه والفقاعة المسوّره

عائدةٌ من مُدُنِ البراقعِ

إلى حقيقة الدم القاني السكوب وإلى صراحة المدافع

نابتةٌ أغنيةً وبرعماً على فم العروبة المنتصره [٣٨]

[٣٨] - المصدر نفسه ، ص ٤٥٣، ٤٥٥ .

وبعد ذلك تستنفرها الشاعرة وتلهب عزمها فلا بد من الثأر من اليهود الغاصبين فمهما نزف من جرح ومهما دُمع من عين حسرة عليها فكل ذلك لا يطغى فرحة النظر بأنها هي المدينة المحررة فمع كل الخراب والدمار الذي حل بالقنيطرة فهي مدينة استطاع المسلمون ردها لخطيرة الإسلام وطرد الحاقد الغاصب منها.

فها هي قد عادت من رحلة المجهول من الخوف والرعب إلى مواجهة العدو وطرده بالقوة من أرضها ، فالعروبة قد انتصرت وهي بسمة ذلك الوجه المنتصر وعلامته الفارقة.

الخـــــلاصة :

القصائد السابقة قد مثلت الاتجاهات الغالبة على شعر نازك الملائكة من اتجاه رومانسي ثم اتجاه رمزي وأخيراً اتجاه صوفي ، فكل تلك الاتجاهات ليست بمعزل عن بعضها فكثيراً ما تتمازج فيما بينها ، وقد كانت نازك الملائكة تعتمد على تقنية التشخيص التي كانت تستتر خلفها غربة الشاعرة النفسية ، ورغبتها في البوح وبث الشكوى والمشاعر الذاتية وما تعانيه من صراع داخلي دفعها للوحدة والعزلة والحزن واليأس .

فالتشخيص وغيرها من التقنيات كالتكرار والإيحاءات الصوتية والمفارقات اللفظية والمعنوية بالإضافة إلى القافية فحركة الروي الكسرة في قصيدة " كآبة الفصول الأربعة " التي توحي بالحزن والانكسار، والسكون في قصيدة " أغنية لشمس الشتاء " فمعها يُكتم النَفَس وينحبس الصوت فلعل تلك مشاعر الشاعرة التي تنحبس بداخلها وترغب الشاعرة بتحريرها بقوة وضوح أشعة الشمس التي لا يمكن حجبها مهما تلبّدت سماؤها بما يعيق تدفقها ، كذلك قصيدة " السفر في المرايا الدامية " فرويّ قافيتها الساكن يوحي بالسكون وهو الموقف الذي لجأت إليه الدول العربية عند

احتلال القنيطرة وعدم تقديم أي بادرة من العرب لإنقاذ تلــك المدينــة والمشــاعر المكبوتة في نفس كل مسلم تجاه ذلك العدوان ، فكل تلك التقنيات اجتمعت لتشــكيل رؤية الشاعرة وما تحاول إيصاله للمتلقي في شكل فنيّ وجمالي .

الخاتمـــــة :

وختاماً فإن التشخيص ركيزة أساسية وتقنية بارزة اعتمدتها الشاعرة في دواوينهــا الشعرية ، فبدأ التشخيص بسيطاً تعمد إليه الشاعرة نازك الملائكة لتبــوح بشــكواها وما يكون في نفسها من مشاعر الحزن والوحدة والعزلة ولتسقط مشــاعرها علــى المعاني أو المحسوسات محاولة التملّص من تلك المشاعر بنسبتها لعالم المجردات أو الماديات ولعلها كإمرأة في مجتمع محافظ لا يتاح لها بثّ مشاعرها علانية فتتوارى خلف ستار التشخيص ؛ لتعلن عن مشاعر وتدفقات نفسية تعانيها ذاتها وتتقلب فيهــا مشاعرها الرومانسية ، فكان التشخيص في مراحله الأولى شخصنة لمشاعر ذاتيــة خاصة ثم تطورت تلك التقنية مع بروز الجانب الرمزي في شعر الشاعرة ، فغــدا التشخيص رمزاً ترمي الشاعرة من خلاله إلى معاني أبعد ، ودلالات أغزر ، وأبعاد أوسع ، فتجاوزت الشاعرة ذاتها ؛ ليكون أسلوب التشخيص شاملاً لمعاناة الإنســان بشكل عام وما يعانيه من ألم أو حزن في حياته ، كما سطرّت جوانب مــن الحيــاة السياسية العربية في ذلك الوقت فأبرزت معانــاة مــدنٍ ودولٍ عانــت الاســتعمار والاحتلال فتوسّع أسلوب التشخيص عند الشاعرة فهي مرحلة نضج شعري وأسلوب تشخيصي رمزيّ متعدّد الأبعاد ، حتى اتجهت للجانب الديني ولعلّ نزوع الشــاعرة للجانب الروحي في مراحل حياتها المتأخرة جعل من التشخيص تقنيــةً مــا تلجــأ الشاعرة إليها لأن شعرها كان أقرب للتقريرية والمباشرة بعيداً عن الرومانســية أو الخيال ، فكما كانت نفسها هادئة مطمئنة غدا شعرها ذا وتيرة هادئة فندُر التشخيص

في تلك الفترة ، فتعبيرها عن مشاعرها كان واضحاً مباشراً مفعماً بالشفافية والروحية لم تعد بحاجة إلى تقنية تختبئ خلفها أو تبثّ من خلالها مشاعرها ، فمشاعرها الروحية تظهر بجلاءٍ في قصائدها الأخيرة .

فتقنية التشخيص سمة بارزة في أسلوب شعر نازك الملائكة لازمتها في أطوارها الشعرية ، ولعلّ اختيار الشاعرة لتلك التقنية باعتبار أنها شاعرة رومانسية ، ولتناغم تلك التقنية مع شخصية الشاعرة الحزينة المنعزلة التي تريد البوح لكنها تعجز عنه بشكل مباشر ، فكان التشخيص إنعكاساً لمشاعرها ودخائل نفسها ، ولا نغفل ما لهذه التقنية من أثر جمالي وتشويقي للمتلقي ، فهي تتيح للمتلقي أن يتصوّر تلك المشاعر حتى يعيشها ويتفاعل معها ، فيكون وهلة هو الشاعرة ووهلة في دور المُسخَّص ليعيش تلك المشاعر بكل ما فيها .

المصادر والمراجع :

١. إبراهيم الكوفحي ، محنة المبدع دراسات في صياغة اللغة الشعرية ، عمان، مطبعة الرزونا، ط١، ٢٠٠٧م.

٢. إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، تونس ، صفاقس ، التعاضدية العمالية ، ط١، ١٩٨٦م .

٣. ابن منظور ، لسان العرب ،ج٥، ج٢ ،ج٦،ج٤ ، تحقيق: عبد الله الكبير ، محمد أحمد ، هاشم الشاذلي ، دار المعارف ،ط١، القاهرة ،د.ت

٤. أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، القاهرة، مطبعة المؤيد، ط١، ١٩١٠م .

٥. الآمدي ، الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الهند ، مكتبة الجوائب ، ط١، ١٢٨٧ هـ .

٦. إيمان يوسف بقاعي ، نازك الملائكة والتغيّرات الزمنية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٩٩٥م.

٧. الجاحظ ،عمرو بن بحر، البيان والتبيين ،تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٧، ١٩٩٨م .

٨. الفرّاء ، يحي بن زياد ، معاني القران ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٣، ١٩٨٣م .

٩. جابر عصفور ، رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، الدار البيضاء ،المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠. حبيب مونسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضاعتيه جمالية ، اتحاد الكتاب العرب ، ط١، دمشق ، ٢٠٠١م .

١١. خالد علي الغزالي، أنماط الصورة الفنية والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن ، مجلة دمشق ، المجلد ٢٧ ،العدد ١،٢، ٢٠١١م.
١٢. زين كامل الخويسكي ، أحمد محمود المصري ، فنون بلاغية ، الإسكندرية ، دار الوفاء ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
١٣. سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون ،القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٣، ١٩٨٨م .
١٤. سيد قطب ، التصوير الفني للقران ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١٠، ١٩٨٨م .
١٥. سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،القاهرة ، دار الشروق ، ط٦، ١٩٩٠ م .
١٦. شعيب خلف ، التشكيل الاستعاري في شعر أبي العلاء المعري دراسة أسلوبية إحصائية ، دار العلم والإيمان ، ط١ ، كفر الشيخ ، ٢٠٠٨م .
١٧. شكيب كظيم ، عاشقة الليل تحولت إلى شظايا ورماد نازك الملائكة ، جريدة الصباح ، شبكة الإعلام العراقي ، بغداد، ٢٤ /١٠/٢٠١١م .
١٨. عبد الإله سليم ، بنيات المشابهة في اللُّغة العربيّة مقاربة معرفية ، الدار البيضاء ، دار توبقال ، ط١ ، ٢٠٠١م .
١٩. عبد الرحيم محمد الهبيل، فلسفة الجمال في البلاغة العربية ، الدار العربية ، مدينة نصر ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
٢٠. عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، عمان ، دار صفاء ، ط١، ٢٠٠٢م.
٢١. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،تحقيق وتعليق : محمود شاكر ،جدة، دار المدني ، ط٣، ١٩٩٢م .

٢٢. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار المدينة ، جدة ، ط١، ١٩٩١م .

٢٣. عبد المتعال الصعيدي ، البلاغة العربية العالية ، علم البيان ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٠م .

٢٤. عبدالقادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، القاهرة ، دار غريب ، ط١، ١٩٩٨م.

٢٥. عبده عبد العزيز قليقلة ، البلاغة الاصطلاحيّة ، القاهرة ، دار الفكر، ط٤، ٢٠٠١م .

٢٦. عثمان بن جنّي ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٢ ، ٢٠١٠ م .

٢٧. علي العلي ، عبد الكريم العبيدي ، نازك الملائكة أم الشعر العربي الحديث، صالون ثقافي ، المنتدى الثقافي العراقي ، دمشق ، د. ت .

٢٨. علي سلوم ، بلاغة العرب، بيروت ، دار المواسم ، ط١، ٢٠٠٢م .

٢٩. علي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل وعلي البجاوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٠. علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ط٥ ، ٢٠٠٨م .

٣١. عوني صبحي الفاعوري ، دلالات الأزهار في ديوان " ما أقل حبيبتي " للشاعر راشد عيسى ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٢، العدد ٣،٤ ، ٢٠٠٦م .

٣٢. فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علـــم المعـــاني ، الأردن ، دار الفرقان ، ط٤ ،١٩٩٧م.

٣٣. لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي لـــلأدب بحـــث فـــي فلســـفة اللغـــة والأستطيقا ، الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٩م .

٣٤. محمد أبو موسى ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط٦ ، ٢٠٠٦م .

٣٥. محمد العبد ، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مـــدخل لغـــوي أســـلوبي ، القاهرة، دار المعارف ، ط١، ١٩٨٨م .

٣٦. محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بـــين البنيـــة الدلاليـــة والبنيـــة الإيقاعية حساسية الإنبثاقة الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ط١ ،٢٠٠١ م .

٣٧. محمد عبد المنعم خاطر ، دراسة في شعر نازك الملائكة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م .

٣٨. محمد غاليم ، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، الـــدار البيضـــاء ، دار توبقال ، ط١، ١٩٨٧م .

٣٩. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، د.ت .

٤٠. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، القاهرة ، دار نهضـــة مصـــر، ١٩٩٧م ،

٤١. محمد مصطفى أبو شوارب ، أحمد محمود المصري ، قطـــوف بلاغيـــة ، الإسكندرية ، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٦ م .

٤٢. محمد مندور، اللغة والحضارة ، الإسكندرية ، منشأة القاهرة ، ١٩٧٤م.
٤٣. مصطفى ناصف ،اللغة والتفسير والتواصل ، عالم المعرفة ، الكويت،١٩٩٠م.
٤٤. ميدلتون مودي ، س .هـ بورتون ، ت . س . إليوت ، س .داي لويس ، هربرت ريد ، وينفريد نوفتني ، مرجري بولتون ، اللغة الفنية ، ترجمة: محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٤م .
٤٥. نازك الملائكة ، الأعمال الشعرية الكاملة ج ١ ، ج ٢ المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط١ ، ٢٠٠٢م .
٤٦. وجدان الصايغ ، الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
٤٧. ويكيبيديا الموسوعة العربية الحرة ، القنيطرة (سوريا).
٤٨. يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، دار الميسرة ، الأردن ، ط١ ،٢٠٠٧م .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
إهداء	٢
شكر وتقدير	٣
المقدمة	٤
تمهيد حول أسلوب التشخيص	٨
مفهوم التشخيص	٩
تأثير التشخيص في بناء الصورة الشعرية	١٨
نبذة عن الشاعرة	٢٧
الفصل الأول نمط التشخيص وجمالياته في شعر نازك الملائكة	٣٢
المبحث الأول : تشخيص المعنويات	٣٥
اللوحة الأولى : الحياة	٣٥
اللوحة الثانية : الموت	٤٨
اللوحة الثالثة : الحزن	٥٦
اللوحة الرابعة : السعادة	٦٤
الخلاصة	٦٩
المبحث الثاني : تشخيص المحسوسات	٧٧
اللوحة الأولى : الحيوان	٧٨
اللوحة الثانية : النبات	٩٠
اللوحة الثالثة : الجمادات	٩٨
اللوحة الرابعة : الزمان والمكان	١٢٣
الخلاصة	١٤٤

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
بناء الصورة التشخيصية : دراسة في قصائد مختارة	١٥١
قصيدة (كآبة الفصول الأربعة)	١٥٦
قصيدة (أغنية لشمس الشتاء)	١٨٥
قصيدة (السفر في المرايا الدامية)	١٩٩
الخلاصة	٢١٠
الخاتمة	٢١١
المصادر والمراجع	٢١٣
الفهرس	٢١٨